صورة المرأة في السينما العربية
ص12-13-14

عبدالرحمن اليوسفي

لماذا لم يفتح كل خزائنه المليئة بالأسرار؟
ص8

تصريحات متضاربة لبوتفليقة
ص2

العرب

www.alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2018/03/11
23 جمادى الثانية 1439
السنة 40 العدد 10925
Sunday 11/03/2018
40th Year, Issue 10925

الخلاف بين أردوغان والجيش يعطّل الحسم في عفرين

❑ **أنقرة** – لا يبدو الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في طريق سهلة لتحقيق وعوده باجتياح عفرين ثم الانتقال بعدها إلى منبج في ضوء تقارير تتحدث عن خلاف بينه وبين قيادات عسكرية مؤثرة لم تنس الحملة التي استهدفت الجيش وإهانة رموزه بشكل سافر، وأن هذا الخلاف هو الذي يعيق ثاني أكبر جيش في حلف شمال الأطلسي (الناتو) عن تحقيق نصر سريع ضد مقاتلين أكراد يفوقهم من حيث العدد والقوة والخبرات العسكرية.

ويعتقد مراقبون لمسار الحرب التركية أن تصريحات أردوغان، التي توحي بالاقتراب من السيطرة على عفرين، تخفي إحساسا يتشكل لديه بأن الجيش، الذي تعرض للإهانة قبل وبعد ما سمي بمحاولة الانقلاب الفاشلة، لا يريد أن يهدي أردوغان نصرا عسكريا ولهذا يماطل في حسم معركة عفرين.

وعزا المراقبون سرّ استعصاء عفرين، وهي مدينة صغيرة بمقاتلين بإمكانيات محدودة، إلى وجود معارضة من قيادات بارزة في الجيش تعطل الدفع بأعداد كبيرة من الجنود والعتاد في المعركة، ما دفع أردوغان إلى الرهان على مقاتلين تابعين للجيش السوري الحر لا يمتلكون الخبرات الكافية لحسم المواجهة.

ويخشى أردوغان من محاولات انقلاب أخرى قد تخرج من الجيش التركي، والتي تستثمر المغامرة في عفرين، للانتقام من حملة القمع التي طالت الأجهزة الأمنية والعسكرية عقب محاولة الانقلاب.

وفي محاولة للخروج من الوضع الصعب الذي وجدت تركيا نفسها فيه بما ينبئ بورطة طويلة الأمد، بادر الرئيس التركي إلى الاستنجاد بالناتو للمساعدة على ما أسماه حماية الحدود التركية من "الإرهابيين" والتي أكدت أنقرة مرارا أنها بمثابة الحدود المتقدمة للحلف.

وقال أردوغان في خطاب ألقاه، السبت، أمام أنصار حزب العدالة والتنمية الحاكم في محافظة مرسين "أخاطب الناتو، أين أنتم؟، تعالوا إلى سوريا، لماذا لا تأتون، أليست تركيا إحدى دول الناتو؟".

وأضاف "دعوتمونا إلى أفغانستان والصومال والبلقان فلبينا النداء، والآن أنا أدعوكم: تعالوا إلى سوريا.. لماذا لا تأتون؟".

ويرى محللون سياسيون أن دعوة الناتو لمساعدة تركيا على تأمين حدودها بما فيها السيطرة على عفرين، يؤكد أن أردوغان في حاجة ماسة إلى دعم خارجي لمنع السقوط في المستنقع، خاصة أن الأكراد نجحوا في تعطيل تقدّم القوات التركية والقوات السورية الرديفة، وأن القوات التركية واجهت العديد من التعقيدات نتيجة المقاومة الشرسة التي يبديها المقاتلون الأكراد، ما قد يوسع دائرة الغاضبين في الداخل من المغامرة شمال سوريا.

ولفت هؤلاء المحللون إلى أن الفشل في السيطرة على عفرين بعد أسابيع من بدء الهجوم التركي، سيوسّع دائرة الرافضين للحرب ليس فقط داخل المؤسسة العسكرية، لتشمل أحزاب المعارضة والسياسيين المستقلين وقوى المجتمع المدني ووسائل الإعلام التي يجري الضغط عليها لمنعها من نشر مواقف المعترضين على مغامرة عفرين.

وتم تسريح الآلاف من الجنود والقيادات مختلفة الرتب في المؤسسة العسكرية، فضلا عن عناصر من قوات الأمن، والموظفين الحكوميين، ما يمثل أرضية مساعدة لأي محاولة جديدة للانتقام من سياسة أردوغان.

حذر متبادل

● الجيش السوري يعزل دوما عن باقي الغوطة الشرقية المحاصرة ص3

إخوان اليمن ينفذون خطة لعرقلة جهود التحرير

❑ **عدن** – كشفت مصادر يمنية خاصة لـ"العرب"، عن أن حزب الإصلاح الإخواني تبنى خلال الأيام الأخيرة، خطة لإعاقة العمليات العسكرية التي تتولاها المقاومة الشعبية على مختلف الجبهات لمنعها من أي تقدم ميداني، مستفيدا من وجود قيادات عسكرية إخوانية عينها الرئيس عبدربه منصور هادي في سياق تحالفه مع الحزب.

وقالت المصادر إن قيادات إخوانية سربت أخبار هذه الخطة في رسالة إلى التحالف العربي، مفادها أن الجماعة لن تسكت على محاولة تقليص نفوذها في مؤسسات الشرعية حاليا، وخاصة في مرحلة ما بعد التحرير، وأن هذا القرار جاء بعد قرار التحالف بالانفتاح على المكونات الهامة وذات الفعالية العسكرية والسياسية التي تساعد على تسريع مهمة التحرير، من قيادات المجلس الانتقالي الجنوبي ومن رموز حزب المؤتمر الشعبي العام وأسرة الرئيس السابق علي عبدالله صالح.

وبعثت قيادة مقاومة محافظة البيضاء (وسط اليمن) رسالة مفتوحة إلى الرئيس هادي وقيادة التحالف العربي، كشفت خلالها عن جزء من ممارسات حزب الإصلاح لعرقلة جهود تحرير المحافظة ونهب الدعم المقدم للمقاومة وصرفه للموالين للجماعة.

واتهمت الرسالة حزب الإصلاح بوضع العراقيل أمام محاولات استعادة الدولة لسيطرتها في البيضاء واليمن بشكل عام، وعدم الاكتفاء بالوقوف موقف المتفرج دون المشاركة في المعارك بل وتوجيه عناصر الإخوان في المحافظة بمغادرة جبهات البيضاء والانضمام إلى جبهات مأرب والتي قالت الرسالة إنها باتت محصورة في الإخوان وتحت إشرافهم المباشر.

ولفتت رسالة قيادة مقاومة البيضاء إلى قيام حزب الإصلاح بتنصيب ممثلين عن مقاومة البيضاء من بين عناصر الحزب المتواجدة في مأرب، وقيام تلك القيادات بالعمل على عرقلة المقاومة الحقيقية المتواجدة في الجبهات.

ومن أبرز العراقيل التي أشارت إليها الرسالة، استخدام سلطة الإخوان في مأرب وفي قيادة الجيش الوطني والأمن لعرقلة "دمج مقاومة البيضاء بالجيش الوطني والأمن لمدة لا تقل عن عام ونصف العام، مع حرص الإخوان على تسجيل أفرادهم في ألوية الجيش الخاصة بهم مثل اللواء 117، رغم أن أكثرهم غير مشاركين في جبهات البيضاء المشتعلة".

وأكدت الرسالة قيام حزب الإصلاح بالاستيلاء على المرتبات والدعم المقدم لمقاومة البيضاء من قبل الحكومة الشرعية، وصرف المرتبات بموجب الولاءات الحزبية ومن دون أي صفة قانونية ومن خلال كشوفات مخالفة لتلك المعتمدة من الشرعية.

كما كشفت الرسالة المرفوعة من قبل قيادة مقاومة البيضاء عن قيام حزب الإصلاح بإفشال خطة كانت جاهزة لتحرير المحافظة، تم التوافق عليها من قبل قادة التحالف العربي والسلطة المحلية في المحافظة.

وجاءت شكوى المقاومة في محافظة البيضاء بعد أيام قليلة من حالة مشابهة شهدتها محافظة تعز إثر إقدام المئات من أفراد الجيش الوطني على قطع أحد الشوارع الرئيسية احتجاجا على قيام قيادة محور تعز الموالية لحزب الإصلاح بإسقاط أفراد الجيش الوطني غير الموالين لهم من كشوفات الرواتب وإضافة أسماء أخرى من عناصر الجماعة.

وقالت مصادر خاصة لـ"العرب" من تعز، إن محافظ تعز أمين محمود، وجه بإيقاف والتحقيق مع رئيس شعبة التجنيد في محور تعز العقيد أحمد السفياني المنتمي إلى جماعة الإخوان، والذي يتهم بالوقوف وراء العبث بكشوفات أفراد الجيش الوطني في المحافظة لصالح حزب الإصلاح، وإضافة أكثر من خمسة آلاف عنصر من حزب الإصلاح في قوائم الجيش الوطني.

ويرى مراقبون أن ممارسات حزب الإصلاح القائمة على الاستحواذ وإقصاء المخالفين من مختلف مؤسسات الشرعية المدنية والعسكرية، والانهماك في إنجاز مشروع حزبي ضيق، من أبرز أسباب تعثر جهود التحرير وإرباك التحالف العربي لدعم الشرعية وإطالة أمد المعركة.

وحذر المراقبون من أن استمرار هذه الممارسات في ظل الصمت الرسمي من الرئيس هادي، سينعكس سلبا على الملف اليمني وسيخدم الحوثيين، ويؤدي إلى موجة من الاحتجاجات المتصاعدة في صفوف المؤيدين للشرعية الذين باتوا يضيقون ذرعا بسياسة إخوان اليمن.

عندما يحتفل النظام السوري بذكرى كارثة

خيرالله خيرالله

ص5

معركة كسر عظم بين وزارة التربية ونقابة التعليم في تونس

● وزير التربية: مطالب الأساتذة لا علاقة لها بالإصلاح التربوي ● اتحاد الشغل ينحاز لموقف الحكومة، وجلسة الغد لاختبار نوايا التصعيد

❑ **تونس** – حذر حاتم بن سالم وزير التربية التونسي من أنه في حال عدم التزام أساتذة التعليم الثانوي بتمكين العائلات من الأعداد التي حصل عليها أبناؤهم خلال النصف الأول من العام الدراسي، فإن الوزارة ستحيل الملف إلى الحكومة لتتخذ ما تراه مناسبا من عقوبات.

وقال حاتم بن سالم في حديث لـ"العرب"، "أعتقد أنه من الضروري على نقابة التعليم الثانوي النسج على منوال نورالدين الطبوبي، الأمين العام لاتحاد الشغل الذي تنتمي إليه، والذي رفض التوقيع على لائحة حجب الأعداد وسلك طريق التفاوض في كل الملفات".

وعاشت الساحة السياسية والنقابية في تونس طيلة أسبوع كامل على وقع الصراع الذي بات معلنا بين وزير التربية والجامعة العامة للتعليم الثانوي بسبب رفض الطرف النقابي الاستجابة لدعوة الوزارة بتعليق عملية حجب أعداد الطلاب وتسليمها يوم 12 مارس (الاثنين) إلى إدارات المدارس الإعدادية والمعاهد الثانوية، فيما تلوح النقابة بالتصعيد.

وأكد بن سالم أن الوزارة تتعامل بصفة تكاد تكون يومية مع ثماني نقابات للتعليم وأنها لا تنتهج عكس ما يتم ترويجه سياسة المماطلة أو لي الذراع بل تحاول في كل الملفات التعاطي بإيجابية لتقديم ما يمكن فعله في حدود الموجود والقانون، مشيرا إلى وجود بوادر اتفاقات وتهدئة مع نقابات التعليم الثانوي.

حاتم بن سالم

طلاب الثانوي أكبر المتضررين مما يحصل في قطاع التعليم

وحث الوزير الأساتذة على احترام القانون وتسليم الأعداد في الموعد المتفق عليه، وأن أيادي الوزارة مفتوحة دائما للتفاوض حول كل الملفات العالقة.

وما إن صعّدت نقابات التعليم سلسلة التحركات الاحتجاجية حتى تنبّأ البعض بإمكانية تكرر سيناريو إقالة الوزير السابق ناجي جلول مع الوزير الحالي، سيناريو علّق عليه بن سالم بقوله "لا أريد شخصنة المسألة لأن كل الوزراء ذاهبون ووزارة التربية باقية"، مشيرا إلى أن رئيس الحكومة يوسف الشاهد وكل أعضاء الفريق الحكومي متضامنون معه ومساندون له منذ بداية الخلاف مع النقابات.

ومن الفرضيات المطروحة والمتداولة في الأوساط الإعلامية التونسية هي أن تنفذ وزارة التربية والحكومة قانون حالة الطوارئ لإجبار الأساتذة على احترام القانون وتسليم الأعداد إلى الإدارات لإرسالها إلى الأولياء، فرضية نفاها الوزير بتأكيده أن الملف سيكون من أنظار الحكومة التي ستطبق حتما القانون المعمول به لكن دون الاستناد إلى قانون الطوارئ.

وشدد على ضرورة التدقيق في طبيعة مطالب أساتذة التعليم الثانوي قائلا "على الجميع التثبّت في حقيقة المطالب المضمنة بلوائح الهيئات الإدارية للنقابة، فمن بينها 99 بالمئة مطالب مادية وليست لإصلاح المنظومة التربوية مثلما يتم الترويج له".

ونفى حاتم بن سالم أن يكون مستهدفا كشخص من قبل نقابات التعليم بسبب عمله وزيرا في عهد الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي، مؤكّدا على أنه لن يدخل في صراع شخصي مع النقابات.

وقال إن "كل تصريحاتي كانت هادئة وداعية إلى التوافق والعمل المشترك لإنقاذ التربية والتعليم في البلاد وستبقى كذلك مهما كانت الظروف".

وفي ملف آخر، أكّد حاتم بن سالم أن عمليات الحرق التي لحقت مؤخرا بسكن الطلاب في عدة معاهد ثانوية بالمناطق الداخلية مفتعلة وليست بريئة، مشيرا إلى أن الوزارة سجّلت نشوب 22 حريقا في شهر واحد وهو ما يدعو إلى التساؤل حول من يقف وراءها.

وأوضح أن وزارة التربية فتحت بالتزامن مع النيابة العمومية تحقيقات وأبحاثا في تكرر حرق سكن الطلاب، متوعّدا بتطبيق القانون على كل من ثبت تورّطه في مثل هذه العمليات.

وختم وزير التربية حديثه بالتأكيد على أن طلاب الثانوي هم أكبر المتضرّرين مما يحصل من انفلات في قطاع التعليم، مشيرا إلى أن مسألة تدارك الوضع مازالت قائمة شريطة التزام كل طرف من جهته بتطبيق القانون وباحترام قدسية المؤسسات التربوية.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

جدل في الجزائر بشأن تضارب تصريحات بوتفليقة

تشكيك في صحة التصريحات المنقولة عن الرئيس الجزائري

يستنكر الشارع الجزائري تضارب التصريحات التي تنقلها شخصيات سياسية ومسؤولون عن الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة في ظل وضع صحي مترد للأخير منذ إصابته بوعكية خلال العام 2013. وتتميز هذه التصريحات المنسوبة لبوتفليقة بتضاربها مما دفع الأوساط السياسية والشعبية لتأويلها بالقول إنها لا تعكس حقيقة مواقف الرئيس الجزائري بل الهدف منها فقط الإيحاء باستقوائهم ببوتفليقة.

صابر بليدي

الجزائر – تثير التصريحات المنسوبة إلى الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة من قبل شخصيات محسوبة على محيط قصر الرئاسة جدلا كبيرا في الأوساط الجزائرية، رغم تراجعها في الفترة الأخيرة، إذ تم تأويل دلالات وخلفيات هذه التصريحات. ويكذب قطاع واسع من الرأي العام في البلاد البعض من الشخصيات التي تنقل تصريحات بوتفليقة، ويتهمها بالاستقواء بالرئيس لتثبيت مواقعها ومواقفها أمام خصومها ومنافسيها في الساحة الداخلية.

وصرح رئيس البرلمان الجزائري السابق عبدالعزيز زياري، بأن "كل من يتكلم باسم الرئيس بوتفليقة كاذب وباحث عن الاحتماء بعباءته والاستقواء به لفرض نفسه في الساحة" في إشارة إلى التصريحات المتداولة من حين لآخر من طرف البعض من المحسوبين على معسكر الموالاة وقصر الرئاسة باسم رئيس الجمهورية.

وجاء التكذيب غير المسبوق لعبدالعزيز زياري ردا على مزاعم الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني الحاكم جمال ولد عباس حول لقاءاته ببوتفليقة ونقل كلام على لسانه للمقربين منه ولمؤسسات الحزب ووسائل الإعلام. ويرى متابعون أن ولد عباس يسعى للظهور بمظهر القريب من رئيس البلاد وكذلك لتخويف مناوئيه والمتمردين عليه.

وساهم تواري الرئيس بوتفليقة عن الأضواء، منذ إصابته بوعكة صحية في 2013، في تنامي التصريحات باسمه والمزاعم بنقل آرائه وأفكاره للرأي العام من أجل إثبات أصحابها لمواقعهم القوية في دواليب السلطة. وطرح العديد من المسؤولين الرسميين والسياسيين أنفسهم كناطقين غير معلنين باسم الرئيس بوتفليقة، منذ العام 2014. وقبل ذلك، لم يترك الرئيس الجزائري مجالا لأي شخص للحديث باسمه أو باسم مؤسسات الدولة عندما كان في وضع صحي جيّد، حيث كان قد جرد وزير الاتصال السابق عبدالرشيد بوكرزازة من مهمة الناطق باسم حكومة عبدالعزيز بلخادم خلال العام 2012.

> تواري بوتفليقة عن الأضواء، منذ إصابته بوعكة صحية في 2013، يساهم في تنامي التصريحات باسمه من أجل إثبات أصحابها لمواقعهم القوية

صحة تزيد الوضع تعقيدا

ويرى مراقبون للشأن الجزائري أن التكتم الذي تدير به مؤسسة الرئاسة ملف الوضع الصحي لرئيس البلاد والغموض الذي يكتنف إدارة شؤون الدولة والدور الخفي لمحيط بوتفليقة في معالجة الملفات المثيرة والحساسة، كلها عوامل فتحت المجال أمام فئة من المسؤولين والسياسيين لإطلاق العنان لمزاعم قربهم من رئيس الجمهورية وتسويق أنفسهم باعتبارهم من "رجالات الثقة".

ولم يستبعد هؤلاء أن يكون لجوء النواة الصلبة في هرم السلطة إلى افتكاك تصريحات مماثلة من طرف مسؤولين كبار وحتى دبلوماسيين ورؤساء دول، لتكون بمثابة شهادات عيان على الوضع الصحي المقبول للرئيس بوتفليقة وإثبات قدرته على تسيير شؤون البلاد للرد على المشككين والمنادين بالفراغ في مؤسسة الرئاسة، قد ساهم في تشجيع آخرين على ركوب موجة التصريح باسم رئيس الجمهورية.

ويعد الدبلوماسي الدولي السابق الأخضر الإبراهيمي من أكبر الشخصيات المحلية المترددة على مكتب بوتفليقة. ويظهر الإبراهيمي بشكل دائم لتقديم معطيات إيجابية عن الوضع الصحي لرئيس البلاد للرأي العام. وأدلى في مناسبات عديدة بتصريحات مقتضبة حول احتفاظ بوتفليقة بذاكرته الحادة وفطنته واطلاعه على مجريات الأحداث، مع صعوبات في الصوت والحركة.

وكانت مؤسسة الرئاسة قد شددت، في الأشهر الأخيرة، على رفض أي تصريح باسم رئيس الجمهورية، بهدف وقف سلسلة المزاعم الواردة على لسان الكثير من المسؤولين والشخصيات. لكن ثقل المحطات السياسية التي عاشتها الجزائر لم يلجم ألسنة الجميع. ومثل تكذيب عبدالعزيز زياري للتصريحات المنقولة عن بوتفليقة، خاصة في ما تعلق بملف الانتخابات الرئاسية القادمة، تعرية للمزاعم التي يتسابق البعض من قادة أحزاب الموالاة من أجل إثبات التفرد بالقرب من الرئيس ونيل ثقته والاستقواء بذلك في الساحة السياسية. وقال زياري "لا أحد من المحيطين بالرئيس يجزم بمعرفة موقفه من الاستحقاق الرئاسي المقبل ولا أحد من هؤلاء بإمكانه معرفة نواياه في الترشح من عدمه"، مضيفا أن "المزاعم بهذا الطرح أو ذاك نوع من الضغط ومساع لاستباق ركوب القارب خشية التأخر عن نيل نصيب من الكعكة".

وكان النائب بالبرلمان بهاء الدين طليبة قد بادر، خلال الأسابيع الأخيرة، إلى إطلاق مشروع تنسيقية لدعم عهدة رئاسية خامسة لبوتفليقة، موهما الرأي العام بأنها خطوة مستندة لإيحاء من بوتفليقة نفسه. وعرّض طليبة نفسه لحرج سياسي وحزبي حيث تمت إحالته على لجنة الانضباط داخل حزب جبهة التحرير الوطني.

وشدد ولد عباس، في أكثر من مناسبة، على حزبه بضرورة تلافي الخوض في مسألة العهدة الخامسة. وأعطى هذا الأمر الانطباع بأن ولد عباس يريد فرض سطوته داخل جبهة التحرير الوطني.

إنقاذ المئات من المهاجرين بين ليبيا وإيطاليا

طرابلس – انتشلت قوات خفر السواحل الليبي وسفينة تابعة لمنظمة خيرية دولية عدة مئات من المهاجرين، السبت، بعد أن حاول مهربو البشر استغلال هدوء البحر لإرسال عدة قوارب نحو إيطاليا.

وقال أيوب قاسم وهو متحدث باسم خفر السواحل إن سفنهم اعترضت قاربين للمهاجرين أحدهما كان زورقا مطاطيا بدأ في الغرق وعلى متنه 125 شخصا قبالة ساحل الزاوية إلى الغرب من العاصمة طرابلس.

وأضاف أن قوات خفر السواحل أعادت القارب الثاني إلى القرة بوللي إلى الشرق من طرابلس وعلى متنه 112 شخصا.

وتمكن قارب يقل 110 مهاجرين من الوصول إلى منطقة تعمل فيها سفينة إنقاذ تابعة لمنظمة أطباء بلا حدود على بعد نحو 21 ميلا من الساحل إلى الغرب من طرابلس. وكانت السفينة تستعد لنقل مهاجرين إلى إيطاليا.

وكان أكثر من نصف المهاجرين في القارب نيجيريين في حين كان الباقون من دول أفريقية تقع جنوب الصحراء الكبرى كما كان من بينهم فلسطينيان اثنان.

في الوقت نفسه قالت قوات خفر السواحل في زوارة، التي كانت بؤرة تهريب ليبية غربي الزاوية، إنها أحبطت محاولة مغادرة خلال الليل وألقت القبض على البعض من المهاجرين في حين فر آخرون مع مهربين.

ونشرت قوات خفر السواحل صورا لمهاجرين معتقلين من دول أفريقية تقع جنوب الصحراء وهم يجلسون في قارب مطاطي على الشاطئ في الظلام.

وشهدت زوارة أيضا، في 19 فبراير الماضي، إنقاذ 324 مهاجرا غير شرعي قبالة شواطئها من قبل البحرية التابعة لحكومة الوفاق. وقالت البحرية، في بيان حينها، إن من بين المهاجرين الذين تم إنقاذهم 35 امرأة و16 طفلا، مؤكدة أنهم كانوا على متن قاربين مطاطيين تعطل محركاهما.

وذكر البيان أن عملية الإنقاذ "تمت على بعد حوالي 7 أميال شمال زوارة وأن المهاجرين من 4 جنسيات أفريقية وجنسيتين عربيتين إلى جانب 4 مهاجرين من باكستان و32 ليبيا".

وليبيا هي نقطة الانطلاق الرئيسية للمهاجرين الساعين للوصول إلى أوروبا عبر البحر. وعبر أكثر من 600 ألف مهاجر البحر المتوسط صوب إيطاليا على مدى السنوات الأربع الماضية حيث يستغل مهربو البشر حالة الفراغ الأمني في ليبيا.

ومنذ الصيف الماضي انخفضت معدلات انطلاق المهاجرين بشدة بعدما وقع مهربون في مدينة صبراتة الليبية اتفاقا مع حكومة طرابلس لوقف أنشطتهم قبل أن تطردهم جماعة مسلحة منافسة من المدينة.

كما عزز خفر السواحل الليبي المدعوم من الاتحاد الأوروبي عمليات الاعتراض وكان غالبا ما يقطع الطريق على قوارب المهاجرين قبل أن تتمكن من الوصول إلى سفن دولية تقلهم إلى أوروبا.

شبهة التزوير تلاحق الانتخابات المحلية التونسية

تونس – تتواصل في الساحة السياسية التونسية سلسلة الانتقادات لأشغال وقرارات الهيئة العليا المستقلة للانتخابات وذلك قبل نحو شهرين من إجراء الانتخابات البلدية المزمع إجراؤها في 6 مايو المقبل، لتصل التوجسات هذه المرة إلى حدّ تحذير الحزب الحاكم، نداء تونس، من إمكانية السقوط في تزوير الانتخابات بعد اتخاذ الهيئة لقرارات جديدة تتعلق بالعملية الانتخابية المقبلة.

أثار إعلان الهيئة العليا المستقلة للانتخابات الخميس عن حذف اعتماد الحبر الانتخابي في الاستحقاق البلدي المقبل وتعويضه بالاستظهار ببطاقة التعريف الوطنية وتوقيع الناخب لدى عملية الاقتراع مخاوف الطبقة السياسية من أن تؤدي هذه الخطوة الجديدة إلى حصول إخلالات وتجاوزات قد تصل إلى تزوير الانتخابات خصوصا أن الاعتماد على الحبر الانتخابي في الانتخابات السابقة عامي 2011 و2014 قلّل بدرجة كبيرة من حدة التشكيكات في سير العملية الانتخابية.

وأتت أولى ردود الأفعال على إلغاء اعتماد الحبر الانتخابي في الاستحقاق البلدي على لسان حافظ قائد السبسي المدير التنفيذي للحزب الحاكم بكشفه في تدوينة نشرها على حسابه الخاص في فيسبوك أن "هيئة الانتخابات تعرّضت لضغوط عديدة لاعتماد إمضاء الناخبين عوض الحبر في الانتخابات البلدية القادمة".

وحذّر قائد السبسي من خطورة ما أسماه اللعب بالنار أو خضوع هيئة الانتخابات لهذه الضغوط ، مشيرا إلى أن حذف الحبر يعتبر ضربا لمصداقية العملية الانتخابية وشفافيتها وفتحا خطيرا لأبواب التزوير والتزييف بما سيُهدد لا فقط مصير الانتخابات البلدية بل أيضا مصير الاستقرار في تونس.

وردّ محمد التليلي منصري رئيس الهيئة العليا المستقلة للانتخابات في تصريح لـ "العرب " على اتهامات حزب نداء تونس بقوله "هيئة الانتخابات مستقلة ولا تتعرّض لأي ضغوط من أي طرف كان، لا داخليا ولا خارجيا"، مشيرا إلى أن فرقعة هذه الزوبعات لا تخدم الهيئة ولا الأحزاب ولا العملية الانتخابية برمّتها.

وأوضح رئيس الهيئة أن قرار حذف اعتماد الحبر الانتخابي لدى تصويت الناخبين على ورقة الاقتراع وتعويضه بالاستظهار فقط ببطاقة التعريف الوطنية ثم التوقيع على ورقة الاقتراع، تمّ اتخاذه بأغلبية أصوات أعضاء الهيئة لدى انعقاد مجلسها مؤخرا. وشرح التليلي منصري أسباب اتخاذ هذا القرار قائلا "اخترنا تعويض الاعتماد على الحبر الانتخابي بالتوقيع فقط لأن المرحلة تختلف تماما عمّا عاشته البلاد في الاستحقاقات الانتخابية السابقة عامي 2011 و2014 والتي تم فيها الاعتماد على الحبر وليس التوقيع.

وأشار إلى أن الهيئة التجأت في الاستحقاقات السابقة إلى الحبر لأنها كانت متخوفة من إمكانية إقدام نفس الناخب على التصويت مرتين باعتبار أنه كان بإمكانه التسجيل عبر الاستظهار ببطاقة التعريف الوطنية أو جواز السفر وذلك عكس الانتخابات البلدية التي تشترط وجوبا الاستظهار فقط ببطاقة التعريف الوطنية التونسية. وأكّد رئيس الهيئة أن كل الدول الديمقراطية تعتمد في الانتخابات على توقيع الناخب وليس على بصمته بالحبر الانتخابي، مؤكّدا أن عملية شراء الحبر الخاص بالانتخابات يتطلب كراس شروط وميزانية مالية كبرى ولذلك حاولت الهيئة التخفيف من أعباء ميزانية الدولة وعدم إثقالها بمصاريف أخرى ليست ملحة وضرورية، بحسب قوله.

الحبر مثار جدل جديد

وعلى عكس تصورات الهيئة، أكّد وسام السعيدي القيادي بحزب حركة نداء تونس أن هناك بالفعل مخاوف كبرى لدى حزبه من إمكانية أن تؤثر عملية حذف الحبر الانتخابي على سير العملية الانتخابية أو تفتح الأبواب على مصراعيها للتشكيك فيها أو الحديث عن حدوث تزييف وتزوير.

وشدّد على أن حزب نداء تونس فضّل مواصلة الاعتماد على الحبر الانتخابي خصوصا أنه تم استعماله في الانتخابات التشريعية عام 2011 والانتخابات التشريعية والرئاسية عام 2014 دون أن يشكّك أي طرف سياسي في العملية الانتخابية، حسب تعبيره.

وأكّد السعيدي ما قاله حافظ قائد السبسي حول تعرّض هيئة الانتخابات لضغوط أدت إلى حذف اعتماد الحبر الانتخابي، رافضا الكشف عن هوية الأطراف المقصودة ومُكتفيا بالقول إن قرار الهيئة قد يهدّد استقرار البلاد.

وبنفس مواقف حزب نداء تونس عبّرت أيضا أكثر أحزاب المعارضة الراديكالية في البلاد عن توجّسها من إقرار هيئة الانتخابات حذف الاعتماد على بصمة الناخب بالحبر الانتخابي في الانتخابات المحلية خصوصا أن الاقتصار على عملية التوقيع فقط أدّى سابقا في انتخابات ما قبل ثورة يناير 2011 إلى تزوير العملية الانتخابية بعد التفطن على سبيل المثال إلى أن الحزب الحاكم آنذاك في عهد الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي زجّ بأسماء مواطنين أموات في الانتخابات الرئاسية عامي 2004 و2009.

واستغرب غازي الشواشي الأمين العام لحزب التيار الديمقراطي (أحد أهم أحزاب المعارضة في تونس) في تصريح لـ"العرب" من إقدام هيئة الانتخابات على تعويض الحبر الانتخابي الذي حظي بإجماع كل مكونات الطبقة السياسية في الاستحقاقات السابقة التي تلت ثورة يناير 2011.

> إعلان الهيئة العليا للانتخابات عن حذف اعتماد الحبر الانتخابي في الاستحقاق البلدي المقبل وتعويضه بالاستظهار ببطاقة التعريف يثير المخاوف من احتمال حدوث تجاوزات

واعترف الشواشي بأن الاعتماد على الحبر الانتخابي غير معمول به في كل الديمقراطيات العريقة وأن حضوره يقتصر على الدول المتخلّفة أو التي هي في طور الديمقراطية الناشئة، مشيرا إلى أنه كان على الهيئة الإبقاء على نفس التجربة لتجنّب التشكيك في نزاهة الانتخابات البلدية المقبلة.

وحذّر الأمين العام لحزب التيار الديمقراطي من عدّة توجّسات أخرى لدى أحزاب المعارضة قد تؤدي إلى ضرب شفافية ومصداقية الانتخابات المحلية وفي مقدّمتها –وفق تعبيره– مراهنة الأطراف السياسية الكبرى على توظيف مسؤولي الدولة في تنفيذ أجندات انتخابية أو عبر شراء ذمم الناخبين بمال سياسي فاسد مما سيعرقل المسار الديمقراطي في تونس ويجعل من الانتخابات مشكوكا في أمرها.

الجيش السوري يعزل دوما عن باقي الغوطة الشرقية

مفاوضات مع قوات النظام لإخراج المدنيين أو المقاتلين

استعاد الجيش السوري زمام الأمور، السبت، في الغوطة الشرقية بعد عرقلة تقدّمه من قبل المعارضة خلال اليومين الأخيرين، من خلال تكثيف عملياته التي مكنته من عزل دوما أبرز مدن الغوطة الشرقية. ويزيد هذا التقدم من تضييق الخناق أكثر على الفصائل المعارضة للنظام، كما يعمّق أزمة إنسانية حادة في المنطقة.

❑ **دمشق** – تمكّن النظام السوري، السبت، من تطويق دوما أبرز مدن الغوطة الشرقية القريبة من العاصمة دمشق، وذلك بعد تقدم جديد للجيش الذي ينفذ حملة عسكرية في المنطقة منذ 18 فبراير الماضي استهدافا للمعارضة.

وعزل الجيش السوري مدينة دوما عن باقي الغوطة الشرقية، إثر تقدّم جديد ضيّق من خلاله الخناق أكثر على الفصائل المعارضة والمدنيين المحاصرين في هذه المنطقة.

ويقول المرصد السوري لحقوق الإنسان إن الجيش السوري تمكن بعزله مدينة دوما من تقسيم الغوطة الشرقية إلى ثلاثة أجزاء؛ دوما ومحيطها شمالا، حرستا غربا، وباقي المدن والبلدات التي تمتد من الوسط إلى الجنوب.

وتعد الغوطة الشرقية إحدى بوابات دمشق وتشكل منذ 2012 معقل الفصائل المعارضة قرب العاصمة ما جعلها هدفا دائما لقوات النظام. وفي إطار عملية عسكرية برية بعد حملة قصف عنيف، سيطرت قوات النظام السوري مؤخرا على أكثر من نصف مساحة الغوطة الشرقية.

وكانت الفصائل المعارضة شنت خلال اليومين الماضيين، وفق المرصد، هجمات مضادة ضد قوات النظام تمكنت خلالها من عرقلة تقدمها وإن بشكل محدود قبل أن تستعيد زمام الأمور السبت.

وقال رامي عبدالرحمن، مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان، "عزلت قوات النظام دوما، أبرز مدن الغوطة الشرقية، بعد سيطرتها على الطريق الذي يربطها بحرستا غربا وعلى مدينة مسرابا إلى الجنوب منها".

وتعد مدينة دوما معقل فصيل "جيش الإسلام" الأكثر نفوذا في الغوطة الشرقية.

وأفاد مراسل فرانس برس في مدينة دوما بوجود قصف جوي ومدفعي على المدينة التي يختبئ سكانها في الأقبية وبدت شوارعها خالية من الحركة، وهي التي استقبلت أصلا نازحين فروا من المعارك.

> تقدم قوات الجيش السوري يضيق الخناق أكثر على الفصائل المعارضة وعلى 400 ألف مدني محاصرين في الغوطة الشرقية منذ العام 2013

وأشار المراسل إلى أن سيارات الإسعاف التي تذهب لإجلاء الجرحى تجد صعوبة في العودة إلى المستشفيات جراء القصف.

وأورد المرصد أن "ثلاثين غارة جوية استهدفت دوما كما تنهال عليها العشرات من القذائف الصاروخية منذ ساعتين".

وأوضح عبدالرحمن أنه "بعزل دوما، تمكنت قوات النظام من تقطيع أوصال الغوطة الشرقية".

ومن شأن هذا التقدم أن يضيق الخناق أكثر على الفصائل المعارضة، كما على 400 ألف مدني محاصرين منذ العام 2013.

وتدور اشتباكات عنيفة أيضا بين قوات النظام وفصيل "فيلق الرحمن" في محيط بلدة مديرا (غرب) وقرب بلدات حمورية وسقبا وافتيريس (جنوب).

وأورد التلفزيون السوري الرسمي أن "الجيش يكثف من عملياته ويتقدم على ثلاثة محاور رئيسية هي مديرا ومسرابا وسقبا".

وتتزامن الاشتباكات مع هدنة إنسانية أعلنتها روسيا، تنص على وقف الأعمال القتالية لخمس ساعات يوميا. ويتخللها فتح "ممر إنساني" لخروج المدنيين. ولم يسجل منذ بدء تطبيق هذه الهدنة قبل عشرة أيام خروج أي من المدنيين وفق المرصد.

وتحدث الإعلام الرسمي السوري عن استحداث معبرين جديدين منذ الخميس، الأول جنوب الغوطة الشرقية قرب بلدة جسرين، والثاني في مدينة حرستا التي تسيطر قوات النظام على أجزاء منها.

ومع انتشال المزيد من الضحايا من تحت الأنقاض، ارتفعت حصيلة القتلى منذ بدء قوات النظام حملتها العسكرية في 18 فبراير إلى أكثر من 975 مدنيا بينهم 200 طفل. كما أصيب أكثر من 4300 آخرين بجروح.

ويعيد ما يحصل في الغوطة الشرقية إلى الأذهان معركة مدينة حلب التي حاصرت قوات النظام أحياءها الشرقية قبل أن تشن هجوما بريا تخللته عدة هدن مؤقتة، إلى أن انتهت المعركة بإجلاء الآلاف من المقاتلين المعارضين والمدنيين إلى مناطق تسيطر عليها الفصائل المقاتلة شمال غرب سوريا.

وقال عبدالرحمن إنه على هامش تقدم الجيش السوري تجري مفاوضات محلية بين قوات النظام ووجهاء من الغوطة الشرقية، للتوصل إلى حل "لوقف سفك الدماء إما عبر إخراج المدنيين أو إخراج المقاتلين". وإلى جانب تلك المبادرة، خرج 13 مقاتلا من هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقا) كانوا معتقلين لدى "جيش الإسلام" من الغوطة الشرقية إثر مشاورات بين هذا الفصيل والأمم المتحدة.

البحث عن فرصة حياة

وكانت الفصائل المعارضة في الغوطة الشرقية أعلنت التزامها بإجلاء مقاتلي هيئة تحرير الشام من الغوطة الشرقية بعد قرار لمجلس الأمن الدولي يطالب بوقف للأعمال الحربية "من دون تأخير" لمدة 30 يوما، مستثنيا تنظيمي الدولة الإسلامية والقاعدة وجبهة النصرة في إشارة إلى هيئة تحرير الشام وكل المجموعات والأشخاص المرتبطين بها. إلا أن الحكومة السورية تصنف كافة الفصائل التي تقاتلها بـ"الإرهابية".

وفاقمت الحملة العسكرية معاناة نحو 400 ألف شخص تحاصرهم قوات النظام في الغوطة الشرقية بشكل محكم منذ العام 2013. ودخلت، الجمعة، 13 شاحنة تحمل مواد غذائية إلى مدينة دوما بعدما تعذر إفراغ حمولتها جراء القصف الاثنين، حين مثلت أول قافلة مساعدات دخلت المنطقة منذ بدء التصعيد.

ولم تحمل قافلة المساعدات أي مستلزمات طبية. وكانت السلطات السورية منعت القافلة الاثنين من إدخال البعض من المواد الطبية الضرورية. وتحدثت اللجنة الدولية للصليب الأحمر عن "مؤشرات إيجابية" لإرسال قافلة أكبر تتضمن مواد طبية الأسبوع المقبل.

وعلى جبهة أخرى في سوريا، باتت القوات التركية والفصائل السورية الموالية لها، السبت، على بعد أربعة كيلومترات من مدينة عفرين في شمال سوريا وسط استمرار للمعارك العنيفة مع المقاتلين الأكراد.

تحذيرات عراقية من اجتياح داعش لسامراء

❑ **بغداد** – حذر رئيس لجنة الأمن والدفاع في البرلمان العراقي حاكم الزاملي، السبت، من اجتياح تنظيم داعش لمدينة تضم مراقد مقدسة لدى الشيعة في محافظة صلاح الدين شمالي البلاد.

وقتل 9 عناصر من تنظيم داعش، الجمعة، في صدّ هجوم واسع للتنظيم سعوا من خلاله للتسلل إلى مدينة سامراء بصلاح الدين والتي تبعد 125 كيلومترا شمال العاصمة بغداد.

وتعتبر مدينة سامراء مقدسة لدى الشيعة لوجود ضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري وهما من أئمة المسلمين الشيعة الإثني عشرية.

وقال الزاملي، خلال مؤتمر صحافي عقده في مدينة سامراء، إن "قوات الحشد الشعبي (شيعية حكومية) صدت الجمعة أكبر هجوم لداعش جنوب مدينة سامراء قتل خلاله عدد من عناصر التنظيم فضلا عن 3 من عناصر الحشد وإصابة آخرين".

وأوضح الزاملي أن "منطقة الفتحة جنوب مدينة سامراء أصبحت مأوى لخلايا تنظيم داعش، وهم يستغلون الفراغات الأمنية بين القطاعات العسكرية لشن الهجمات".

وحذر الزاملي من هجمات داعش، مبينا أن التنظيم يخطط للدخول إلى مدينة سامراء واستهداف المراقد الدينية فيها.

وتابع الزاملي أن "11 ألف عنصر من الحشد الشعبي ينتشرون في المنطقة الصحراوية على مسافة 70 كم جنوبي سامراء، وهي منطقة واسعة تحتاج إلى أعداد أخرى من القوات لمسكها"، لافتا إلى أن "المنطقة بحاجة إلى إعادة مسح وانتشار للقوات فيها بمشاركة وزارتي الدفاع والداخلية".

وكان تفجير المزار الشيعي في سامراء، عام 2006 على يد مجهولين، السبب المباشر لاندلاع أعمال عنف طائفية واسعة النطاق واستمرت نحو عامين في أرجاء العراق بين السنة والشيعة.

من جهة أخرى، قال جاسم محمد النائب من كتلة التحالف الوطني إن هناك تخريبا متعمدا للخدمات بدوافع سياسية، يحصل في محافظة كركوك شمالي البلاد. وقال محمد "هناك أعمال لا يمكن بأي حال تقبلها وتحصل بدوافع سياسية في كركوك، ومنها تخريب وسرقة أسلاك الطاقة الكهربائية، لإثارة الرأي العام حول غياب الخدمات في ظل سيطرة الحكومة الاتحادية على كركوك".

فيما أفاد النائب حسن تورهان، في بيان، أن هناك جهات تسعى إلى زعزعة الوضع الأمني في محافظة كركوك شمالي البلاد، لإفشال الانتخابات العامة في المدينة المقرر إجراؤها في 12 مايو المقبل. وأضاف "في الوقت الذي تشهد فيه كركوك استقرارا أمنيا نوعيا تستمر جهات مغرضة تستهدف إفشال النجاحات التي تحققت عبر ممارسات وعمليات إرهابية تريد زعزعة الأمن في كركوك وإرباك المشهد السياسي وترويع المواطنين".

الخلافات تهدد مستقبل حزب الوفد أقدم الأحزاب في مصر

❑ **القاهرة** – تجرى انتخابات حزب الوفد، وهو أقدم حزب سياسي في مصر، بعد يومين من انتهاء انتخابات رئاسة الجمهورية في 30 مارس الحالي، حيث سيتم انتخاب رئيس جديد للحزب خلفا للسيد البدوي شحاتة الذي قضى في رئاسة الحزب فترتين كاملتين.

وتأتي الانتخابات وسط صراعات سياسية لم يشهدها الحزب العريق من قبل بعد تأكد رحيل البدوي، الذي لا يحق له طبقا للائحة الحزب الترشح لفترة ثالثة.

وتجرى الانتخابات على رئاسة الحزب بين أربعة مرشحين هم: حسام الخولي نائب رئيس الحزب وبهاء أبوشقة السكرتير العام للحزب وياسر حسان مساعد رئيس الحزب وعلاء الوشاحي عضو الهيئة العليا للحزب.

ولا يحق لكل عضو بالحزب التصويت في الانتخابات، ويقتصر ذلك الحق على أعضاء مجالس إدارات اللجان بمختلف المحافظات.

وتنحصر المنافسة على مقعد رئيس الوفد بين مرشحين فقط هما: بهاء أبوشقة وحسام الخولي، بينما لا توجد فرص حقيقية لكل من المرشحين الآخرين.

ويعد أبوشقة من أقدم المحامين الوفديين وعضو مجلس النواب المصري وأكبر الأعضاء سنّا فيه وله علاقات قوية مع الحكومة المصرية، ونجله محمد أبوشقة المتحدث الرسمي باسم حملة ترشح الرئيس عبدالفتاح السيسي. ويجتمع حول أبوشقة عدد كبير من قدامى الوفديين والقيادات الوسطى بالحزب، والأعضاء المناوئين للسيد البدوي رئيس الحزب الحالي. أما حسام الخولي، فهو مهندس ويعمل بإدارة البعض من المشروعات ويحوز على مساندة البعض من رجال الأعمال بالحزب ويعتمد على ميل قطاع كبير من الشباب نحوه.

وتتجاوز صراعات الأطراف الرئيسية داخل الحزب الانتخابات القادمة، وتستعر في الكواليس معركة ساخنة بين قدامى الوفديين وما يسمّى بالوفديين الجدد. وضم السيد البدوي الوفديين الجدد عقب انتخابات 2010، ومعظمهم جاؤوا من أحزاب أخرى بينها الحزب الوطني الديمقراطي، وكان حزبا حاكما خلال عهد الرئيس الأسبق حسني مبارك وتم حله بعد ثورة 25 يناير 2011.

ويطلق قدامى الوفديين على المنضمين حديثا للحزب مصطلح "الوافدون" ويرون أن انضمامهم تم على خلاف ثوابت الوفد الذي كان يوصف من قبل بحزب "الجلاليب الزرقاء"، تعبيرا عن الطبقة الوسطى التي تمثل الشريحة الأكثر فاعلية في المجتمع المصري. وقال عصام شيحة، القيادي السابق بحزب الوفد، إن هذه الانتخابات "ونتيجتها لن تأتي بجديد" لأن المنافسة محصورة بين قيادات تولت مناصب عليا وكانت مساهمة في صنع القرارات السياسية للحزب على مدار 8 سنوات ماضية. وأوضح لـ"العرب"، أن إغلاق باب الترشح على أربعة مرشحين يمثلون تيارا واحدا قاده السيد البدوي رئيس الحزب الحالي قبل أن تحدث بينهم انقسامات مؤخرا، يبرهن على أنه لا توجد رؤية للمستقبل. وتابع أنه لهذا السبب تحولت الانتخابات إلى صراع بين أجيال وافدة جديدة للحزب وأخرى قديمة رأت أن المستقبل تتم تهيئته لصالح شخصيات يثق فيها رئيس الحزب الحالي.

وتأتي المعارك الراهنة بين الأطراف المتصارعة في الحزب قبل أشهر قليلة من احتفال حزب الوفد بمرور مئة سنة على تأسيسه، على يد سعد باشا زغلول في نوفمبر 1918. ورغم الاستقلال الظاهر لحزب الوفد عن الحكومة حاليا، إلا أن أجهزتها الأمنية تلعب دورا مؤثرا لترجيح كفة مرشح على حساب آخر، ما دفع بهاء أبوشقة إلى عقد مؤتمر حاشد في مقر الحزب لتأييد الرئيس السيسي لفترة رئاسية ثانية وكان محل تندّر لدى أعضاء الحزب. ويسعى السيد البدوي، وهو رجل أعمال أيضا، إلى الخروج الآمن بعد تعثر شركاته ومشروعاته نتيجة التفرّغ لأعمال الحزب. ويحاول أن يلعب دورا لترجيح كفة مرشح على حساب آخر كي يضمن عدم تجديد اتهامه بتبديد أموال الحزب من قبل خصومه. كما يسعى للضغط على الطرفين استنادا لامتلاكه نسبة من المؤيدين تتجاوز الـ25 بالمئة من أعضاء الجمعية العمومية.

> لا يحق لكل عضو بحزب الوفد المصري التصويت في الانتخابات الداخلية، ويقتصر ذلك الحق على أعضاء مجالس إدارات اللجان بمختلف المحافظات بحسب مقتضيات النظام الداخلي

هل يتحصن الوفد بتاريخه

وأشار عصام شيحة إلى أن وجود مشكلات مادية داخل الحزب تفتح الباب لملاحقات قضائية للسيد البدوي مستقبلا، وهي التي حسمت بشكل أساسي دعمه لنائبه حسام الخولي الذي يعد الطرف الأقرب إليه وهي أيضا ورقة لعب عليها الحرس القديم داخل الحزب للحصول على أكبر دعم من الأعضاء.

وكشفت مصادر خاصة لـ"العرب"، أن الطرف الأقرب للمكسب خلال الانتخابات المقبلة هو الذي يدعمه البدوي الذي يسيطر على آليات إجراء الانتخابات حتى الآن والحكومة المصرية معا. وتؤكد السوابق التاريخية أن انتخابات الحزب لا تكون محصورة داخل جدرانه فقط. وتتمثل الأزمة الحقيقية في إصرار كل طرف على إقصاء الآخر، وهناك فريق يرى أن أبوشقة ضروري للتخلص من كافة رجال الأعمال والوافدين الجدد للحزب. بينما يرى فريق آخر مؤيد للخولي، أن الوفديين القدامى لا يمتلكون سوى شعارات تاريخية ولا يطرحون رؤى حقيقية لإحياء الحزب في الشارع السياسي.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

مصطفى بن جعفر: المصالحة الشاملة ضرورة لاستقرار تونس

- حكومة الوحدة الوطنية مغالطة كبرى
- مجال الحريات تراجع بشكل ملموس
- التضاد بين النداء والنهضة يقسّم البلاد

رغم حالة التجاذب السياسي التي يتسم بها المشهد السياسي الحالي في تونس وبحث النخبة الحاكمة عن فرص المزيد من النفوذ والتموقع مع اقتراب الانتخابات المحلية (البلدية) في مايو القادم، فإن شخصيات وطنية عرفتها البلاد بعد ثورة يناير أسهمت في استقرارها وخلق مناخ من الديمقراطية يشيد به العالم. ومن بين هؤلاء السياسي التونسي المخضرم مصطفى بن جعفر، رئيس المجلس الوطني التأسيسي المؤقت (البرلمان اليوم) في الفترة الممتدة بين 2011 و2014، الذي استطاع رغم حجم الضغوط الذي عاشها حزبه المشارك في الائتلاف الحاكم آنذاك أن يقف على صياغة الدستور حماية للانتقال الديمقراطي، ما جعله يدفع ثمن ذلك من شعبية وحظوظ حزبه في انتخابات 2014. وفي حواره مع "العرب" يقدم بن جعفر تقييما للمشهد السياسي الحالي الذي رأى أنه بحاجة إلى مصالحة وطنية بين كل الأطياف الفكرية والعائلات الأيديولوجية في البلاد.

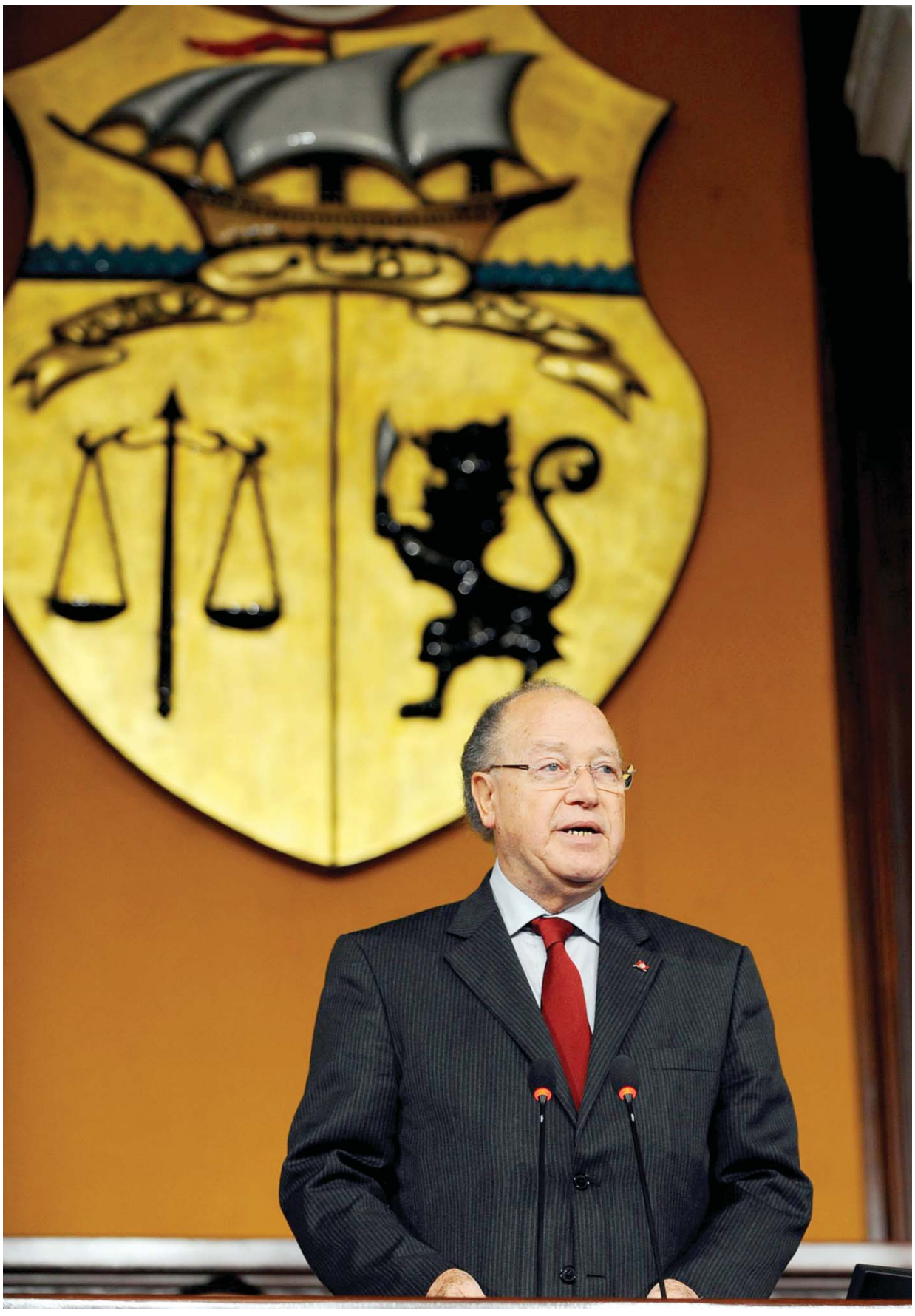

سياسي مخضرم دفع حزبه ثمن أخطاء فترة الترويكا

آمنة جبران

❑ **تونس** – يجمع متابعون للشأن التونسي على أن حالة التوافق التي تغلبت على الاختلافات الأيديولوجية والفكرية التي دبّت بين النخب التي اعتلت الساحة السياسية منذ الإطاحة بنظام الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي يناير عام 2011، كان صداها واضحا في إنقاذ البلاد من براثن أزمة سياسية واجتماعية مجهولة المصير. ومن بين الشخصيات الوطنية التي نجحت في فرض التوافق على الفرقاء حماية للمسار الانتقالي وللديمقراطية الناشئة، السياسي والحقوقي والمعارض لحكم بن علي مصطفى بن جعفر، مؤسس حزب التكتل وأمينه العام الأسبق، الذي انتخب رئيسا للمجلس الوطني التأسيسي (برلمان مؤقت) في نوفمبر 2011 بأغلبية 145 صوتا.

وترأس مصطفى بن جعفر من حزب التكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات المجلس التأسيسي (البرلمان حاليا) عقب انتخابات أكتوبر 2011، وخاض حزبه تجربة الائتلاف الحكومي مع حزب حركة النهضة (إسلامية) وحزب المؤتمر من أجل الجمهورية (يساري) إلى حدود الانتخابات التشريعية والرئاسية عام 2014، التي تم بمقتضاها تشكيل مشهد سياسي جديد في البلاد.

> المفارقة اليوم في المشهد السياسي هو أن هناك أغلبية على الورق لكن الحزام السياسي الذي من المفروض أن يساند الفريق الحكومي غير موجود

ولم تكن مهمة بن جعفر، بالسهلة أمام حالة الجدل الذي أثاره ائتلاف حزبه مع حركة النهضة، حيث لم تخف أصوات معارضة قلقها من وجودهما على رأس الحكم في حين تلقى بن جعفر انتقادات لاذعة رغم نجاحه في الإشراف على صياغة دستور توافقي أشادت به ديمقراطيات العالم، ما أسهم في تراجع شعبية حزب التكتل وفي تغيير المعادلة السياسية لصالح منافسيه عبر اقتراع 2014.

وفي حواره مع "العرب" قيم بن جعفر المشهد السياسي الحالي بالبلد، مفسرا أوجه الاختلاف بين الائتلاف الحاكم قبل انتخابات 2014 وبعدها، ورأى أن تحالف نداء تونس وحركة النهضة يفتقد إلى برنامج ومشروع استطاع هذا التحالف أن يقنع به جميع التونسيين.

الفرق بين المرحلتين

استهل بن جعفر الحوار بحديثه عن التوافق بما يحمله من معنى "سحري" في أحلك أزمات البلاد التي عاشتها تونس خلال المراحل الأولى من عملية الانتقال الديمقراطي غير أنه في واقع البلاد اليوم بات سببا في حالة التأزم السياسي. وقال إن "التوافق كانت كلمة سحرية في وقت من الأوقات وقت الأزمة التي مرت بها البلاد في المرحلة الانتقالية وأثناء صياغة الدستور".

وأكد أنه "كان من الضروري أن يحصل التوافق في تلك الفترة للخروج من الأزمة وحماية المسار الانتقالي حتى لا يتعثر أو يتعطل.. كان معنى يفرضه الظرف آنذاك". أما بعد عام 2014، فكان من المفروض، وفق بن جعفر، أن "ننتقل من الوضع المؤقت إلى الوضع القار الذي يدخل في باب أغلبية حاكمة لها برنامج تدخله حيز التنفيذ ثم تحاسب عليه هذا الأساس".

ورأى بن جعفر أنه "كانت هناك برامج اقتصادية واجتماعية لكن حولها خلاف بين اليسار واليمين والوسط والاشتراكي، لذلك لا يمكن أن نتوافق إلا في الحالات الضرورية والاستثنائية". واستغرب من أنه "على رغم من تشكيل أغلبية منسجمة بعد انتخابات 2014 كان من المتوقع أن تقدم مشروعها للشعب لكن ما وقع هو العكس تماما، فالأغلبية التي منحها الشعب ثقته تخلت عن هذه المسؤولية وحاولت ضمن أهدافها الأساسية وضمانا لديمومتها واستقرارها، تشكيل تحالف أوسع".

وتابع "للأسف الشديد كان هذا التحالف أكثر العناصر المساهمة في هذا الوضع المكبل على كل المستويات. والسبب الأصلي هو غياب الانسجام بين الفريق الحكومي. والانعكاسات السلبية لذلك واضحة للجميع الآن".

ووصف بن جعفر الوضع اليوم بأنه "متدهور على كل المقاييس إضافة إلى غياب الانسجام داخل نفس الفريق"، لافتا إلى أن "صورة الائتلاف التي تشكلت قبل 2014 كان فيه هامش واسع من الانسجام لا يبدو متوفرا اليوم".

وبين أن الأغلبية الحاكمة هي أغلبية مريحة لكن على الورق، لكنه فسر في المقابل ذلك بقوله "الأغلبية في ظرف عادي ومنطقي تعطي لأداء الحكومة أريحية أكبر لكي تطبق ما يريد لكن في الواقع ما وقع هو خلاف ذلك، الصراعات والتجاذبات الداخلية لدى الأحزاب التي من المفروض أن تساند الحكومة وصلت إلى نوع انفجار كحالة التصدع بحزب نداء تونس الذي انقسم إلى ثلاثة أو أربعة أحزاب، الأمر الذي عقد الشأن السياسي أكثر".

ورأى أن هناك غيابا للعمل السياسي لإقناع المواطن بهذا التحالف ذي الاختلافات الأيديولوجية، حيث لا يوجد حديث عن ذلك إلا في مناسبات قليلة تثار فيها الخلافات حول الهوية ومشروع النهضة والنداء. واليوم نحن على أبواب الانتخابات البلدية سنشاهد أن هذه القضية التي أصبحت بمثابة أصل تجاري تثار لأسباب انتخابية سياسوية.

ولفت أن "التحالف الحاكم غير مبني على أرضية صلبة ولم يقنع المواطن بمشروعه والنواحي الإيجابية فيه، حتى يكون هناك انسجام حكومي مجتمعي، ولنسخر بذلك طاقتنا للبحث عن حلول للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يشكو منها المواطن."

واعتبر أن "المشهد السياسي اليوم في حالة تكتل وانقسام بين الأحزاب بما يدل على حالة ارتباك قصوى وعدم وضوح في مرجعيات العمل السياسي الديمقراطي الجدي. كما أن النخبة السياسية لم تساهم في خلق مرجعية سياسية للبلاد". ورأى أن النخبة لم تكن في مستوى اللحظة التاريخية للثورة، إذ أنها انغمست مباشرة في حرب وصراعات على المواقع.

المصالحة الشاملة

اعتبر مصطفى بن جعفر أن الخروج من الظرف الاقتصادي الصعب التي تمر به تونس منذ سبع سنوات يتطلب أساسا انسجاما بين الفريق الحاكم. وبين أن القضية الأم هي توفير فريق منسجم له رؤية متناسقة وبرنامج واقعي يقدمه للشعب ويتحمل مسؤولية نجاحه أو فشله، وهذا غير موجود حاليا.

وقال إن المصالحة مع كل الأحزاب المضطهدة في زمن الدكتاتورية السياسية مع بقية الأطراف الأخرى ضرورة للاستقرار البلاد، لافتا إلى أن ذلك يتحقق بالعمل البيداغوجي وليس بالمهاترات السياسية.

وأردف "المطلوب اليوم مصالحة وانسجام في الرؤية بين كل الأطراف حتى نعيش جميعا كتونسيين ننتمي إلى نفس الوطن لذلك من الضروري أن نحقق مصالحة شاملة بأدوات بيداغوجية وعمل فكري وفي إطار مفاهيم العدالة الانتقالية".

ورأى بن جعفر أن المشهد السياسي يتشكل انطلاقا من برامج تنموية تأخذ بعين الاعتبار مختلف التوجهات الحزبية، وقال في هذا الخصوص "لنيسّر للمواطن الخيار لأنه في ضبابية مطلقة اليوم إضافة إلى كونه ضحية عمل ممنهج لتشويه الأحزاب بصفة عامة. إذ أننا نشكو من عزوف المواطن".

وإذا لم تنجح البلاد في تحقيق مصالحة "فإننا نحفر قبرنا بأيدينا"، وفق تعبيره. وأكد أن "تغيير النتيجة يتطلب استقرارا في البلاد الذي لن يتأتى إلا في إطار المصالحة لأن الاستقرار ليس أمنيا فقط بل يجب أن يقبل التونسي الآخر لأن مصيرنا مشترك ثم نفكر بعد ذلك في تشكيل عائلات فكرية وسياسية".

وبسؤاله عن المخاوف من مظاهر التشدد والإرهاب في تونس، أكد بن جعفر أن "دولة القانون قادرة على التغلب عليه. ولو تمكنا من ذلك سنستطيع الخروج من هذا الوضع المتردي على كل المستويات".

وفي معرض تقييمه العمل البرلماني ومدى تطبيق مبادئ دستور 2014 الذي يعد مكسبا للديمقراطية بإشادة المراقبين، يشير بن جعفر حاملا في يديه وثيقة الدستور قائلا إن "المؤسسات التي طالب بها الدستور وقع التعامل معها بالكثير من الاستخفاف كمجلة الجماعات الملحية والهيئات الدستورية، وهذا يعكس غياب إرادة سياسية في عدم تركيز المؤسسات الرقابية ومن أبرزها المحكمة الدستورية التي تمثل الضمانة لتطبيق علوية الدستور والتي يسجل تاريخ تأسيسها تأخيرا فاق السنتين وهذا غير مسموح به بالمرة بل فيه خرق وتطاول على إرادة الشعب الممثلة في فصول دستور 2014".

واعتبر أن "هناك من يتجاهل أننا قمنا بثورة وتغيير ويريد أن نعمل كالسابق، وهذا يثير المخاوف على مكتسبات الثورة أكثر من ظاهرة غياب النواب وتجاذباتهم على مرأى ومسمع من الشعب".

وقال "نحن نتدرّب على تجربة جديدة وهي الديمقراطية وذلك يحتاج إلى وضوح الرؤية وحس وطني، وهو للأسف غير متوفر ومسؤولية النخب واضحة وكأنها وضعت الدستور بين قوسين."

لكن من النتائج الإيجابية أن دستور 2014 سيكفل حضورا للمرأة والشباب والحامل للإعاقة في الانتخابات المحلية القادمة. وأشار إلى أنه "إذا طبقنا الدستور ستتغير صورة تونس في السنوات القادمة وستكون تونس متميزة جدا مقارنة بالمجتمعات العربية الإسلامية الأخرى لما تكفله من حريات كحرية المعتقد والضمير".

واعتبر بن جعفر أن الانتخابات البلدية واحترام اللامركزية يعيدان للمواطن مواطنته ويدربانه على المسؤولية بعد منحه الآليات، ما يجعله يبتعد عن اللجوء إلى لغة الشارع للاحتجاج.

ورغم أن امتحان الانتخابات شروطها لم تتوفر بعد لنجاحها، لكن يظل المنعرج الخطير في الحياة السياسية بتونس وهو الانتخابات وقد خصص لها دستور 2014 الباب السابع كاملا باعتبار أن الديمقراطية المحلية من متطلبات الثورة ولتوسيع رقعة القرار المحلي لدى المواطنين وليس أفضل من الحكم المحلي لبلورة هذه الديمقراطية التشاركية.

وفي هذا السياق أوضح بن جعفر أن تونس تدخل العملية الانتخابية دون تكافؤ الفرص بسبب عدم تطبيق القانون أساسي المنظم للانتخابات. وأكد أنه "إذا تجاوزنا هذه المرحلة إلى مرحلة المؤسسات الدستورية التي نبنيها لتركيز الديمقراطية نستطيع الاطمئنان على مستقبل تونس"، مبينا أن "اليوم هناك محاولات من قبل بعض الأطراف لجعل السلطة مركزية أكثر متناسين أن المركزية المشطة هي التي قادت إلى الثورة".

وأضاف بن جعفر أن "الديمقراطية ليست كلاما فقط أو شعارا بل هي ممارسة وثقافة لكن للأسف غير موجودة ومازلنا في مستوى محترم". واعتبر أن تعليق فشل النخب السياسية على الدستور هو بمثابة تهرب من المسؤولية ومغالطة. لكنه في المقابل تساءل "ما دخل الدستور في تفكك نداء تونس أو هل هو السبب في تحالف النداء والنهضة أو في تدهور الدينار وارتفاع المديونية؟

وأشار إلى أن الدستور حظي بإجماع أكثر من 200 صوت ويجب احترامه وتطبيقه وتقييمه بنفس الشكل الذي اشتغل عليه وله من المزايا ما يميزه عن العديد من الدساتير المحترمة في العالم كونه عملا وهذا يقر به الملاحظون الذين شاركوا فيه والدليل على ذلك أن كل العائلات الفكرية تشيد به في العالم، وهو أيضا مكسب يرى الأجانب أنه طريق للحفاظ على الحريات في تونس، وهذا يجعلنا نقدمه بصورة لامعة في الخارج فيما يتم انتقاده في الداخل".

حزب التكتل

اعترف بن جعفر أن حزب التكتل تلقى ضربة قوية منذ خسارته انتخابات 2014 لكنه تدارك وقام بعملية تقييم دامت سنة ثم أعد مؤتمره في أفضل الظروف وحقق تداولا يكاد يكون مثاليا مقارنة مع ما يحدث في الأحزاب الأخرى.

> تعليق النخب السياسية فشلها على الدستور تهرب من المسؤولية ومغالطة. ما دخل الدستور في تفكك نداء تونس.. أو هل هو السبب في تحالف النداء والنهضة أو في ارتفاع المديونية

وعلى مستوى التجارب أقر مؤسس الحزب بأن اليوم لسنا في أفضل حال لكن قلت ذات مرة إن التكتل احترق من أجل تونس، من أجل تحقيق هدف أسمى من كل الأهداف الأخرى وهو نجاح الانتقال الديمقراطي وصياغة دستور توافقي بأخف الأضرار على البلاد. طبعا كان هناك ثمن لكل هذا مع الضغط الذي واجهته الترويكا والاتهامات التي طالت الحزب إلى درجة التخوين.

عندما يحتفل النظام السوري بذكرى كارثة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ من أطرف ما شهدته الأيّام القليلة الماضية صدور بيان عن القيادة القطرية لحزب البعث في سوريا في مناسبة مرور خمسة وخمسين عاما على الانقلاب العسكري الذي جاء بهذا الحزب إلى السلطة في الثامن من آذار – مارس من العام 1963. قتل ذلك الانقلاب، الذي خطط له في الواقع ضباط علويون، على رأسهم محمّد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد، أي أمل في أن تقوم لسوريا قيامة في يوم من الأيّام.

> النظام السوري لا يستطيع في الوقت الراهن استيعاب أن الخيار الوحيد الذي بقي أمامه هو الرحيل من دمشق. عاجلا أم آجلا سيحتفل السوريون بجلاء النظام عن دمشق. سيحصل ذلك بعد تدمير الغوطة الشرقية وتهجير أهلها من منطلق مذهبي ليس إلا تلبية لرغبات إيران

ما زرعه النظام الأمني، الذي قام مع الوحدة المصرية – السورية في العام 1958، من بؤس وقمع وتهجير لأبناء الطبقة المعلّمة والمستنيرة والبورجوازية السنّية والمسيحية، حصده الضبّاط الذين انقلبوا على "الانفصاليين" الذين حاولوا إعادة الحياة إلى سوريا عندما أنهوا الوحدة مع مصر في الثامن والعشرين من أيلول – سبتمبر 1961.

كان الانفصال المحاولة اليتيمة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من سوريا المؤهلة، في الماضي طبعا، لأن تكون إحدى الدول الطليعية في المنطقة. بدل أن تلعب سوريا دورا طليعياً، سقطت في يد الأجهزة الأمنية التي كانت الوسيلة التي لجأ إليها الضباط العلويون ثمّ حافظ الأسد ابتداء من خريف العام 1970 لإقامة نظام أقلّوي تحت شعار "الحركة التصحيحية".

تحول هذا النظام الأقلّوي بعد العام 2000، في عهد بشّار الأسد إلى نظام عائلي. لعلّ الميزة الأهم لهذا النظام السوري في عهد الأسد الابن كونه يرفض الاعتراف بالواقع السوري وبالحال التي وصلت إليها سوريا التي صارت تعاني من خمسة احتلالات، بل صارت تحت خمس وصايات.

من يقرأ البيان الصادر عن القيادة القطرية لحزب البعث يحتار بين الضحك والبكاء. لكن هذه الحيرة تتوقف عند الوصول إلى بعض المقاطع التي تؤكد أن النظام السوري يعيش في عالم آخر. من بين العبارات الواردة في البيان تلك التي ورد فيها الآتي "في إطار التطوير الذاتي هذا، استقامت الثورة (انقلاب الثامن من آذار 1963) بالحركة التصحيحية (في العام 1970) التي قادها القائد المؤسس حافظ الأسد. واندفعت عملية التنمية الشاملة على المستوى الداخلي مترافقة مع سياسة قومية عربية فاعلة ومواقف دولية تؤكّد أهميّة السيادة واستقلال القرار. هذا التطوّر النوعي جعل من سوريا دولة مستقلة تماما في منطقة عزّ فيها الاستقلال. دولة متحرّرة من قيود البيوتات المالية الدولية وشروطها. إن تعاظم دور سوريا في المنطقة وعلى المستوى العالمي جعل أعداء العروبة والاستقلال والإنسانية يحشدون كل ما لديهم من طاقات وإمكانات لمواجهة سوريا. يدفعهم في ذلك خوف من أن تنتقل عدوى الاستقلال إلى دول أخرى..".

تختزل هذه المقاطع الواقع السوري. هناك نظام يتحدّث عن الاستقلال فيما البلد واقع تحت خمسة احتلالات. يسيطر الأميركيون على ثلث الأراضي السورية وعلى معظم ثروات البلد. ويسيطر الروسي على الساحل السوري وتركيا على مساحة تزيد على مساحة لبنان من الأراضي السورية. ويسيطر الإيراني على دمشق وعلى جزء من الجنوب السوري، فيما لا يزال الإسرائيلي في الجولان المحتل منذ العام 1967، أي منذ ما يزيد على نصف قرن بقليل.

إذا كان من دور لعبه النظام السوري، منذ العام 1963، مع التوقف عند محطتي 1966 و1970، فهذا الدور يتمثّل في تفتيت سوريا ولا شيء آخر غير ذلك. عندما يتحدّث هذا النظام، الذي تذكّر أخيرا حزب البعث وانقلاب 1963، عن الاستقلال فإنّه يبحث عن غطاء لعملية الاغتيال التي نفّذت ببطء واستهدفت التخلص من سوريا.

لا يستطيع النظام السوري في الوقت الراهن استيعاب أن الخيار الوحيد الذي بقي أمامه هو الرحيل من دمشق. عاجلا أم آجلا سيحتفل السوريون بجلاء النظام عن دمشق. سيحصل ذلك بعد تدمير الغوطة الشرقية وتهجير أهلها من منطلق مذهبي ليس إلّا تلبية لرغبات إيران.

السيادة الوطنية وفق مفهوم نظام الأسد

عاجلا أم آجلا أيضا، سيجد النظام السوري نفسه أمام حائط مسدود. يعود ذلك إلى أن الجانب الروسي الذي يعاونه في الخلاص من الغوطة الشرقية يريده ورقة ضغط في مفاوضات مع الأميركيين تتجاوز سوريا. تكمن مشكلة موسكو في أنّ إدارة ترامب ليست في وارد إعطاء شيء لفلاديمير بوتين في مقابل رأس بشار الأسد.

يعرف النظام ذلك وهو يمتلك ما يكفي من الدهاء لتوريط الجانب الروسي في لعبة لا أفق لها ما دام في وضع يستطيع فيه الرهان على منافسة بين موسكو وطهران وعلى تجاذب بين العاصمتين عنوانه لمن ستكون الكلمة الأخيرة في دمشق في مرحلة ما بعد رحيل بشار الأسد.

في انتظار الرحيل عن دمشق والمعركة الكبيرة التي سيشهدها الجنوب السوري في حال إصرار إيران على البقاء فيه وعلى أن تكون دولة متوسطية، ليس أمام النظام سوى متابعة ممارسة لعبة الهروب إلى أمام. ليس البيان الصادر عن القيادة القطرية لحزب البعث سوى دليل آخر على أن النظام يعاني من مرض التوحّد. يمنعه هذا المرض من رؤية الأمور كما هي وأن يكون على تماس مع الواقع، بما في ذلك أنّ النظام الذي أقامه حافظ الأسد لم يكن في يوم من الأيّام سوى أداة تستخدم في لعبة لم يكن من هدف نهائي لها سوى الانتهاء من سوريا عمليا.

مؤسف أن عربا كثيرين لم يفهموا ذلك منذ البداية. تغاضوا عن تسليم الجولان لإسرائيل في العام 1967، عندما كان الأسد الأب لا يزال وزيرا للدفاع. تغاضوا عن الدور الذي لعبه النظام في توريط الفلسطينيين في حروب لبنان من أجل القضاء على الوطن الصغير. تغاضوا عن الدور الذي لعبه النظام في إدخال إيران إلى سوريا ثم إلى لبنان بهدف تأجيج الصراع المذهبي في تلك المناطق. تغاضوا عن دوره التآمري على العراق في كلّ وقت من الأوقات. هذا غيض من فيض ممارسات النظام في نصف قرن وأكثر.

هناك لائحة لا تنتهي وربّما لن تنتهي يوما لإنجازات النظام السوري الذي لا يخجل من ترديد كلمة "استقلال" ومن استعادة ذكرى الكارثة التي حلت بسوريا في مثل هذه الأيّام من العام 1963. هل من نظام في العالم يفتخر بكارثة ويلجأ إلى ذكرى تلك الكارثة لتبرير حربه على شعبه؟

متى ينتهي دور النظام السوري. لن ينتهي قبل الانتهاء من سوريا. السيناريو اليوغوسلافي صار جاهزا. قد يكون هذا السيناريو الوحيد الذي يصلح لسوريا ما بعد المراحل التي مرّت فيها منذ استيلاء البعث على السلطة قبل خمسة وخمسين عاما...

من أبوظبي إلى من يهمه الأمر

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❏ ما الفرق بين وطن يبني كل يوم جسرا جديدا وعمارة جديدة ليسعد أهله، وبين وطن يرمي على مواطنيه البراميل المتفجرة من السماء فيقتل أطفاله ونساءه وشيوخه، ويهدم كل يوم قرية أو حيّا في مدينة، ويمحو جسرا وتمثالا وعمارة؟

وما الفرق بين وطن يحبّ أهله وينفق أمواله على صحتهم وتعليمهم وحماية أمنهم، وبين آخر يختلس حكّامُه أموال شعوبهم، ويبيعون أوطانهم لكل غاز ومحتل، ويقتلون علماءها ومفكريها وخبراءها ومبدعيها، ويطردون مَن لم يمت منهم في سجونهم أو على أيدي جلاديهم ومختطفيهم وشبيحتهم، وينثرونهم لاجئين ومهجّرين وشحاذين على أبواب البلاد القريبة والبعيدة؟

وما الفرق بين وطن يبحث حكّامه عن المفكرين والخبراء والمستثمرين من ضيوفهم فيغدقون عليهم بلا هوادة ولا افتعال، ويفتحون لهم قلوبهم وعقولهم، ويُشركونهم في صنع غد أكثر أمنا وتقدما وجمالا، فيجعلون بلادهم قبلة لكل مؤتمر ومنتدى وحلقة من حلقات البحوث والعلوم والفنون، وبين وطن آخر يكره ذلك كله، ويغلق أبوابه ويحبس من تبقى من أهلهم في ظلام وخراب وخوف؟

في 23 فبراير 1971 زرت إمارة أبوظبي ضمن الوفد الإعلامي العراقي الذي حضر مؤتمر الإذاعات العربية في مدينة العين. لم يكن فيها، يومها، غير رمال وغبار ودكاكين طينية متناثرة ومنازل صغيرة مبعثرة بلا نظام.

ثم أقمت فيها عام 1975، حين لم يكن فيها غير شارع مبلط واحد اسمُه شارع حمدان، وعمارة واحدة اسمها عمارة حمدان، ومحطة تلفزيونها في شقة صغيرة فوق السوق الشعبي البسيط. لم تكن أبوظبي يومها سوى مساحات هائلة من الرمل، وشواطئ قاحلة على الخليج.

أمس، عدت إليها لأبحث عن تلك الأبوظبي التي كنت عرفتها قبل نصف قرن فلم أجد منها أي شيء. وجدت دولة كلها معجزات لا تتوفر أمثالها إلا في أرقى بلدان العالم المتقدم المتطور الحديث.

إنّ الذي وجدته مذهلا أكثر من العمارات الشاهقة والساحات المزهرة والشواطئ العامرة المضيئة والحدائق المدهشة هو تلك الشخصية الظبيانية المتفتحة الطامحة المنشغلة فقط بالبناء والتطوير، والتي نفتقدها في كثير من أخواتها من دول العروبة الصامدة ذات الماضي الحضاري الضارب في أعماق التاريخ، كالعراق وسوريا ولبنان وليبيا وغيرها.

سألت نفسي، ما الذي جعل هذه منارة علم وأمن وأمان وعمارة حتى غدت واحدة من القوى الفاعلة المهابة ليس في الخليج العربي وحده، ولا في المنطقة العربية وحدها، بل في العالم القوي الكبير؟

تبيّن أن الذي أخفى أبوظبي القديمة التي عرفتها قبل نصف قرن، وأخرج إلى العالم هذه الأبوظبي الجديدة المتحضرة المزهرة العامرة الساحرة المتفردة بقيادتها وشعبها وضيوفها هو حاكم واحد وهبه الله الحكمة والطيبة والمسالمة والنظر البعيد.

استطاع المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أن يزرع في أولاده وبناته، وفي كل مواطن من مواطنيه، وكل ضيف من ضيوفه قدرا هائلا من التهذيب والخلق والنزاهة والتواضع وإرادة التغيير والإصرار على الإبحار بحاضر بلاده ومستقبلها في بحار الزمن الصعب وإيصالها إلى شاطئ الأمان.

بالمقابل تعالوا نتأمل حالنا في دولنا (ذات الماضي الحضاري العريق الضارب في أعماق التاريخ) في قرن كامل من الزمان. فكم دخل علينا من أموال، وكيف أنفقناها، وأين؟ ومن قتَل مَن باسم الوطن والوطنية؟ وكم من عالم وخبير ومبدع ومثقف وفنان وقائد عسكري فذ سحقه الوطن بالانقلابات والإقتتال والاجتثاث والخطف والاعتقال، أو طُوح به وبعلمه وخبرته ومواهبه في بلاد الله الواسعة؟

وكم من أحمق وعميل ومتخلف ومتعطش للدم وللمال الحرام قفز، في غفلة، من آخر الصفوف واغتصب السلطة، فتكبَّر وتجبّر، وظن أنْ لا عاصم له من غضب الله والزمن والتاريخ، ثم سقط تحت جنازير دبابة، أو على خشبة مقصلة، أو برصاصة غادرة؟

في محاضرة قيّمة ألقاها رئيس جامعة الإمارات الدكتور علي راشد النعيمي، قبل أيام، تكشفت لنا فوارق هائلة بين أبوظبي التي حلق بها حكامها في الفضاء، وبين أوطاننا التي سجنها أهلها في ماضيها، ومنعوها من الخروج إلى الحاضر الإنساني المتطور الحديث.

ولعل أبرز تلك الفروق هو الاعتزاز والحرص والعناية بما فيها من تنوع هائل وكبير في لغات وثقافات وأجناس بشر جاؤوها من كل أنحاء العالم ليساهموا في تحقيق معجزات أقرّ المحاضر بحقهم جميعا في أن يفخروا بصنعها.

ويعترف بأن لهذا التنوع فضيلة مهمّة أخرى أكبر من بناء العمارات والجسور والشواطئ والمدارس والجامعات والمستشفيات هي أنه رسخ في الشخصية الإماراتية ثقافة التسامح والاعتدال.

وهذا هو الفرق الحقيقي الوحيد بين مواطن يولد في أرض فيكون ممتلئا قسوة وعنفا وتطرفا وهمجية، وبين آخر يولد في أرض أخرى غيرها فتملأ قلبَه وعقله وروحه الرحمة والوسطية وحب الخير؟

في دولنا (ذات الماضي الحضاري العريق الضارب في أعماق التاريخ) يستطيع رئيس جمهورية أو رئيس وزراء أو وزير أن ينقل وزارة كاملة، بوكلاء وزيرها وكبار موظفيها ويعين غيرهم من أهله أو من أعضاء حزبه أو عشيرته حتى لو كانوا جهلة ومختلسين ومزوري شهادات.

ويستطيع مدير مخابرات أو قائد شرطة أن يعتقل العشرات والمئات دون محاكمة ولا تهمة، وأن يختطف النساء، وأن يخفيهن في سجونه ومعتقلاته السرية، لا شهورا بل سنوات عديدة دون محاكمة، وأن يتصرف بأموال الدولة كما يشتهي، وأن يجتث خصومه متى أراد، وأن يلغي أحكاما قضائية مبرمة عن مُدانين بالسرقة والاختلاس والإرهاب، ويجعل القضاء والبنك المركزي والجيش والشرطة والأمن والمالية من أملاك حزبه الخالصة، ثم يرسل أحد نوابه ليوزع سندات أراض أميرية على الناخبين مقابل أصواتهم، ثم لا يجرؤ أحد على أن يعترض.

وفي أبوظبي التي يعترف قادتها ومفكروها ومواطنوها بأنها ليست من ذوات "الماضي الحضاري كالعراق الضارب في أعماق التاريخ"، يعيش أيّ من أولادها وبناتها، وأيّ من شركائهم العرب والأجانب في كنف القانون والعدل والمودة والاحترام.

هل بلغكم خبر المسبار الفضائي الإماراتي الذي يقترب من أعماق السماوات ليضع راية الشيخ زايد على المريخ؟

تطلع مستمر نحو المستقبل

> الذي أخفى أبوظبي القديمة، التي عرفتها قبل نصف قرن، وأخرج إلى العالم هذه الأبوظبي الجديدة المتحضرة المتفردة بقيادتها وشعبها وضيوفها هو حاكم وهبه الله بعد النظر، إنه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

الطريق العابر للصحراء: جسر يربط الشمال بالعمق الأفريقي

خطة مارشال لقطاع النقل المتأخر في أفريقيا

طارق القيزاني
كاتب تونسي

❏ أوروبا ليست قدرا محتوما ولا يفترض أن تكون الشريك الأوحد والأزلي لدول جنوب المتوسط في عصر يتسم بالانفتاح الاقتصادي والسباق العالمي نحو استكشاف الأسواق البعيدة. بالنسبة لتونس ودول شمال أفريقيا المرتبطة أساسا بشراكات متقدمة مع الاتحاد الأوروبي، إذ يستحوذ الأخير على أكثر من 70 بالمئة في المتوسط من العلاقات الاقتصادية والمعاملات التجارية لهذه الدول مع الخارج، فإن الحل لا يبدو بعيدا للحد من تبعات هذا التشابك الذي بات أشبه بالزواج الكاثوليكي.

بينما تبدو مؤسسات الاتحاد المغاربي في عطالة تامة منذ عقود بسبب الأزمات السياسية وما تبع ذلك من كلفة اقتصادية متزايدة من غياب مغرب عربي موحد، فإن أفريقيا تمثل فضاء رحبا للتعويض وسوقا واعدة لتنمية فرص الاستثمار لدول المغرب العربي بما يمكّن من خفض وطأة الارتباط بالشريك الأوروبي.

لا تنطلق هذه الحقيقة من مخططات استشرافية ولكنها تستند فعليا إلى قصص ناجحة عن اقتصاديات نهضت من تحت الركام والحروب الأهلية والصراعات العرقية لتنتقل إلى النمو والرفاه الاجتماعي. واليوم هناك جسر جديد يمكن أن يربط الشمال بالعمق الأفريقي مع قرب الانتهاء من مشروع الطريق العابر للصحراء.

يعود الحديث بقوة عن الطريق العابر للصحراء الذي بدأ العمل على تجسيده منذ العام 1964، وهو أحد المشاريع العملاقة التي سطعت خلال فترة اتسمت بنزعات التحرر الجماعي من بقايا الاستعمار والنفوذ الأوروبي في القارة.

تتلخص الفكرة أساسا في إحياء الطرق التجارية القديمة على درب تجارة العصور الوسطى حينما كانت القوافل وحدها تربط أسواق أفريقيا بالمدن المتوسطية، وذلك عبر مد طريق عصرية تربط العاصمتين تونس والجزائر بأربع عواصم لدول جنوب الصحراء وهي باماكو ونيامي ونجامينا ولاغوس ويمكن أن تتفرع إلى طرق ثانوية نحو مدن كبرى في المنطقة.

الخبر المهم في هذا أن المشروع العملاق والممتد على أكثر من 9500 كيلومتر يقارب على الانتهاء مع تقدير بانقضاء الأشغال مع نهاية العام الحالي. حتى الآن استكمل المشروع مراحله في الجزائر وتونس ونيجيريا والنيجر بينما تسير الأشغال بشكل متعثر في مالي وتشاد لأسباب مالية وأخرى أمنية.

لكن مع بداية استغلال "طريق الحرير" الجديد في أفريقيا في مرحلة قريبة، فإنه يتوقع أن يقلب الكثير من الموازين المرتبطة بمستقبل التبادل التجاري بين دول شمال القارة وجنوب الصحراء وسرعة انسياب السلع وتنقل سكان المنطقة.

تتضح أهمية هذا الطريق الذي ينظر له بمثابة "خطة مارشال" لقطاع النقل المتأخر في أفريقيا، في أنه سيمهد لبناء حد أدنى من التكامل الاقتصادي الأفريقي، وإن كان في فضاء محدود من القارة لكن على مساحة واسعة تقدّر بأكثر من ستة ملايين كيلومتر مربع يقطنها قرابة 400 مليون نسمة. كما سيفك العزلة عن دول حبيسة مثل مالي وتشاد والنيجر، ودول أخرى غرب أفريقيا ومنحها فرصة الوصول إلى منافذ بحرية عبر موانئ دول الشمال الأفريقي ومنها إلى المتوسط.

بالنسبة للدول الملاصقة لطريق الصحراء، فإن التفكير في الخطوات التالية، أي نحو الحلم القديم بمد السكك الحديدية، يتوقف أساسا على حجم ونسق التبادل التجاري في المنطقة مع بداية استغلال الطريق الجديد، خاصة وأنه سيمكن من خفض كلفة نقل السلع بشكل كبير، وهو تحدي يصطدم في المقام الأول بمدى تحسن المناخ الأمني والنجاح في تحييد خطر الجماعات المتشددة.

بناء على ذلك، فإن الدول التي تقع في واجهة الطريق العابر للصحراء ستكون ملزمة أكثر من ذي قبل بتوحيد جهودها في مواجهة حروب ليست سهلة، أولها مكافحة عصابات المخدرات وتهريب البشر وعمليات السطو المنظم علاوة على الإرهاب العابر للقارة، لا سيما وأن الطريق سيكون في مرمى أنشطة بوكو حرام وحركة الشباب وتنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي.

ستكون الاستفادة الأوروبية مؤكدة من الحرب المتقدمة التي تخوضها دول القارة ضد الإرهاب ومعابر الهجرة غير الشرعية، لكن في كل الحالات يفترض أن يضع الطريق العابر للصحراء، أفريقيا أمام علاقات اقتصادية مختلفة مع أوروبا، بأن فرض على الشريك القديم التزامات جديدة، أهمها العمل على فتح الأسواق أمام تدفق السلع الأفريقية، وهي الخطوة الأكثر عملية وفاعلية لتنمية أفريقيا وخلق فرص العمل في ظل القيود المتزايدة على الهجرة عبر المتوسط، بدل الإبقاء على المبادلات التجارية بوضعها الحالي في اتجاه واحد ولمصلحة رابح واحد.

التكتلات الإقليمية تتوقف في جانب كبير منها على تطوير شبكة الطرقات السيارة البعيدة

أفريقيا منعزلة من دون شبكة طرق سيارة

❏ لا تعد شبكة الطرق في منطقة أفريقيا جنوب الصحراء سوى 4 بالمئة من مجموع حركة السيارات في العالم ومع ذلك فهي تشهد قرابة 10 بالمئة من قتلى حوادث الطرقات في العالم. تعكس تلك النسبة المفزعة هشاشة البنية التحتية للطرقات في أفريقيا، وهي نقطة ضعف عطلت بشكل كبير مشاريع الوحدة وحرية التنقل والنمو الاقتصادي والتجاري في عدد من دول القارة.

انطلاقا من مشروع الطريق العابر للصحراء، تحاول أفريقيا وبشكل متأخر تدارك الفجوة الكبيرة في شبكات الطرقات الرابطة بين دولها ولا سيما بين دول جنوب الصحراء. فعلى خلاف دول منطقة المغرب العربي في شمال القارة والتي تتميز بشبكة مواصلات برّية وسكك حديدية مناسبة لمشروع التكامل الاقتصادي، فإن جنوب الصحراء ظل يعاني من مضاعفات العزلة الجغرافية، بسبب ابتعادها عن المنافذ البحرية إلى جانب الافتقاد إلى مواصلات عصرية وطرق سيارة بينية.

ويقول الرئيس السنغالي السابق عبدالله واد "نتحدث عن الوحدة الأفريقية ونطالب بالوحدة وفي الأثناء نحن لا نملك شبكة طرقات تمكننا من الانتقال من دولة إلى أخرى. حتى نحن في السنغال لا يتسنى لنا السفر برا بسهولة إلى الدولة الجارة غينيا أو مالي بسبب غياب طريق سيارة".

ويضيف واد "منذ العام 1960، فضلت الدول الأفريقية الاهتمام ببناء شبكة طرقاتها الخاصة لأن الثقافة السائدة أن ما يوجد في البلد الآخر أمر لا يعنينا".

وهناك مفارقة يبرزها ماثيو آكون، مدير شركة نقل بالعاصمة الغانية أكرا، وهي أن كلفة شحن حاوية بطول سبعة أمتار إلى بريطانيا لا تقل عن ألف دولار أميركي، وهي كلفة يمكن أن ترتفع إلى 2300 دولار إذا كانت الوجهة ليبيريا القريبة، فضلا عن العوائق المرتبطة بكثرة حواجز المراقبة ومخاطر الجريمة على الطريق. ويعتقد البنك الدولي أن فرص أفريقيا لتحقيق انتقال اقتصادي جماعي أو على قاعدة التكتلات الإقليمية تتوقف في جانب كبير منها على تطوير شبكة الطرقات السيارة البعيدة.

ولكسب هذا التحدي، فإن البنك يرى أنه يتعيّن على الدول الأفريقية تخصيص ما نسبته 4 بالمئة من منتوجها الداخلي الخام سنويا من أجل مد الطرقات، وهو رقم سيولة ضخم بالنظر إلى حجم الأشغال المطلوبة، ويصعب تأمينه بمعزل عن تمويل البنك الأفريقي للتنمية والبنك العالمي والاتحاد الأوروبي.

وفي الواقع لا تأمل الدول الرئيسية الممولة للطريق العابر للصحراء في أن يحل لوحده مشكلات النقل البري البعيد في قلب القارة، ولكن سيكون له أثر إيجابي في ربط المنطقة بممرات أخرى بما يمكن من توسيع رقعة المبادلات التجارية ويخفف من حدة الفقر في أفريقيا.

قمة ترامب وكيم جونغ أون: هل تكرر واشنطن مع بيونغ يانغ صفقة أوباما مع الإيرانيين

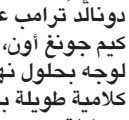

أحمد قنديل
خبير في الشؤون الآسيوية

❏ في إعلان مفاجئ، وافق الرئيس الأميركي دونالد ترامب على دعوة زعيم كوريا الشمالية كيم جونغ أون، لإجراء لقاء بينهما وجها لوجه بحلول نهاية مايو المقبل، بعد حرب كلامية طويلة بين الرئيسين وتهديدات متبادلة بحرب نووية مدمرة.

ويذكّر الحديث عن القمة، بصفقة الاتفاق النووي التي عقدها الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما، ومجموعة خمسة زائد واحد، مع إيران، وسط تساؤلات إن كان ترامب يفكر في السير على خطى سلفه وأن يدخل التاريخ من خلال توقيع صفقة مع كيم جونغ أون.

ستكون القمة، إذا عقدت بالفعل، الأولى من نوعها التاريخية بعد سبعة عقود من العداء بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية اللتين ما تزالان في حالة حرب منذ انتهاء الحرب الكورية، التي دارت بين عامي 1950 و1953، وانتهت بهدنة وليست معاهدة سلام بين الدولتين.

ورغم التاريخ المتوتر، لم تصل العلاقة بين واشنطن وبيونغ يانغ، إلى مرحلة أقلقت كل العالم، مثلما حصل في الأشهر الماضية، على خلفية الحرب الكلامية بين ترامب وكيم جونغ أون.

وهدد ترامب كوريا الشمالية بـ"النيران والغضب اللذين لم يشهد العالم مثيلا لهما في التاريخ"، إذا استمرت التهديدات ضد الولايات المتحدة وحلفاؤها. ورد كيم جونغ ساخرا بالإشارة إلى ترامب على أنه "رجل صاروخ صغير"، ووصفه بـ"الخرف كبير السن".

ويمكن تفسير "الانفراجة" النسبية في العلاقات بين واشنطن وبيونغ يانغ، بدور الوساطة المحوري المهم الذي قامت به كوريا الجنوبية لعقد القمة، فقد جاء الإعلان عنها بعدما أطلع رئيس مكتب الأمن القومي في كوريا الجنوبية تشونغ يوي- يونغ ترامب على نتائج لقائه التاريخي مع الرئيس الكوري الشمالي. وتم خلاله الاتفاق على عقد قمة بين الرئيس الكوري الجنوبي مون غاي ونظيره الكوري الشمالي في نهاية شهر أبريل القادم، وهي القمة الأولى من نوعها منذ عام 2007.

وتعهّد زعيم كوريا الشمالية "بنزع (ليس تجميد) السلاح النووي" وتعليق التجارب الصاروخية، طوال فترة المفاوضات، وهو ما ينطوي على رغبة في تطوير العلاقات بين الكوريتين واستمرار نهج ذوبان الثلوج بين سول وبيونغ يانغ.

وكانت دورة الألعاب الأولمبية الشتوية الأخيرة في كوريا الجنوبية، شهدت مشاركة الكوريتين تحت علم واحد، وحضورا لافتا من شقيقة الزعيم الكوري الشمالي في حفل الافتتاح، وهي الشخصية الأولى من العائلة الحاكمة في بيونغ يانغ التي زارت الشطر الجنوبي، منذ انتهاء الحرب الكورية عام 1953.

واعتبر مايك بنس، نائب الرئيس الأميركي، في تغريدة نشرها على حسابه في تويتر، أن رغبة كوريا الشمالية في اللقاء لمناقشة مسألة نزع السلاح النووي مع تجميد كل الاختبارات الباليستية والنووية، "خير دليل على فعالية الاستراتيجية الهادفة إلى عزل نظام كيم، التي اتبعها الرئيس ترامب".

واللافت أن واشنطن تتعامل مع المسألة على أن كوريا الشمالية هي التي تقدم تنازلات، وأنها ستجلس حول طاولة المفاوضات دون أن تضطر الولايات المتحدة إلى تقديم تنازلات من أي نوع، وسياستها ستبقى ممارسة القدر الأكبر من الضغط حتى تتخذ بيونغ يانغ خطوات معينة ودائمة وموثوقة للتخلص من برنامجها النووي.

ويرجع عقد القمة أيضا إلى رغبة الرئيس الكوري كيم في الحصول على الاعتراف ببلاده كشريك للدولة العظمى الأولى في العالم، وقد تفتح القمة الباب لإمكانية تخفيف العزلة الدبلوماسية والعقوبات الاقتصادية على بيونغ يانغ، بل وحصولها على ضمانات أمنية ومساعدات اقتصادية، ليس فقط من واشنطن، وإنما كذلك من حلفائها في المنطقة، مثل اليابان وكوريا الجنوبية.

ورغم أن قمة ترامب – كيم تبدو خطوة مهمة لتخفيف القلق العالمي من كابوس الحرب النووية في شبه الجزيرة الكورية، إلا أن احتمالات النجاح محدودة للغاية في ضوء الهوة الواسعة في مواقف الدولتين وفي سياسات الرئيسين ترامب وكيم جونغ أون.

وفي أول تعليق له على لقاء القمة المرتقب مع زعيم كوريا الشمالية، أكد ترامب أن العقوبات لن ترفع عن بيونغ يانغ حتى التوصل إلى اتفاق نهائي بين الطرفين بشأن التخلي عن برامجها النووية والصاروخية.

وكان ترامب سخر من وزير الخارجية الأميركي ريكس تيلرسون في أكتوبر الماضي، ولن يقوم "بتضييع وقته" في محاولة التفاوض والحوار مع كوريا الشمالية.

ويشعر عدد من مساعدي ترامب بوجوب الحذر الشديد من المبادرات الدبلوماسية لكوريا الشمالية، بسبب تاريخها في نقض الالتزامات الدولية وفشل الجهود التي بذلتها الإدارات السابقة في إقناعها بنزع أسلحتها النووية.

وتسعى بيونغ يانغ إلى كسب الوقت لاستكمال مساعيها الرامية إلى امتلاك قدرات نووية وصاروخية تمكنها من شن هجوم نووي على الأراضي الأميركية، وتفويت الفرصة على عدم تمكينها من ذلك.

وتتفق مع هذه الرؤية دوائر أمنية وسياسية واسعة في طوكيو، أقرب حلفاء واشنطن في منطقة شرق آسيا، وأشارت افتتاحية جريدة "يوميوري" اليابانية في 8 مارس إلى ضرورة الحذر من "دبلوماسية توزيع الابتسامات"، التي تمارسها كوريا الشمالية مع كوريا الجنوبية والولايات المتحدة، وطالبت الدولتان بالحفاظ على أقصى ضغط ممكن على بيونغ يانغ لنزع سلاحها النووي. وفي ضوء هذه المعطيات، ليس من المتوقع أن يصل العالم إلى حل للأزمة النووية الكورية، إلا بعد قطع رحلة طويلة وشاقة، فالرئيس ترامب يواجه على الأرجح موقفا مشابها للمواقف التي واجهتها إدارات الرؤساء الأميركيين السابقين بيل كلينتون وجورج بوش (الأب) وباراك أوباما.

ومتوقع أن تجد إدارة ترامب نفسها مضطرة لتقديم بعض التنازلات والتي لم تكن مقبولة في الماضي، منها الاستجابة لمطالب كوريا الشمالية المتكررة بأن تسحب الولايات المتحدة قواتها من شبه الجزيرة الكورية.

> المفاوضات المباشرة مع كوريا الشمالية تعد أكبر رهان في السياسة الخارجية الأميركية في المرحلة الراهنة

لذلك وصف الكثير من المسؤولين في الدوائر العسكرية والأمنية الأميركية المفاوضات المباشرة مع كوريا الشمالية بأنها أكبر رهان في السياسة الخارجية الأميركية منذ قدوم ترامب إلى السلطة، ولديها قناعة بأن اتباع المنهج المتشدد في التعامل مع بيونغ يانغ هو الأمثل في التعامل مع التهديد النووي الكوري الشمالي.

ربما تفتح القمة المرتقبة مع زعيم كوريا الشمالية الباب أمام مفاوضات طويلة ومعقدة بشأن أسلحتها النووية مقابل حصولها على ضمانات أمنية ومساعدات اقتصادية، على غرار ما جرى في المفاوضات السداسية التي جرت في الفترة من 2003 إلى 2009. وإذا فشلت، فذلك سيؤدي إلى تدهور كبير في الوضع الأمني والاستراتيجي في شبه الجزيرة الكورية، ما يضع العالم على حافة الهاوية.

الولايات المتحدة وكوريا الشمالية: أزمة دبلوماسية عمرها 70 عاما

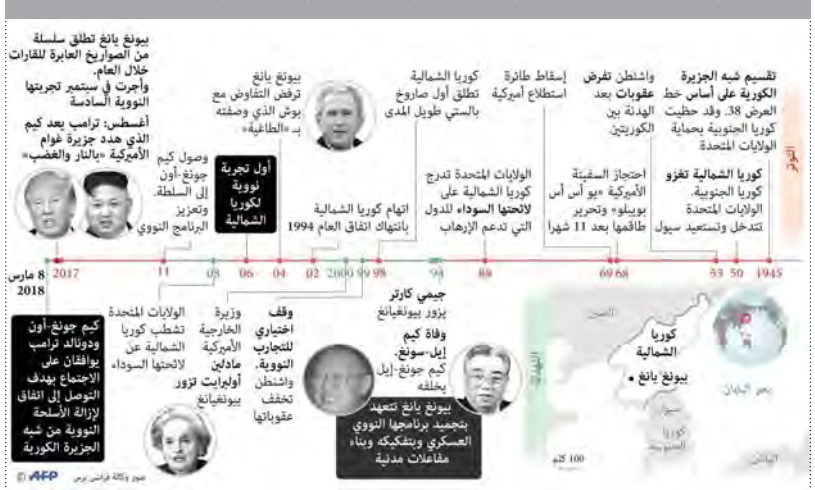

العرب الأميركيون.. هوية مقحمة في خانة «البيض» تطالب باعتراف رسمي

رفض إدراج تصنيف «الشرق الأوسط وشمال أفريقيا» في التعداد السكاني الأميركي

التصنيف فرصة لتعزيز المجتمع العربي الأميركي

قبل أكثر من مئتي سنة أجرت الولايات المتحدة الأميركية أول تعداد سكاني دستوري في البلاد. ومنذ ذلك الإحصاء شهد المجتمع الأميركي تغيّرات كبرى بفعل موجات الهجرة. واليوم، يعد المجتمع الأميركي من أكثر المجتمعات تنوّعا من حيث الأعراق والإثنيات والجنسيات، لكن على قدر هذا التنوع يوجد تمييز وتفرقة فشلت شعارات حقوق الإنسان والمواطنة الأميركية في إخفائهما. وتجلت أحدث مظاهر هذا الإخفاق في فشل مشروع تخصيص خانة للأميركيين من أبناء المهاجرين المنحدرين من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في عملية تعداد السكان الوطني في عام 2020، حيث أعلن مكتب تعداد السكان الأميركي أنه سيلغي فئة "الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" في الإحصاء الرسمي الذي تقوم به الولايات المتحدة كل 10 سنوات، ما يعني عدم إحصاء عدد العرب الموجودين في أميركا بشكل دقيق وواضح ومنفصل، رغم المجهود الذي بذله الأميركيون من أصل عربي على مدى سنوات طويلة في سبيل الاعتراف بهويتهم كعرب أميركيين، ويصنفون على هذا الأساس، لا في خانة "الأميركيين البيض" أو أية تعريف آخر. وتتضمن ورقة تعداد السكان الذي يجري كل عشر سنوات في الولايات المتحدة بشكل واضح السؤال "ما هو عرق الشخص" وتقترح تأشير مربع أو أكثر من أصل 15 مربعا متاحة، لا تشمل أي إشارة إلى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أو إلى الأصل العربي.

دنيا الزبيدي

❏ أعلن مكتب تعداد السكان الأميركي مؤخرا أنه سيلغي فئة "الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" في الإحصاء الرسمي الذي تقوم به الولايات المتحدة كل 10 سنوات، والذي سيتم إعلانه في عام 2020، في إشارة إلى عدم إحصاء عدد العرب الموجودين في أميركا ضمن التعداد الرسمي. لكن ما مدى أهمية أن يكون لدى العرب الأميركيين تصنيف خاص بهم؟

الولايات المتحدة تقسم نفسها

قال سامر خلف، رئيس اللجنة الأميركية العربية للقضاء على التمييز العنصري، الذي عمل منذ وقت طويل على هذه المسألة، إن الأمر مهم جدا.

وأضاف خلف في تصريحات نقلتها صحيفة "العرب ويكلي"، إن "الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات والحكومات المحلية تقسّم تمويلها لمختلف المجتمعات على أساس هذا التعداد".

وأوضح أنه "على سبيل المثال، سيكون من الصعب على منظمة الخدمات الاجتماعية التي تقوم بتوفير الرعاية الاجتماعية للمجتمع العربي الأميركي أن تحصل على أي تمويل، حيث لن يكون لدى هذه المنظمة أي معلومات عن أعداد العرب الأميركيين الذين ستقدم لهم الخدمة".

وأشار خلف أيضا إلى أن التعداد يُستخدم لتوزيع مقاعد الكونغرس. ويقول "كل عشر سنوات، تقسم كل ولاية إلى المناطق التي سيمثلها أعضاء الكونغرس بالنظر إلى أعداد السكان العرقية والإثنية. ولكن عندما يتم إدراج العرب في خانة 'البيض'، ولا يخصص لهم تصنيف منفصل، فإن ذلك يسبب تفاوتات كبيرة في نتائج الإحصاءات".

وأضاف خلف أن الولايات المتحدة تقسّم نفسها برفضها الاعتراف بالاختلافات الأخرى الموجودة في مجتمعها، قائلا "من السهل القول إننا جميعا أميركيون لكن المشكلة هي أننا لا نعامل كلنا على نفس القدم من المساواة. المسألة مثل المليونير الذي يسأل شخصا فقيرا: ما بالك أيها الرجل؟ هل لا تملك المال لشراء هذا أو ذاك؟ من السهل بالنسبة إليهم أن يقولوا ما يريدون قوله، لأنهم من يمتلكون المال".

وأكد خلف "إذا نظرنا إلى التاريخ، دائما كان يتم تصنيف الناس وتسميتهم بالأميركيين الأيرلنديين أو الأميركيين الإيطاليين. ولكن عندما تطالب المكونات المجتمعية الأخرى الآخرين بعمل نفس الشيء، يتم انتقادها".

وعبر رشاد الدباغ، المؤسس والمدير التنفيذي للمجلس المدني العربي الأميركي، عن صدمته من أن مسألة التعداد العربي لن تصبح حقيقة.

وقال الدباغ "اعتقدنا جميعا أن هذا سيحدث في عام 2020. لقد سارت كل الأمور في هذا الاتجاه. في عام 2010، عين المكتب بعض الأميركيين من أصول عربية حتى يتواصلوا مع مجتمعاتهم. لم يكن هذا موجودا في تعداد عام 2000. ربما لو كان لدينا رئيس مختلف كان يمكن أن يحدث ذلك في 2020، ولكن أعتقد أنها مسألة وقت. وأثق في أن ذلك سيحدث في العقد القادم".

ومنذ حوالي 30 عاما، بذلت جميع قطاعات المجتمعات العربية الأميركية أقصى مجهود لها ليتم إدراجها في فئة منفصلة في تعداد السكان الوطني الذي يتم كل 10 سنوات. لكن الإدارة الأميركية الجديدة، وكما قال خلف، هي التي أوقفت كافة الإجراءات. فقد أنفقت الحكومة الملايين من الدولارات من أجل دراسة هذه القضية.

وفي يناير الماضي، أعلن مكتب التعداد أنه لم يكن هناك ما يكفي من البحوث والاختبارات للنظر في تحديد تصنيف منفصل لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا المدرجة.

وأثار الدباغ مسألة الخوف من أن "إدارة ترامب تريد التلاعب بدقة الأعداد الإحصائية حتى لا نستطيع الحصول على نفس الحقوق التي تحصل عليها الجاليات الأخرى".

ومما يزيد من تعقيد المشكلة اختلاف وجهات نظر العرب الأميركيين حول فئة التعداد السكاني.

وقال خلف "إن هناك انقساما بين العرب الأميركيين أنفسهم، حيث يعتبر البعض أنهم ذوو بشرة بيضاء، بينما يرفض آخرون الاعتراف بذلك".

وأضاف "هناك أيضا سؤال كبير يطرح نفسه حول ما إذا كنا نُصنّف على أننا عرقيين أو إثنيين. أنا لا أعتبر نفسي من ذوي البشرة البيضاء على الرغم من أن لون بشرتي فاتح. لكن عزائي الوحيد هو أنه مازال يمكننا اعتبار أنفسنا 'مصريين' أو 'لبنانيين'، ومع ذلك لن يكون هذا دقيقا أيضا".

وفي المقابل، يقول طارق أبوجبارة، رئيس شبكة المهنيين العرب الأميركيين، إن العمل لصالح هذا التصنيف هو فرصة لتعزيز المجتمع العربي الأميركي.

وأضاف أبوجبارة "بعد أحداث 11 سبتمبر، أدرك العرب هويتهم جيدا. وعلى الرغم من أننا يجب أن نعمل لمدة 12 عاما أخرى من أجل الإقرار بهذا التصنيف المنفصل، لكنني أتوقع أن أرى مجتمعنا يعمل على تنميته ليكون له تأثير أكبر على التعداد القادم". وعملت شبكة المهنيين العرب الأميركيين مع المنظمات لصالح هذا التصنيف.

فوائد من التصنيف

قال أبوجبارة "المعهد العربي الأميركي هو واحد من أبرز المؤسسات التي حثت على تنفيذ هذا التصنيف. لذلك وقّعنا جميعا على الرسائل والخطابات وأرسلناها إلى مكتب التعداد. وقد طلبنا من زبائننا تقديم تعليقات إيجابية كان مكتب التعداد قد طلبها. ونأمل في أن يساعد ذلك مجتمعنا، حيث وجدنا أن هناك الكثيرين ممن كانوا على استعداد للتعليق على هذه القضية".

وأضاف "جزء مني صُدم من قرار الرفض، لأن الموضوع برمته كان يسير في الاتجاه الصحيح. ومع ذلك، هناك جزء مني لم يُصدم بسبب المناخ السياسي. لم يعد هناك شيء يصدمني الآن ولا سيما بعد الانتخابات الرئاسية الأخيرة".

وقال بعض الأميركيين العرب إنهم شعروا بالقلق من تصنيف فئة "الشرق الأوسط أو شمال أفريقيا" لأنه قد يساعد الحكومة على مراقبة المجتمع.

وأضاف أبوجبارة "كانت هناك بعض الحوادث التي استهدفت مجتمعنا. كانت إدارة شرطة نيويورك تراقب الجالية العربية الأميركية والمسلمة من خلال زرع ضباط شرطة سريين بين أفراد المجتمع. ومع ذلك، نجد أن هناك فوائد سنجنيها من هذا التصنيف أكثر من مخاطره".

وذكرت رشمي روشان لال، الكاتبة في العرب ويكلي، النظر في القيام بإحصاء دقيق -العمر والجنس وبلدان المنشأ- لأناس من منطقة معينة، يسهّل عملية تعقّب ودرس المعاملة التمييزية مع احترام جانب السكن والتعليم، والبحث عن تمثيل سياسي يتماشى مع أعدادهم والحصول على منح من الحكومة الفيدرالية لفائدة الشركات التي تديرها أقليات صغيرة.

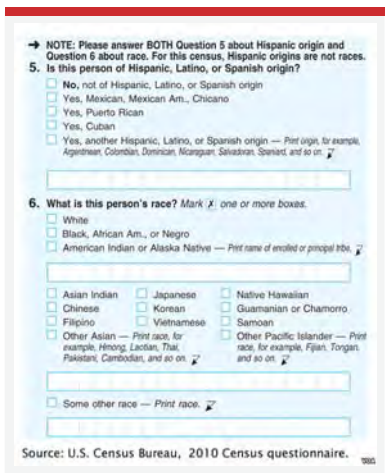
→ NOTE: Please answer BOTH Question 5 about Hispanic origin and Question 6 about race. For this census, Hispanic origins are not races.

5. Is this person of Hispanic, Latino, or Spanish origin?
- No, not of Hispanic, Latino, or Spanish origin
- Yes, Mexican, Mexican Am., Chicano
- Yes, Puerto Rican
- Yes, Cuban
- Yes, another Hispanic, Latino, or Spanish origin — Print origin, for example, Argentinean, Colombian, Dominican, Nicaraguan, Salvadoran, Spaniard, and so on.

6. What is this person's race? Mark (X) one or more boxes.
- White
- Black, African Am., or Negro
- American Indian or Alaska Native — Print name of enrolled or principal tribe.
- Asian Indian, Japanese, Native Hawaiian
- Chinese, Korean, Guamanian or Chamorro
- Filipino, Vietnamese, Samoan
- Other Asian — Print race, for example, Hmong, Laotian, Thai, Pakistani, Cambodian, and so on.
- Other Pacific Islander — Print race, for example, Fijian, Tongan, and so on.
- Some other race — Print race.

Source: U.S. Census Bureau, 2010 Census questionnaire.

منذ 30 عاما يعمل الأميركيون العرب جاهدين لإدراجهم في فئة منفصلة خاصة بهم في تعداد السكان الوطني الذي يتم كل 10 سنوات في الولايات المتحدة

المرشحة الديمقراطية ماري نيومان:

المجتمع العربي يقابل الخطاب المعادي للإسلام بمنتهى الاحترام

❏ **واشنطن** – أشادت المرشحة الديمقراطية للانتخابات التمهيدية الأميركية، ماري نيومان، بردود أفعال الجاليات العربية والمسلمة تجاه الخطابات المعادية لهم.

وقالت نيومان، التي تحظى بشعبية كبيرة في أوساط الأميركيين العرب والمسلمين، خلال مشاركتها في المنتدى السياسي السنوي، الذي عقده النادي العربي الأميركي الديمقراطي في ولاية إلينوي الأميركية، "طوال حياتي كنت دائمة التواصل مع الأسر العربية الأميركية وجميع المنظمات غير الربحية وقادة الجاليات العربية والمسلمة حتى نتمكن من حل المشكلة معا".

واستشهدت نيومان بالنائبة شارون برانيغان التي اتهمت بتبادل التعليقات المعادية للمسلمين على مواقع التواصل الاجتماعي كوسيلة لإثارة الناخبين في الدائرة الثالثة.

ونقلت صحيفة "باتش" المحلية الأميركية عن نيومان قولها "لقد قابل المجتمع العربي خطابها المعادي للإسلام بمنتهى الاحترام، وأثروا على قادة منتخبين آخرين لتوجيه اللوم إليها. لم تعد هذه المرشحة مؤهلة لأي منصب، ويجب عليها التنحي. لسوء الحظ نمت 'ظاهرة ترامب' التي تشجع على المزيد من الكراهية والعداء في جميع أنحاء البلاد".

وفي خطوة تعكس مدى شعبية نيومان، وقام بعض متطوعون من العرب الأميركيين بإنشاء صفحة خاصة بحملتها على فيسبوك حملت اسم "آراب آند مسلم أميريكانز فور ماري نيومان".

ويأمل الديمقراطيون في أن يساعدهم إقبال قياسي في التصويت المبكر بانتخابات التجديد النصفي والغضب من سياسات الرئيس دونالد ترامب في انتزاع الأغلبية من الجمهوريين في الكونغرس.

ومن المتوقع أن يزداد عدد الناخبين من الأميركيين العرب والمسلمين، فيما يراهن الديمقراطيون على أن يكون هذا الارتفاع لصالحهم، بالنظر إلى موقف المسلمين والعرب من القرارات التي اتخذها ترامب واعتبروها مستفزة، من ذلك قرار حظر سفر المسلمين إلى الولايات المتحدة، بالإضافة إلى زيادة خطاب الكراهية.

سياسي معارض ركب قطار الشرعية بعدما سار

عبدالرحمن اليوسفي

لماذا لم يفتح كل خزائنه المليئة بالأسرار؟

محمد بن امحمد العلوي

❑ البوح، وخصوصاً بوح السياسي، هو سلطة تتحكم فيها الذاكرة وقوة الواقع وإصرار التاريخ المحكي حسبما عاشته شخصية ذلك السياسي الذي يصبح مع الزمن خزانة أسرار.

عبدالرحمن اليوسفي الإنسان قبل أن يكون سياسيا وحقوقيا، اكتوى بزمان الأحداث ومكانها، حلوها ومرها. ركب قطار الشرعية بعدما سار. صحيح أنه ركب متأخراً، لكنه ركب في مرحلة انتقالية صعبة وغاية في الحساسية. بعد أن أراد الملك الراحل الحسن الثاني إشراك الرأي الآخر في إدارة شؤون البلاد.

> اليوسفي، بحصافته، معارض عرف أن التغيير الذي يمكن أن تحدثه وفقا لما تؤمن به، لا يكون إلا بدخول عالم السياسة من باب الشرعية، فمضى على هذا النهج. وبالمقابل فقد حفظ له ملكان لهما قدرهما التاريخي الكبير مكانته ودوره، سواء كرجل من رجال الدولة في الحكم، أو كحكيم من حكماء البلاد بعد خروجه منه

واليوسفي، بحصافته، معارض عرف أن التغيير الذي يمكن أن تحدثه وفقاً لما تؤمن به، لا يكون إلا بدخول عالم السياسة من باب الشرعية، فمضىٰ علىٰ هذا النهج، وتوثقت علاقته مع العرش المغربي. وبالمقابل فقد حفظ له ملكان لهما قدرهما التاريخي مكانته ودوره، سواء كرجل من رجال الدولة في الحكم، أو كحكيم من حكماء المغرب بعد خروجه منه، يستشار في الخطوب ويبتعث في المهمات الحساسة.

يعد اليوسفي المولود بطنجة في العام 1924 واحداً من زعماء حزب "الاستقلال"، حيث رضع حليب السياسة وهو في ربيعه التاسع عشر، وبعدما ضاق به الحزب، اختار إلىٰ جانب رفاقه المهدي بن بركة والفقيه البصري والمحجوب بن الصديق وعبدالرحيم بوعبيد تأسيس تنظيم يساري أطلقوا عليه اسم "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية" قبل أن يستقر الاسم علىٰ "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية".

اختار النضال ضد الاحتلال الفرنسي فأسس أول خلية بثانوية مولاي يوسف بالرباط حيث كان يدرس، وبعدما رصدته أجهزة الاحتلال، عمل متخفيا في الدار البيضاء ضمن صفوف المقاومة والنقابات العمالية ليقع عليه الاختيار لتنظيم المقاومة المسلحة منذ العام 1953 إلىٰ غاية استقلال المغرب.

نبض الحياة يتجدد عند اليوسفي وتنشط ذاكرته وهو يتحدث لأول مرة في مذكراته عن والدته. إذ عندما كان اليوسفي في المنفىٰ استقبل الملك الراحل الحسن الثاني والدته في نهاية السبعينات من القرن الماضي، وقبل انصرافها سألها الملك الراحل إن كانت في حاجة إلىٰ أي شيء، لتجيبه بلهجتها الطنجاوية "بغيت وْليدي!". فأجابها الملك "يمكن لابنك أن يعود إلىٰ بلاده متىٰ يشاء، والوطن سيرحب به".

كشف اليوسفي، في مذكراته ما عانته والدته بسببه قائلا "أبي رحمه الله توفي سنة 1937، في نفس السنة التي حصلت فيها علىٰ الشهادة الابتدائية، وبسببي عانت أمي الكثير، خاصة بسبب غيابي المتكرر الذي أبعدني عنها بشكل كبير".

لا نضال حقيقيا دون سند روحي ومادي حقيقي وهذا ما تأتىٰ لليوسفي متمثلا في والدته وزوجته هيلين، التي تعرّف عليها بالصدفة، في مدينة الدار البيضاء، في أواسط الأربعينات من القرن الماضي، ودامت صداقتهما 21 سنة، وحال الاعتقال الأول والثاني لليوسفي، وقضية بن بركة، دون التعجيل بزواجه منها، علىٰ الرغم من تقدّمه لخطبتها.

انتقد اليوسفي التزوير الذي طال الانتخابات التشريعية في العام 1993 فغادر المغرب نحو مدينة كان الفرنسية، ليعود إلىٰ بلده بعد استجابته لدعوة الملك الحسن الثاني الذي أرسل له مستشاره محمد عواد ومبعوثين آخرين يحثونه علىٰ العودة.

وبعد ثلاث سنوات دخل في جولة من المفاوضات مع القصر الملكي لتدشين مرحلة أخرى في العلاقات بين النظام والمعارضة، في ما بات يسمىٰ في الأدبيات السياسية بالتناوب السياسي.

وحول تلك الفترة يقول اليوسفي إنه رد علىٰ مبعوث الملك الراحل طالبا منه أن يشكره علىٰ هذا التوجه السليم. ويضيف "أمّا في ما يخصني شخصيا فرجوته أن يبلغه أن وضعيتي الصحية لا تسمح لي، علىٰ الإطلاق، بتحمل مثل هذه المسؤولية؛ لكن حزبنا، كما جرت العادة، لن يتردد في تلبية أيّ دعوة فيها المصلحة العليا لبلادنا".

ويتابع اليوسفي "وبعد فترة، جاءني نفس المبعوث بجواب الملك الحسن الثاني: يقول لك جلالة الملك هو أيضا مريض، وهذا قدرنا أن نتقاسم معا تحت المرض عبء هذه المسؤولية".

أطياف المشهد السياسي

جاء في كتاب "شهادات وتأملات" الصادر مؤخرا، للراحل عبدالرحيم بوعبيد، أنه في يوم ما من سنة 1959 قال الملك الحسن الثاني لعبدالرحيم بوعبيد رفيق اليوسفي "لربما ستركب القطار وهو يسير، في يوم من الأيام. فمن يدري؟". والحقيقة أن اليوسفي هو من ركب وسار حتىٰ آخر محطة سياسية بالنسبة إليه، عندما اعتزل في العام 2002.

خيبات الأمل يمكنها أن تصنع منافسة بين الأمر الواقع والطموح في غد أكثر عدالة وتميزا، هكذا كان يفكر اليوسفي الذي تمرس في العمل السياسي والصحافة والنضال المسلح وكواليس المفاوضات مع الفرنسيين وبعدها مع كافة أطياف المشهد السياسي بعد الاستقلال.

كانت المرة الأولىٰ التي يدلف فيها إلىٰ القصر الملكي بالرباط، في مارس عام 1961 عندما تلقىٰ سلفه علىٰ رأس الحزب عبدالرحيم بوعبيد، دعوة من القصر لمناقشة عرض اليساريين واحتمال مشاركتهم في الحكومة، وكان علىٰ بوعبيد أن يقنع اليوسفي ومحمد البصري ليكونا ضمن الوفد، ليتم بعدها استدعاء اليوسفي إلىٰ القصر بعد ثلاثين سنة لحضور جلسة عمل بشأن مذكرة الإصلاحات السياسية والدستورية المعروفة باسم «مذكرة يونيو».

وحول معرفته بالعاهل المغربي الملك محمد السادس يقول اليوسفي، "تعرفت علىٰ صاحب الجلالة الملك محمد بن الحسن يوم فاتح مايو 1992، لما دعانا آنذاك الملك الراحل، لحضور أول اجتماع لأحزاب الكتلة الخاص بمناقشة عمل لجنة التحكيم للتحضير للانتخابات. وقدّمني صاحب الجلالة إلىٰ ولي العهد وضيفه، وأذكر أنه قدمني لهما مازحا، كما قلت سابقا، بقوله: هذا أكبر مهربي السلاح. وحكىٰ لهم كيف أنه وعلىٰ الرغم من أنني كنت مريضا، إلا أنني كنت أحمل السلاح تحت لباسي في عهد المقاومة، من أجل عودة الملك الشرعي للبلاد".

مرونة وواقعية

سيشهد اليوسفي انتقال العرش من ملك إلىٰ ملك في صيف 1999، بعد عام علىٰ رئاسته حكومة مكونة من 41 وزيرا يتفرقون علىٰ ستة أحزاب بعد تكليفه من طرف الملك الحسن الثاني بتشكيلها.

مرونة وواقعية واستقلالية في الرأي مع تأمل عميق وسعة صدر ومراقبة حثيثة لاتجاه ريح موازين القوى داخليا وخارجيا، كلها عناصر ساهمت في طبخ قرار المشاركة في حكومة كان الكل يظنها بعيدة المنال لكن إرهاصاتها كانت بادية الملامح في بداية التسعينات من القرن الماضي لتكتمل فصول حكاية اليوسفي بين المعارضة والحكم.

كان يوما مشهودا في تاريخ الحياة السياسية بالمغرب، والكل يترقب ما بعد 14 مارس 1998، الذي استقبل فيه الحسن الثاني بالقصر الملكي بالرباط حكومة التناوب التوافقي التي يقودها اليوسفي.

قبل ذلك اليوم كان اليوسفي علىٰ موعد مع الملك عندما عيّنه وزيرا أول، وأكد له قائلا "إنني أقدر فيك كفاءتك وإخلاصك وأعرف جيدا، منذ الاستقلال، أنك لا تركض وراء المناصب بل تنفر منها باستمرار؛ ولكننا مقبلون جميعا علىٰ مرحلة تتطلب بذل الكثير من الجهد والعطاء من أجل الدفع ببلادنا إلىٰ الأمام، حتىٰ نكون مستعدين لولوج القرن الحادي والعشرين".

بتعدد علاقات اليوسفي في الزمان والمكان وتأثيره وتأثره بالأحداث والوقائع جاءت أحاديثه متنوعة غنية تكشف عن جوانب خفية من الحياة السياسية والاجتماعية من ذاكرة لا تزال مشتعلة ومنشغلة بمستقبل البلد، فقد باح وأطلق المكنون لكن من خلال تصرف بحكمة رجل الدولة وتبصره ورؤية السياسي المتطلع والمتضلع الذي يعرف متىٰ يبدأ وفي أي نقطة يتوجب عليه الوقوف.

ففي 28 أكتوبر 2003 قدم اليوسفي استقالته من منصبه وأعلن بعدها اعتزاله العمل السياسي نهائيا، جاء ذلك بعد تصدر حزبه الاتحاد الاشتراكي في أول انتخابات تشريعية جرت في عهد الملك محمد السادس، سنة 2002، ليعترف في مذكراته بأن العاهل المغربي أبلغه قائلا "في العديد من المرات عبرت عن رغبتك في إعفائك من هذه المسؤولية نظرا لظروفك الصحية، وقد قررت تعيين إدريس جطو علىٰ رأس الوزارة الأولىٰ".

وبلباقته المعهودة ولغته الدبلوماسية الهادئة قال اليوسفي "شكرت جلالته علىٰ تلبية هذه الرغبة، وعبرت له أن الدستور الحالي يمنحه حق تعيين من يشاء وزيرا أول، ولكن المنهجية الديمقراطية تقضي بتعيين الوزير الأول من الحزب الذي احتل المرتبة الأولىٰ في عدد المقاعد البرلمانية كما أسفرت عنها الانتخابات التشريعية الأخيرة؛ وهو حزب الاتحاد".

ملف المهدي بن بركة

لم تنقطع صلة اليوسفي بالعاهل المغربي بل اعترف الوزير الأول الأسبق أن الملك محمد السادس كلفه بمهمات خارجية مرتبطة بملف الصحراء، وكانت المرة الأخيرة التي طلب رأيه فيها لدى تشكيل الحكومة التي كان يقودها عبدالإله بن كيران أمين عام حزب العدالة والتنمية في سنة 2011.

كانت تحت يد اليوسفي كرجل دولة وسياسي مادة أرشيفية مهمة ومعلومات دقيقة عن شخصيات وأحداث وأماكن عاشها وعايش معظم الفاعلين فيها، ولن يتم الكشف عنها والبوح بها كلها وإن علىٰ شكل ومضة لاعتبارات متعددة منها الذاتي والموضوعي.

بحكم القرب وتواتر المعطيات المؤكدة حول اختطاف المهدي بن بركة رفيق درب اليوسفي قال هذا الأخير إن بوعبيد أعلن من خلال جريدة "لوفيغارو" الفرنسية أن "من كانوا وراء هذا الاختفاء أرادوا منع حل ديمقراطي يشرف عليه الملك الحسن الثاني".

ويضيف اليوسفي أنه "حين تم اختطاف المهدي بن بركة بباريس، ثارت ردود فعل عدة. وظل الحادث يشغل الرأي العام الوطني والدولي، حيث لا يزال مصير هذا القائد المغربي مجهولا إلىٰ الآن".

واسترسل اليوسفي في سرد الوقائع بعد اختفاء بن بركة في العام 1965 بباريس، قائلا إن الجنرال ديغول، رئيس الجمهورية الفرنسية، اتهم في ندوة صحافية مباشرة وزير الداخلية المغربي، آنذاك الجنرال محمد أوفقير، بالضلوع في العملية.

اللغز يبقىٰ عصيا علىٰ الفهم بالنسبة إلىٰ اليوسفي، الذي يؤكد أن "الدولة الفرنسية لا تزال متمسكة بسر الدفاع الوطني كحجة لعدم رفع السرية عن الوثائق التي تهم هذا الملف، بالرغم من أنها قامت مرتين بالكشف عن بعضها. واتضح في الواقع أنها كشفت فقط عن وثائق غير ذات أهمية، ولا يزال المنع يطال الوثائق الأساسية التي من شأنها الكشف عن المستور".

ويؤكد اليوسفي أيضا مشاركة أطراف دولية في ارتكاب هذه الجريمة، وأشار إلىٰ تورط عناصر "الموساد" في قضية المهدي بن بركة، موردا أنه بعد مرور سنة علىٰ عملية الاختطاف، وبالضبط في ديسمبر 1966، نشرت إحدى الصحف الإسرائيلية تحقيقا، أنجزه الصحافيان شيمال مور ومكسيم غيلان، أكدا فيه تورط جهاز الاستخبارات ذاته في اختطاف بن بركة، إلىٰ جانب أطراف أخرى.

> علاقة اليوسفي بالعاهل المغربي الملك محمد السادس لم تنقطع يوما، بعد مغادرته لمنصبه، بل اعترف الوزير الأول السابق أن الملك كلفه بمهمات خارجية مرتبطة بملف الصحراء، وكانت المرة الأخيرة التي طلب رأيه فيها لدى تشكيل الحكومة التي كان يقودها عبدالإله بن كيران أمين عام حزب العدالة والتنمية في سنة 2011

حظي اليوسفي في يوليو 2016 بتكريم من طرف الملك محمد السادس، حينما أطلق اسم "شارع عبدالرحمن اليوسفي" علىٰ شارع السلام سابقا وسط مدينة طنجة. ووضع العاهل المغربي قبلة علىٰ رأسه عندما كان يتلقىٰ العلاج في أحد مستشفيات الرباط في أكتوبر 2016، وهي إشارات علىٰ تقدير الرجل الذي بصم تاريخ المغرب الحديث وبقي محتفظا بنفس الاحترام إلىٰ الآن، واعترافا بخدمته للصالح العام.

لكن هل استطاع اليوسفي البوح في "أحاديث في ما جرى" بكل ما كان حقا؟ أم فقط ما كان مناسبا له وللكثيرين الذين يعيشون اللحظة الآنية؟ لقد كان اليوسفي غير صدامي مقارنة مع الفقيه البصري والمهدي بن بركة إذ كان يغلب الواقعية علىٰ الطوباوية، مرنا في تناوله للقضايا الخلافية ومتمسكا في الآن ذاته بمبادئ حقوق الإنسان وبميزان العدالة.

● عبدالرحمن اليوسفي يعرف في المغرب والعالم العربي بأنه ذاك الذي شهد انتقال العرش من ملك إلىٰ ملك في صيف 1999، بعد عام علىٰ رئاسته حكومة مكونة من 41 وزيرا يتفرقون علىٰ ستة أحزاب بعد تكليفه من طرف الملك الراحل الحسن الثاني بتشكيلها.

ابنة اليمن التي حلمت بمجده

آمنة النصيري

أخلصت للجمال لتكتشف بلادها

فاروك يوسف

❏ المرأة في اليمن هي، بالنسبة لمَن لا يعرف ذلك البلد القديم، لغز لم يفصح عن نفسه. لذلك كان ظهور آمنة النصيري رسامة وكاتبة ضروريا من أجل شيء يقع إلى جوار الجمال الذي درست فلسفته.

وإن اعترضت النصيري على تلك الصفة فإنها رائدة لنوع فريد من التفكير في الرسم ومن خلاله. فالفنانة التي وجدت نفسها تقف أمام إرث من الرسوم التي وظفت الحداثة في خدمة التراث الشعبي لأغراض سياحية وقع عليها واجب أن تعيد الرسم إلى طريقه التي تقود إلى الجمال الخالص.

قوة البيت وإلهام المرأة

ولعها بالعمارة الطينية التي تتميز بها بلادها وهبها قوة مستلهمة من تلك الأبنية التي تزينت بالفن الراقي لتقاوم الزمن.

حفيدة بلقيس لا ترى في زينتها شيئا من الاستعراض الاستشراقي.

إنها تفعل ما تراه مناسبا ليمنيتها. ذلك الشعور يسر لها الولوج إلى مناطق خفية من الحياة في ذلك البلد ـ المتاهة.

> لوحاتها تضج بالنساء، لكن النصيري ترفض أن تلحق بالحركة النسوية. في المقابل فإن كل ما يظهر في لوحاتها من غزل بالمفردات الجمالية التي تتشكل منها عمارة البيت اليمني لم يقدها إلى الوصف باعتباره ضالة لتذكير السائح بما رأى في البلد العجيب

كان لديها مفتاحان للدخول إلى غابة الأسرار اليمنية. المرأة والبيت.

وإذا ما كانت لوحاتها تضج بالنساء فإن النصيري ترفض أن تُلحق بالحركة النسوية. في المقابل فإن كل ما يظهر في لوحاتها من غزل بالمفردات الجمالية التي تتشكل منها عمارة البيت اليمني لم يقدها إلى الوصف باعتباره ضالة لتذكير السائح بما رأى في البلد العجيب.

ثورتها على ما كان سائدا من تقاليد فنية وضعتها في المكان الريادي الذي يليق بها كونها أخلصت للحداثة الفنية مثلما كانت وفية لصورة الأم التي ألهمتها حب الفن والكتابة.

آمنة هي ابنة أمها على المستوى الثقافي.

كانت أمها تهوى الرسم والكتابة وتؤمن بالتعليم. وهو ما يسر لآمنة شق طريقها في مجتمع ذكوري صعب التضاريس.

المنفتحة على تحولات الفن

لقد تحررت الفنانة من عقدة الحصار الذكوري بتأثير مباشر من الأم الخالدة في حياتها وهو ما جعلها تميل إلى اللجوء إلى استعمال مفهوم الكائن البشري للتعبير عن حضور المرأة في أعمالها.

النصيري ولدت في مدينة رداع، بمحافظة البيضاء، عام 1967. وإن كانت لم تقم فيها طويلا، حيث انتقلت إلى صنعاء، فإنها كما تقول جزء من تناقضات تلك المدينة التاريخية. "لقد اكتسبت الكثير من أمي التي جاءت من منطقة شرسة وعريقة. مازال في ذهني منظر اللائي يصنعن الفخار ويمارسن التطريز الشعبي.

من ناحية أخرى فإن دراستي في الخارج وفرص السفر التي حصلت عليها منحتني الفرصة لكي أقف وسط العالم". أقامت في مصر أربع سنوات لتعود بعدها إلى اليمن وتكمل تعليمها الثانوي. التحقت بجامعة صنعاء ودرست الفلسفة لخلو الجامعة من كلية للفنون.

سافرت إلى موسكو في منحة دراسية وحصلت على شهادة الماجستير من أكاديمية الدولة للفنون، سوريكوف، عام 1994 وفي عام 2002 نالت شهادة الدكتوراه، وكانت فلسفة الفن وجمالياته محور دراستها، وهو ما أهلها لموقعها الأكاديمي الحالي أستاذة لفلسفة الفن في جامعة صنعاء.

أقامت النصيري أكثر من ستة عشر معرضا شخصيا، كان أولها في بغداد عام 1986. من بين تلك المعارض يعتبر معرضها "حصارات" عام 2010 الأبرز من جهة موضوعه والتقنيات المستعملة في إنجاز أعماله.

كان ذلك المعرض خطوة غير مسبوقة يمنيا في مجال الفنون البصرية المعاصرة حيث أفصحت الفنانة من خلاله عن انفتاحها على تحولات الفن والفكر في العالم، إضافة إلى أنها أعلنت عن انفصالها التام عما هو سائد من تجارب تشكيلية.

النصيري كاتبة. ليس حدثا مفاجئا أن تكون كاتبة وهي التي درست جماليات وفلسفة الفن. غير أن ثقتها بالفن ووظيفته في تغيير المجتمعات كانا دافعين رئيسيين للكتابة النقدية في الصحف عن الفن. يلخص كتابها "مقامات اللون" فلسفتها وطريقة تفكيرها في الفن. قبل أن تقيم مرسمها "كون" كانت قد اشتركت مع عدد من الفنانين في تأسيس اتيليه باب اليمن. الذي كان بمثابة إعلان عن ولادة فن وجيل فني جديدين في اليمن.

تقول النصيري "ساعدني عاملان. الأول هو عائلتي، حيث كانت والدتي امرأة متعلمة وتؤمن بأهمية التعليم لكل من المرأة والرجل. والعامل الآخر يرتبط بالفنون الجميلة نفسها. في اليمن تعتبر الفنون الجميلة موضع تقدير أكثر من غيرها من الفنون، مثل الغناء والتمثيل". وتضيف في جملة صادمة حقا "طوال مسيرتي الفنية لم أواجه أي مضايقات من المجتمع".

النظر من الداخل

فنانة وأكاديمية بحجم النصيري لا تقول تلك الشهادة مجاملة لأحد. لقد رسمت موضوعات ما كان أحد من رسامي بلاد مجاورة يجرؤ على الاقتراب من طابعها التشخيصي وفضائها النقدي. وهو ما يعني أن المجتمع اليمني لم يكن قد دخل في متاهة التحريم والتحليل في موقفه من الرسم.

لقد كان مناسبا للمرأة التي عاشت في موسكو زمنا طويلا أن تعيد صياغة علاقتها بالمكان متأثرة بما صارت تؤمن به من أفكار حداثوية. لذلك فإن أعمالها لا تنطوي على فكرة تجميل الواقع فاليمن الجميل بالنسبة لها ليس مجموعة الوصفات الجاهزة التي تلمع لها عيون الأجانب. أهمية النصيري في المحترف الفني اليمني أنها اكتشفت يمنها وقدمته بطريقة مختلفة. هناك دائما شيء ما، شخصي في لوحاتها.

شيء يذكر بها كما لو أنه دليل للنظر من الداخل وهو عنوان أحد معارضها. فحين تدعو الرسامة اليمنية إلى النظر إلى الداخل فإنها تمزج بين تجربتين عزيزتين على نفسها. تجربة انغماسها في شغف استثنائي انفتحت من خلاله على جماليات بلادها عبر العصور وتجربة حريتها في الحكم النقدي على الواقع وهو ما تعلمته أثناء سنوات إقامتها الطويلة في موسكو.

ما يرفع من شأنها أنها تظل لغزا يمنيا. هي واحد من ألغاز ذلك البلد الذي لا يزال يقيم في كنوزه الحضارية بالرغم من أن الحروب أهدرت الكثير من رفعته. رسومها هي بمثابة خارطة لتضاريس النفس البشرية التي انتصرت عليها الحكاية.

الحكاية التي عصفت بتجريدها

النصيري التي انتقلت إلى التجريد لم تكن رسامة حكايات، بالرغم من أن كل امرأة رسمتها كانت أشبه بشهرزاد معاصرة. لم تكن الحكاية في حد ذاتها هدفا للرسم إذا افترضنا أن هناك حكاية من الأصل. ما سعت إليه النصيري عبر مراحل سيرتها الفنية هو الرسم، فعلا خالصا.

لقد حررها الرسم من هويتها الضيقة وهي من خلاله تلمست الطريق إلى حريتها المطلقة. هناك علاقة شائكة بين آمنة والرسم نتجت منها حقائق مختلفة عن الحياة والفن بالقوة نفسها.

آمنة النصيري رمز وطني يمني. امرأة وهبت الرسم في بلادها قدرا لا يُستهان به من الأنوثة. صارت المرأة معها فاعلة وليست مجرد موضوع. غير أن ما فعلته من خلال رسومها التجريدية أحدث نقلة نوعية للفن في بلادها. ما كانت تبشر به الفنانة على المستوى النظري من خلال دعوتها إلى تذوق الجمال باعتباره هدفا صار موضوع لوحاتها التي ترغب في أن يكون جمالها المجرد أساسا للحوار مع جمهورها. صار على المرأة التي تثق بيمنيتها ولا ترغب في مغادرة بلادها بالرغم من ظروف العيش السيئة أن تخترع يمنا، هو المعادل الفني الذي يجمع الأزمنة كلها في سلة الجمال.

> موضوعات النصيري ما كان أحد من رسامي بلاد مجاورة يجرؤ على الاقتراب من طابعها التشخيصي وفضائها النقدي. وهو ما يعني أن المجتمع اليمني لم يكن قد دخل في متاهة التحريم والتحليل في موقفه من الرسم

موضوعية المؤرخ وجرأة الناقد

سينما المرأة ومسرح أبي خليل القباني

نوري الجراح
شاعر من سوريا مقيم في لندن

❑ منذ انطلاق مجلة "الجديد" أخذنا على عاتقنا مهمة توسيع دور المنبر الثقافي ليشمل الكتابة التي تبحث في مختلف الظواهر التي تشكل جغرافية الثقافة العربية.

في هذا السياق، هناك ضرورة معرفية تتمثل في قراءة المنجز العربي في السينما انطلاقا مما بات يسمى "سينما المرأة"، أو السينما التي صنعها الرجل وصنع من خلالها صورة المرأة، في واحدة من أكبر عمليات الاستحواذ والهيمنة المجتمعية والثقافية وضوحا ومواربة معا (حتى عندما تبدو موضوعاتها ومراميها مقنعة)، وفي المقابل السينما المضادة التي ردت على هذه المغامرة الجمالية الذكورية، متأخرة بعض الشيء، في محاولة من المرأة نفسها لتخليص صورتها من التأطيرات النمطية التي أسرها فيها الرجل، ومن الموضوعات التي ألحقها بها سينمائيون شاركوا في صناعة صورتها، خلال مئة عام من السينما.

***

لكن هل تبدو المسألة بسيطة إلى الحد الذي يستوجب حفر خنادق متقابلة ذكورية وأنثوية للتعبير عن طبيعة المسألة، وتشخيص حقيقة الظاهرة وتفكيكها، وصولا إلى جوهر الصراع الذي دار بين نمطين من الصور: صور صنعها خيال الرجل وتمثلاته عن المرأة بوصفها كيانا أنثويا موجودا وجودا واقعيا مصحوبا بتراث من التخيلات عنه، وصور مقابلة صنعتها الأنثى نفسها في سياق صراع بين التنميط والتفكيك لتلك الصور الذكورية التي ما برحت سائدة في الثقافة العربية.

أتحدث هنا في مناسبة ملف منشور في هذا العدد حول مجال واحد من المجالات الثقافية التي صنعت صورة المرأة في الأذهان، وهو مجال السينما.

إنما هل يمكن تحقيق فكرة إعادة النظر في تطور ثقافي على صعيد ما دون العودة إلى تاريخ الظاهرة التي نريد أن ندرس، إلى مراحلها المختلفة، إلى ما حضر فيها وشكل عناصر وجودها وقوتها، وما غاب عنها وشكل نقيصة وضعفا، وإلى طبيعة تجلياتها في حقل وجودها، وغيرها من المكونات والمحيط المتصل بالظاهرة؟ ينطبق هذا على ظاهرة بعينها وعلى مختلف الظواهر الثقافية والمجتمعية.

يقودنا الحديث عن التوجهات النقدية، من باب إعادة النظر في الإرث السينمائي الحديث إلى ملف آخر ضمه العدد ويتعلق هذه المرة بالمسرح العربي الحديث وتاريخه انطلاقا من ظاهرة مسرحية أساسية تتمثل في تجربة أحمد أبي خليل القباني الذي يكتنف جوانب من سيرته المسرحية بعض الغموض.

إلى وقت بعيد ظلت رحلة أبي خليل القباني إلى أميركا ضربا من الشائعة التي لم تنتشر كثيرا، ولم يصدقها الأقربون ونفاها أو تجاهلها جلّ المؤرخين الثقافيين عندما لم يجدوا لها وثيقة تدل على وقوعها، وقد ضرب هؤلاء صفحا عن البحث المتعمق والجاد في ظل ضعف التواصل الثقافي والمعرفي، بل وانعدامه، بين العرب والأميركيين، لا سيما في النصف الأول من القرن العشرين. على أن باحثا مشهودا له في العناية بأدب الرحلة العربي المكتوب في القرون الثلاثة الماضية، وضع مؤخرا كتابا أماطت صفحاته اللثام عن تلك الحادثة المخفيّة في سيرة أبي خليل القباني، لينقلها من ظلال الخرافة إلى شمس الحقيقة، ويكشف في الوقت نفسه عن أول اتصال ثقافي لبلاد الشام مع الديار الأميركية، والجمهور المسرحي الأميركي بالمعنى الواسع للكلمة.

***

هناك أكثر من معنى لهذا الكشف وللرحلة التي استمرت ستة أشهر صحبته خلالها فرقته المسرحية المؤلفة من نحو أربعين ممثلة وممثلا ومغنيات وعازفين من بلاد الشام، من دمشق وحلب وبيروت وحيفا والقدس وغيرها، أنشأ القباني على إثر وصوله وفرقته إلى شيكاغو بناء مسرحيا يتسع للآلاف من المقاعد، وعرض ما لا يقل عن 10 عروض مسرحية تحت مسمى "مرسح العادات الشرقية"، وحضر عروض مسرحه جمهور كبير من الأميركيين بينهم نقاد وصحافيون وفنانون، وكتبت قراءات نقدية للعروض في أهم الصحف الأميركية، وأدهش مسرحه الجمهور الأميركي، لكونه نهض على فكرة الفرجة، وتداخل الخشبة بالجمهور قبل نحو 40 سنة من تجربة برتولد برخت صاحب المسرح الملحمي الذي نهج النهج نفسه في عروضه المسرحية وفي توجهاته التعبيرية ذات الطابع التغريبي، واعتبر مرجعا للمسرح العربي الحديث، والسوري على نحو خاص الذي اعتمد فكرة الفرجة، وإسقاط الحائط الرابع بين الجمهور والعرض، من دون أن يذهب النقاد العرب إلى تأصيل مغامرتهم المسرحية استنادا إلى التجربة الريادية لأبي خليل القباني.

من شأن هذا الملف المنشور في العدد أن يفتح بابا للنقاش حول هذه المسألة، إضافة إلى الوثائق غير المسبوق نشرها والتي يقدمها، وللمرة الأولى، منبر ثقافي عربي، في بحث يلقي أضواء جديدة على هذه الشخصية الرائدة في الثقافة العربية.

***

أخيرا، فإن الملفين المنشورين في هذا العدد من "الجديد" يؤشران على مدى الاستجابة، من قبل حملة الأقلام العرب، للمغامرة التي تخوضها المجلة، على ضوء من توجهاتها القائمة على إشاعة روح البحث والتفكير بحرية، وتكريس مبدأ النقد الموضوعي والكشف الأدبي، والتشجيع على قراءة الظواهر الثقافية والأدبية بموضوعية وانفتاح، وصولا إلى إنطاق الوثائق المكتشفة حديثا عن المعطيات والحقائق التي تفيد في إعادة كتابة التاريخ الثقافي العربي الحديث بأقصى ما يتطلبه التأريخ من موضوعية والنقد من جرأة.

* لوحة: بسام كوشجي

غواية المرآة.. في فن السيرة الذاتية

ممدوح فراج النابي
كاتب من مصر

❑ فن السيرة الذاتية غربي المنشأ، لم تعرفه الثقافة العربية إلا في مرحلة لاحقة؛ فقد نشأ متأثرا بدوافع عديدة من أهمها الدافع الديني، فالدين المسيحي بما يقرُّه من مفاهيم كانت تُلزم بمحاسبة النفس والضمير. ومن ثمّ لجأ الكثيرون إلى تسجيل اعترافاتهم بغية التطهر. والسيرة الذاتية في أبسط تعريفاتها "هي سيرة حياة الشخص بواسطة الشخص نفسه"، وبمعنى أدق هي النظر في المرآة. ومع أن هذه النظرة مغرية للواقف أمام المرآة، إيجابا وسلبا، حيث يسعى صاحب السيرة إلى تجميل صورته وإظهارها بعكس ما هي عليه. وأحيانا يستغل السيرة للانتقام من أشخاص بتشويه صورهم وسرد عيوبهم.

يظن الكثيرون أن كتابة السيرة الذاتية سهلة، ومن ثم نرى حالة من الفوضى في هذه الكتابات التي تندرج تحت هذا الجنس.

وإن كان يغيب على كُتّاب السِّيرة أن منظريها وضعوا لها مواثيق غليظة، هي أشبه بـ"المواثيق مع الشيطان" على نحو ما فعل الفرنسي فيليب لوجون أو "اليمين السيري"، وهو ما يعادل القسم أمام ساحة القضاء كما هو عند الإنكليزي ديزموند مكارثي. هذا الميثاق يُلزم كاتبه بالصدق العاري، حيث تعرية النفس أمام المرآة دون زيادة أو نقصان، بغرض الوقوف على محطات حياته، الإشادة بالنجاح واستخلاص الدرس من تجارب الفشل والإخفاق. لم تعرف الكتابات العربية سيرا جريئة على نحو ما شاهدنا في كتابات الغرب كما فعل القديس أوغسطين في "اعترافاته" أو جان جاك روسو في "الاعترافات".. إلخ من نماذج دالة ومتمثلة للميثاق. فالثقافة العربية لا يتحمّل سقف حريتها المشدود والخاضع لأنساق العادات والتقاليد وقبلهما الدين هذه التعرية، خاصّة التعرية الجنسيّة والنزوات الغرامية، كما أن حُرّاس الفضيلة يقفون بالمرصاد إلى كُتّابها، شاهرين قوانين القيم وخدش الحياء. هكذا جاءت السير الذاتية العربية على كثرتها خالية من أهم شرط في السيرة ألا وهو الصدق العاري. ومن ثمّ كانت الصدمة التي تركتها سيرة المغربي محمد شكري "الخبز الحافي" وقد تحدّث فيها عن حياته البائسة وطفولته التي عاشها مشردا في طنجة بعد أن جاء من الريف. ومع هذه الجرأة في تعرية ذاته وعائلته أمام القراء في كسر لنمطية الكتابة الذاتية التي راجت، إلا أنه تحايل عن مفهوم السيرة وراوغ بعنوان مطّاط حيث وصفها بأنها "سيرة روائية" وهو ما يعطي مساحة لإعمال الخيال، بعكس السيرة التي هي استعادة حياة واقعية.

أبرز السير العربية التي شكّلت صدمة ليس من الناحية الأخلاقية، وإنما من ناحية الأعراف الجامعية، ما كتبه الدكتور رؤوف عباس تحت عنوان "مشيناها خطى" وهي السيرة التي فتحت النار عليه لانتقاده الأوضاع داخل الجامعة، ولم يكتف بالإشارة وإنما صرّح بالأسماء. وهو ما قاده إلى حملة مطاردات وصلت إلى القضاء. وكان رؤوف ملتزما بميثاق السيرة، وهو الصدق، وتنحية أي عواطف بعيدا. لكن الطرف الآخر لم يتقبل هذا الصدق الذي وصف بأنه جارح تارة وتارة أخرى بأنه تدليس وكذب. تبرز هنا إشكالية كبيرة في مسألة هل ما يقوله السارد هو الصدق بعينه؟ ولماذا لا يعتبر ما قاله تجربة شخصية ورؤيته للأحداث بعد رويّة وتأمّل، رغبة في الوصول إلى الضفة الأخرى، متجردا مما كان عبئا على صدره حتى خطه على الورق.

> يظن الكثيرون أن كتابة السيرة الذاتية سهلة، ومن ثم نرى حالة من الفوضى في هذه الكتابات التي تندرج تحت هذا الجنس

بعض السير الذاتية العربية الصادرة حديثا لا تشعر بمصداقية في ما تسرده الأنا عن أناتها في لحظات ضعفها وحزنها أو حتى فشلها على نحو ما صوّر وأبدع طه حسين في "الأيام"، وإنما تشعر وكأنها ذات متضخمة تنظر في مرآة مقعّرة وتقول بصوت فيه خيلاء "أنا وحدي في هذا العالم".

طوال الروايات وقِصارها

محمد حياوي
كاتب من العراق

❑ يعتقد البعض نظريًا بأنّ الرواية لا ينبغي أن تكون طويلة جدًا، ولكن إذا كانت قصيرة جدًا فإنها لا تكون رواية. طالما شغلت هذه القضية الكثير من متتبعي الأدب ومحبي الرواية في مختلف مناطق العالم وفي مختلف الأزمنة، وما زال الجدل قائمًا حتى يومنا هذا، فقد ساد اعتقاد ما في الماضي بأنّ الروايات الطويلة والضخمة هي التي تحظى بالتقدير والاهتمام، وهذا الاعتقاد سببه ظهور بعض الروايات العظيمة آنذاك مثل رواية سرفانتس "دون كيشوت" ورواية دوستوفيسكس "الأخوة كرامازوف" ورواية تولستوي "الحرب والسلام" ورواية تشارلز ديكنز "ديفيد كوبرفيلد"، بينما يعتقد الكثير من النقاد ودارسي الأدب في الغرب بأنّ الإيجاز فضيلة مثلى نتيجة لاختلاف نمط الحياة ومزاج القرّاء.

ويبدو أن هناك طريقتين لتقديم الطابع الإنساني للأحداث، الأولى الطريقة المختصرة أو المكثفة لترصّد حياة شخصية أو مجموعة من الشخصيات. والأخرى تلك المغرقة في التفصيلات والرصد البانورامي والامتداد الزمني الطويل، والتي تبدأ منذ الولادة وتنتهي في الشيخوخة في فترة من التاريخ.

ولا يمكن لأي شكل آخر من أشكال الفن المعاصر، كالقصيدة الملحمية والدراما والفيلم، أن يتطابق مع موارد الرواية المفتوحة بمؤثراتها الحسيّة والعاطفية المجسّدة بالكلمات، سواء أكانت طويلة أم قصيرة. ولعل رواية "الحرب والسلام" هي المثال المظفر الكبير لدراسة النوع البانورامي لمجتمع كامل، إذ امتدت أحداثها من أوائل القرن التاسع عشر في روسيا حتى مطلع القرن العشرين، من دون أن تهمل رصد المشاعر والأحاسيس والعواطف إبان فترة التغيير الكارثي وتمخضات دخول القرن الجديد، والمثال الثاني يأتي من روسي آخر هو بوريس باسترناك في روايته "الدكتور زيفاغو" في العام 1057، على الرغم من أنها أقل رصدًا للمشاعر المضطرمة إبان الثورة الروسية حسب الكثير من النقاد. لكن وبعدد صفحات أقل بكثير من هاتين الروايتين، جسدت مارغريت ميتشل في روايتها "ذهب مع الريح" مشاعر العظمة والرعب والكراهية والصراعات الكلاسيكية التي اعترت المجتمع حديث التكوين في أعقاب الحرب الأهلية الأميركية.

وغني عن القول إن طول الروايات وبانوراميتها لا يضمنان بحد ذاتهما عظمة خياليَّة، فمن بين الكتّاب الأميركيين، على سبيل المثال احتفل جيمس جونز بالجيش الأميركي عشية الحرب العالمية الثانية في روايته "من هنا إلى الخلود" الصادرة في العام 1951، على الرغم من قصرها النسبي نتيجة ما عدّه النقاد كتابة غير متحفظة زاخرة بالتوصيف العاطفي.

وغالبًا ما يحتم موضوع الرواية حجمها الكبير جدًا، بغض النظر عن نجاحها في تحقيق المتعة والتفاعل العاطفي لدى القرّاء، وتحضر هنا رواية مارغريت يونغ "مس ماكينتوش عزيزتي" الصادرة في العام 1965 كمثال حيّ على هذا الصعيد، وهي أطول رواية من مجلد واحد في القرن العشرين إذ تجاوزت الـ1198 صفحة.

ولم تكن الأشكال الجديدة والقصيرة من الروايات كالنوفيلا والنوفيليت معروفة أو شائعة جدًا، ومع ذلك فإن معرفة الاختلافات لا تزال مهمة بالنسبة إلى الكثيرين، على الرغم من أنها جميعها تعتمد الخيال بطريقة أو بأخرى، لكن لكل نوع منها غرضه الخاص وطريقته في التوصيل بما يراه كتّابها مناسبًا لموضوعاتهم.

وبغض النظر عن التصنيفات الحديثة للنصوص السرديّة والمتمثلة في إطلاق المصطلحات اللاتينية على أطوالها كالنوفيلا والنوفيليت والنوفيل ووضع الجداول بعدد كلمات كل صنف منها، تبقى الرواية خالدة في قدرتها على تجسيد موضوعتها وابتكار قالبها السرديّ المتفرد وتحقيق الكم المناسب من الإدهاش والمتعة والمعرفة بالنسبة إلى القرّاء، سواء كانت نوفيليت من ستين صفحة أو نوفيلا من مئة صفحة أو نوفيل من ثلاثمئة صفحة.

اللامرئي في أعمال الفنانين

100 فنان يحيون «صالون القاهرة» بلوحات تنتصر للإنسان

شريف الشافعي
كاتب من مصر

❏ لا شك في أن التشكيل هو أعرق الفنون وأخصبها بمصر منذ عهد الفراعنة، ويعد "صالون القاهرة" هو أقدم فعالية فنية بمصر لا تزال تقام حتى الآن منذ العام 1921، لدعم التواصل بين الأجيال وتعميق الحوار بين الاتجاهات المتعددة وملاحقة تطورات حركة التشكيل العالمية.

وتنعقد في الوقت الحالي بقصر الفنون في دار الأوبرا المصرية الدورة الثامنة والخمسون لصالون القاهرة تحت عنوان "الرسم: الغاية والوسيلة"، بمشاركة حوالي مئة فنان ينتصرون بلوحاتهم للإنسان في مواجهة عصر التكنولوجيا والتسليع.

يكرم صالون القاهرة ثمانية رواد تشكيليين مصريين، تقديرا لعطائهم الممتد وتأثيرهم الفعال في مسار الفن الحديث، وقد افتتح الصالون مساء الرابع من مارس الجاري، ويقام بالتعاون بين قطاع الفنون التشكيلية برئاسة الفنان خالد سرور وجمعية محبي الفنون الجميلة برئاسة الفنان أحمد نوار.

> الدورة الثامنة والخمسون للصالون تشهد تواصلا بين أجيال مختلفة وحوارا بين اتجاهات وتقنيات متعددة لاستيعاب مستجدات حركة التشكيل بمصر والعالم

ويشهد صالون القاهرة كذلك عددا من الندوات والورش الفنية المصاحبة للحدث، لتحقيق الهدف المنشود بإلقاء الضوء على فن الرسم "مجال الصالون هذا العام"، من خلال إطلالات نوعية متعمقة، وإتاحة الفرصة للتعرف على أحدث التيارات ومختلف وسائل التعبير.

ومن الفنانين المشاركين بالصالون: عصمت داوستاشي، سمير فؤاد، أحمد نوار، رباب نمر، حمدي أبوالمعاطي، نذير الطنبولي، عماد إبراهيم، سيد سعدالدين وفتحي عفيفي، أما المكرمون فهم: سيف وانلي، تحية حليم، أحمد عثمان، السيد القماش، جميل شفيق، حسن سليمان، نحميا سعد وسعيد العدوي.

الرسم والعمق التاريخي

يكتسب "صالون القاهرة" أهمية خاصة تعود إلى عمقه التاريخي، إذ مضى على انطلاقه قرابة قرن من الزمان، ولولا عدم الانتظام في إقامته سنويّا بسبب الحروب والأحداث السياسية، لكانت دورته الحالية تحمل رقما أكبر من 58.

تأسس "صالون القاهرة" بمعرفة الجمعية المصرية للفنون الجميلة، وافتتح الصالون الأول في إبريل 1921 تحت الرئاسة الفخرية للأمير يوسف كمال، وفي العام التالي انعقدت الدورة الثانية برعاية الأميرة سميحة حسين، في حين انطلقت الدورة الثالثة في 1923 بإشراف "جمعية محبي الفنون الجميلة" بعد تأسيسها.

وقد التفتت وزيرة الثقافة المصرية إيناس عبدالدايم إلى هذا العمق التاريخي، مشيرة في تقديمها للصالون إلى أنه "يسترجع أحلام الفنانين العظماء مؤسسي هذا الحدث الكبير، وهم يضيئون مشاعل التنوير، ويشقّون محورا إبداعيّا لتلاقي المبدعين وجذب محبّي الفن المعاصر بمختلف أفرعه ومجالاته".

وتضطلع "جمعية محبي الفنون الجميلة" بتنظيم الصالون حتى الآن، وقد اقترنت رئاسة الجمعية بأسماء لامعة في حركة الفن التشكيلي بمصر والعالم، منهم: محمد محمود خليل الذي ترأسها حتى العام 1953، وصولا إلى رئيسها الحالي الفنان أحمد نوار.

ويشير نوار إلى أن هذه العراقة تمثل دافعا قويّا لتقديم طرح جاد في صالون القاهرة، وتحريك واستدعاء أفكار جديدة مختلفة للفنانين، للخروج عن إطار النشاط الفني التقليدي الشائع، وتجاوز التكرار الذي انتشر بشكل لا يتوافق مع الحركة الفنية المصرية التي قدمت رموزا عبر عقود متصلة من التاريخ.

يأخذ "صالون القاهرة، 2018" على عاتقه مهمة إحياء فن الرسم، الذي يعد أبرز ركائز التشكيل، وأهم أسس بناء الأفكار وتحويلها إلى إبداع مرئي في حيز الواقع.

كما يعد الرسم مرجعية أصيلة تُمكّن الفنان من صياغة مفرداته ومعالجة عناصره بسلاسة، وتُعمّق حس الانصهار من أجل ابتكار حالة متجانسة متكاملة، قد لا تتاح لبعض الفنانين ممن لا يولون الرسم الاهتمام الكافي في مرحلة التشكّل والبناء.

ويوضح أحمد نوار أن أهداف الدورة الحالية للصالون تشتمل أيضا على اكتشاف اللامرئي في أعمال الفنانين، للوصول إلى الجوهر البنائي لرؤاهم الفنية، وهو ما يمثل حافزا مهمّا لنقاد الفن التشكيلي للتأمل والتدقيق والتحليل، ليدلوا بدلوهم، فتكتمل دائرة الاستفادة.

ومن خلال "فن الرسم"، يمكن للفنان إعادة اكتشاف ذاته، كما يقول الفنان سامح إسماعيل، قوميسير عام صالون القاهرة، مشيرا إلى أن فن الرسم يعاني من تواري طرحه كوسيط مستقل في المشهد التشكيلي المعاصر، باستثناء حالات قليلة من الفنانين الذين يتكئ مشروعهم على هذا اللون الفني الذي لا يزال قادرا على كشف أبعاد غير متعارف عليها في الخطاب التعبيري.

فيوضات إبداعية

يحفل "صالون القاهرة" بأعمال ذات زخم إنساني، تمثل فيوضات وتجليات مئة فنان من أجيال وتيارات مختلفة أدلوا بدلوهم في مسار حركة التشكيل الحديثة، وتتماشى انتقاءات الأعمال المعروضة للفنانين المعاصرين مع اختيار أسماء المكرمين، بوصفهم من الرموز البارعين في التقاط المشاعر الإنسانية، وتصويرها إبداعيّا ببراءة الخيال البكر.

يُكرّم "صالون القاهرة" ثمانية فنانين لهم رصيد مثمر في الرسم، هم: أحمد عثمان (1907–1970) صاحب البورتريهات فائقة الحساسية بالفحم، والسيد القماش (1951–2016) عازف الموسيقى بالحبر الشيني وصياد المشاهد الحية، وتحية حليم (1919–2003) مبدعة "الرصاص" بخطوط رفيعة على الورق، وجميل شفيق (1938–2016) مؤسس التكوينات الدرامية في فضاء الأبيض والأسود.

ومن المكرمين كذلك: حسن سليمان (1928–2008) أحد أبرع المعبرين عن الشخصية المصرية البسيطة بتجليات الفحم، وسعيد العدوي (1938–1973) سارد القصص الشعبية وحواديت القرية وحكايات الصيادين بالحبر الشيني، وسيف وانلي (1906–1979) عاشق الإسكندرية وحامي هويتها وصاحب التجارب المرهفة بالفلوماستر على الورق، ونحميا سعيد (1912–1945) أحد رواد التصوير والرسم بالأبيض والأسود.

وتأتي الدورة الـ58 لصالون القاهرة استكمالا لجهود فناني مصر في مجال الرسم، حيث الإفاضة بانتقائية واقتناص مشاهد حياتية وتفاصيل واقعية من أجل بلورة الإنسان كمحور للحدث، وما يتعلق بمكابداته وانفعالاته الداخلية، وانفتاحه على عناصر الوجود والكائنات الأخرى كما لدى عصمت داوستاشي، وحركيته اللامتناهية كما يصوّر سمير فؤاد، وصراعه مع الآلة والتقنيات كما عند أحمد نوار.

ويشهد الصالون كذلك مغامرات حمدي أبوالمعاطي ورباب نمر في هندسة الوجوه والأعضاء الآدمية، وغياب الملامح وذوبانها في الظلال عند فتحي عفيفي، والتحام الإنسان بالشجرة ومفردات الطبيعة لدى عماد إبراهيم، وحالات التصوف والائتلاقات الروحية في أعمال سيد سعدالدين، وسرديات الحياة الأسرية عند نذير الطنبولي.

وفي سبيل الانتصار للإنسان أيضا، بالتعبير عن المشاعر العميقة المنسيّة في ركام عصر المعلوماتية والسيطرة التكنولوجية على برمجيات حركة الحياة، يقدم العشرات من الفنانين الشباب أعمالا متفاوتة الأحجام، بين القصاصات الصغيرة واللوحات المتوسطة والأعمال الضخمة التي اتسعت لها جدران قصر الفنون متعدد الطوابق والقاعات.

وفي حين عمد فنانون إلى أقصر الطرق للتعبير عن الحالة والجوهر الإنساني المشع، باعتبار أن الرسم هو التعامل الطفولي من غير جاهزية ذهنية وقوالب مسبقة، فإن بعض التجارب الشابة وقعت في فخ الإبهار واستعراض القدرات، وهي سمة مألوفة في البدايات، ويتم تجاوزها مع المزيد من النضج.

رباب نمر: وجوه في جدارية

أحمد نوار: تجريد حديث

حمدي أبو المعاطي: تخطيط

نذير الطنبولي: المرأة الزينة

سمير فؤاد: عالم شبحي

سيد سعد الدين: على رؤوسهم الطير

من الاستحواذ إلى الإسترداد

صورة المرأة في السينما العربية

كانت المرأة دائما حاضرة بقوة في السينما العربية، سواء كشخصية رئيسية في الأفلام كما تجسّدها الممثلة، أو وراء الكاميرا كسينمائية: مخرجة، مصورة، مونتيرة، مهندسة ديكور.. إلخ.

وعادة ما يشار إلى دور المرأة في السينما العربية على وجه الخصوص، بنوع من المبالغة، ومع إضفاء قدر من التقدير المصطنع والإشادة المفتعلة التي تصدر عادة عن "ذكور السينما" بما يوحي بنوع من الوصاية التي ربما لا تكون مقصودة لكنها تبرز في ثنايا الحديث الذي لا تكف وسائل الإعلام عن ترديده حول "دور المرأة في السينما" أو "المرأة هي الرائدة في صناعة السينما". وعلى النقيض من هذه الهالة المصنعة التي يقصد بها التغطية على ما هو قائم بالفعل من مشاكل تتعرض لها المرأة، سواء في السينما أو في المجتمع عموما، يميل البعض أيضا إلى التقليل من حضور المرأة، والانتقاص من محاولاتها بناء صورة مستقلة لها من خلال الأفلام التي تصنعها أو تشارك في صنعها.

ولكن هل أصبحت المرأة تمتلك أصلا "وسائل الإنتاج" السينمائي لكي يمكن الحديث عن "سينما المرأة"؟ وما معنى هذا المصطلح، وهل هو مصطلح علمي أو يرقى إلى مستوى مصطلحات أخرى أصبحت مستقرة في الدراسات السينمائية الأكاديمية مثل "سينما المؤلف" و"الفيلم نوار" و"السينما الثالثة".. وغير ذلك؟ أم أنها صرخة تتردد منذ سنوات طويلة دون أي صدى حقيقي لها، أي دون أن يكون لها مردود عملي وتأثير مباشر على الصناعة نفسها إن وجدت بالطبع؟

قبل أكثر من ربع قرن أجريت حوارا مطولا مع المخرجة اللبنانية– المصرية الراحلة نبيهة لطفي التي كانت قد أسست لتوها ما أطلقت عليه "جمعية سينما المرأة" في مصر، وكنا نحضر في ذلك الوقت مؤتمرا لمناقشة "سينما المرأة" أقيم على هامش مهرجان قرطاج السينمائي في تونس. وقد سألتها حينئذ عن تصوّرها لمفهوم "سينما المرأة". خاصة أن الكثيرين يعتقدون أن السينما هي سينما فقط، سواء أكانت من صنع الرجل أم المرأة، فما معنى التفرقة بين السينما التي يصنعها الرجل وتلك التي تصنعها المرأة؟

* أمير العمري

«سينما المرأة» أم «السينما التي تصنعها المرأة»

مخرجات عربيات يتحدثن

نيرمين يسر
ناقدة من مصر

تعدّدت أشكال وأنماط النساء المختلفة التي قدمتها السينما المصرية، والتي تغيّرت ملامحها وتبدّلت بمرور الوقت طبقا للقضايا المثارة في الفترة الزمنية، فلم نعد في الوقت الحالي نجد هذا النوع من الأفلام التي مازالت تدور في منزل "السيد عبدالجواد" في الأفلام المأخوذة من ثلاثية نجيب محفوظ، أو الأم الطيّبة والزوجة الخاضعة والحبيبة الخجولة، بل ظهر نوع آخر من نساء السينما المصرية أكثر إصرارا ونجاحا وفخرا بأنفسهن، خاصة عندما ازدهرت فترة مناقشة قضايا المرأة الاجتماعية والتي تصدّرت قائمتها الفنانة فاتن حمامة من خلال مناقشة قضايا عمل المرأة في فيلم "الأستاذة فاطمة"1952– من إخراج فطين عبدالوهاب، ومناقشة قضايا الشرف في فيلم "دعاء الكروان"1959– عن رواية طه حسين وإخراج هنري بركات.

حدثت أيضا تعديلات على بنود عتيقة وردت في قوانين الأحوال الشخصية في مصر بعد ظهور فيلم "أريد حلا"– 1975 للمخرج سعيد مرزوق وبطولة فاتن حمامة، والذي يتناول قضية بيت الطاعة والطلاق الذي يملك الزوج قراره فقط وهو أحد تلك الأفلام التي ناقشت عدة قضايا كان من شأنها أن تصنع تغييرا حقيقيا في القوانين القضائية والأعراف الاجتماعية. وبمناسبة تلك الأفلام التي بسببها تغيّرت قوانين عاتية وظالمة لا بد أن نذكر فيلم "عفوا أيها القانون"– 1985 من إخراج إيناس الدغيدي الذي يثير قضية تتعلق بسماح القانون بعدم تدخل الزوجة في حال شاهدت زوجها متلبسا بخيانتها، ففي الفيلم تطلق نجلاء فتحي الرصاص على محمود عبدالعزيز فتقتله، بعد أن شاهدته في الفراش مع صديقتها، لتقضي 15 عاما في السجن، في حين يبيح القانون للزوج مقاضاة زوجته في حال ضبطها متلبسة بخيانته لكي تسجن، إلا إذا صفح عن خيانتها وسمح لها بالاستمرار في الحياة بعد طلاقها منه دون المحاكمة.

> منذ ما يقرب من عشر سنوات تم إطلاق تصنيف جديد على نوع من الأفلام السينمائية يعرف باسم "سينما المرأة"، وهو تعبير له تفسيرات متعددة يتفق معها صناع السينما خاصة من المخرجات

أشرنا فقط إلى عدة أفلام بطلتها امرأة قوية تدافع عن حقها في المساواة، وامرأة أخرى مقهورة تحاول الانتقام لشرف شقيقتها، وفيلم عن الحقوق القانونية للمرأة، وهناك أيضا العديد من الأفلام الهامة والمميّزة التي رفّعت من شأن المرأة والدفاع عن أحقيتها في العمل القيادي مثل فيلم "مراتي مدير عام"– 1966 بطولة شادية وإخراج فطين عبدالوهاب.

واختلفت صورة المرأة القوية في السينما وظهرت أفلام رديئة تسيء إليها وتنتقص من كيانها وأهميتها في الحياة، تلك التي اقتصرت على إبراز جسد المرأة المثير في أدوار الإغراء، خاصة خلال فترة أفلام المقاولات وهي كثيرة بالمقارنة مع أفلام جيدة تحافظ على الصورة الجيدة، لتعود الصورة السلبية السطحية في أفلام تناقش مثلا قضية التحرش الجنسي المستجدة على مجتمعنا من خلال فيلم "678"– 2010 إخراج محمد دياب.

ولا يمكن أن نتجاهل ما يعرف بـ"أفلام العشوائيات" بكل ما تحمله نساؤها ذوات النفوس المشوّهة جراء الفقر والاحتياج الذين يدفعانهن للتنازلات مثل أفلام "حين ميسرة"– 2007 للمخرج خالد يوسف، الذي ناقش من خلاله موضوع أطفال الشوارع نتيجة الحمل سفاحا، والنساء اللائي قررن تقديم التنازلات لكسب جنيهات قليلة لا تستحق المعاناة.

ومنذ ما يقرب من عشر سنوات تم إطلاق تصنيف جديد على نوع من الأفلام السينمائية يعرف باسم "سينما المرأة"، وهو تعبير له تفسيرات متعددة يتفق معها صناع السينما خاصة من المخرجات وإن كن يختلفن في أرائهن التي تتعلق بهوية سينما المرأة كما أوضحت المخرجة أمل رمسيس، مؤسسة ورئيسة مهرجان القاهرة الدولي لسينما المرأة. فهي تقول إن سينما المرأة هي تلك السينما التي تصنع أفلامها المخرجات– النساء، لأن المخرج هو صاحب الرؤية الكاملة للفيلم في النهاية، وليست فقط الأفلام التي تطرح وتناقش قضايا المرأة في مختلف البلدان العربية والأوروبية.

الممثلة ياسمين رئيس من فيلم «فتاة المصنع»

مسارات وتحولات.. صورة المرأة في السينما المصرية

رزان إبراهيم
ناقدة من الأردن

في كتابه "النظرية الثقافية والثقافة الشعبية" يشرح الباحث الإنكليزي جون ستوري كيفية إخضاع الجماهير وتطويعها لقبول تصورات موجهة تقف وراءها مؤسسات لها اشتراطاتها في الاحتفاء بمنتج ثقافي خلافا لآخر تعمل على تنحيته جانبا، ليغلو الترويج أو النشر أو العرض مؤطرا بمقاصد جهة بعينها، فهناك من دون أدنى شك صناعة ثقافية ممنهجة قد تتفوق في آثارها على فعل الجيوش والأسلحة، من شأنها السماح بإعادة تشكيل الحياة الاجتماعية، وكذلك السياسية. ولعل حديثنا عن الثقافة الجماهيرية وعلاقتها بالسلطة له ما يبرره في سياق الحديث عن السينما العربية، وأخص بالذكر هنا السينما المصرية، التي لا يجوز بحال من الأحوال تجاوز سطوة كبيرة مارستها، وكانت لها آثارها الجلية في تشكيل الأبعاد الفكرية والنفسية والوجدانية والمزاجية والدينية والقيمية والسياسية لدى قطاع كبير من الأفراد على امتداد أقطار العالم العربي.

كانت المرأة، وعلى مدار سنوات موضوعا أساسيا في الفن والأدب، بل إن السينما ومنذ النشأة، اعتمدت المرأة لتكون العنصر الأهم الذي لإزم كافة الحكايا السينمائية، وكانت دون أدنى شك الطرف الأبرز أيضا في منعطفات الحبكة ومجريات الحدث السينمائي، بما يجعلنا قادرين على الحديث كما سياتي في سطور قادمة عن صور بعينها اعتمدها الكتّاب والمخرجون، ظهرت معها المرأة أداة للتعبير عن العديد من الأمور والقضايا التي شغلت الراي العام في فترات زمنية مختلفة. يبقى السؤال الأبرز في هذا المقال متمحورا حول القضية التالية: هل اقترنت صورة المرأة من الواقع مع أن أغلب الأفلام السينمائية وقعت في التنميط كما هو الحال في الرواية العربية التي تناولت صورة المرأة؟

يبدو لافتا للمراقب أن الأفلام المصرية الروائية الطويلة منذ نشأتها عام 1927 اعتمدت الفنون الاستعراضية وعلاقة الحب بين المرأة الأرستقراطية والرجل النبيل والفقير، والتي غالبا ما تنتهي بسعادة المظلوم الضعيف وقهر الظالم الأقوى. وهو الطرح الذي طالما رافقته أنماط من الشخصيات السطحية غير المركبة، والمفتقرة إلى حسّ الحياة بكل ما فيها من تفاصيل، فالشرير مغرق في شرّه، والطيّب مغرق في طيبته، وكذلك المرأة التي اختزلت على شكل مثال حتى وإن ارتدت الحانات، ولبست ثياب الرقص، أو على شكل شيطان رجيم حتى وإن ارتدت ثياب العفة والشرف. لذلك كثرت تلك الأفلام التي تحكي عن علاقة الرجل بالمرأة من الالتقاط إلى سياقاتها المحلية الواقعية بكل ما يعتريها من أبعاد سياسية واجتماعية غاية في الأهمية، وهو ما يحضر في إطار رقابة ابتدأت منذ أيام الملك فاروق الذي يذكر عنه محمود علي في كتابه "مئة عام من الرقابة على السينما المصرية" أنه قام بمنع فيلم "لاشين" عام 1938، وأنه لم يفرج عنه إلا بعد إحداث تغييرات جذرية وافقت عليها العائلة المالكة.

> كانت المرأة، وعلى مدار سنوات موضوعا أساسيا في الفن والأدب، بل إن السينما ومنذ النشأة، اعتمدت المرأة لتكون العنصر الأهم الذي لازم كافة الحكايا السينمائية

في حديثنا عن المرأة في الصناعة السينمائية، لا يمكن بحال من الأحوال التغاضي عن صورة المرأة المبهرة المجسدة لصورة الأنثى في أجمل حالاتها، وإذ يحتفي المشاهد الرجل بهذه الصورة فلأنها تنبع عن رغبة فحولية لخلق المتعة البصرية المتحققة من خلال الجنس المؤنث. أما المرأة وإذ تحتفي بهذه الصورة، فلأنها قد تدخلها في حالة تقمص وجداني تحتلها وهي تتابع مرارا وتكرارا، بما يدفعها إلى تقليد صورة مرسومة رسمة ثقافية يتم ترسيخها بقصدية مدروسة، إلى درجة السعي أحيانا باتجاه تعديل إطلالتها وفقا لنموذج ممثلة أو فنانة مشهورة كما يذكر خبراء التجميل. جدير بالذكر هنا أن الممثلة السينمائية نفسها وبهذه الصيغة المطروحة تكون قصيرة العمر فنيا، وأنقل عن الغذامي قوله "فإذا ما بلغت الممثلة سنا معينة اختفت من السوق بسبب عدم تأهلها لنقل الصورة البهية المطلوبة إعلاميا ويجري استبعادها بسبب انتهاء صلاحيتها التسويقية". بما يعيدنا إلى نقطة البداية حيث الهدف الإمتاعي التسويقي الانتهازي، وعليه فما أسرع أن تغيب النجمات بعد أن يأفل بريقهن، لتكون المرأة آنئذ مجرد أداة تمثيل ظرفية يجري الاستغناء عنها بعد نفاد الصلاحية. علما أن الانكشاف المفضوح المتكرر لجسد المرأة لم يكن إلا واحدا من عوامل متعددة أفقدت المرأة مكاسب لها على صعيد التحرر الفكري ونمو الذات.

مشهد من فيلم بر بحر للمخرجة الفلسطينية ميسون حمود

نافذة على جدار إسمنتي

هدى جعفر
ناقدة من اليمن

في 1985 نشرت فنانة الرسوم المتحركة اليسون بكدل إحدى حلقات سلسلتها "دايكس تو واتش اوت فور" Dykes to Watch out for وتبدو فيها الصديقتان جنجر ومو تتناقشان حول فيلم السهرة فتصرّح مو بأنها لا تذهب لمشاهدة أي فيلم إلا إذا كان يحقق ثلاثة شروط: أن يحتوي العمل على امرأتين على الأقل، وأن تتحدثان مع بعضهما البعض، وأن يكون الموضوع بعيدا عن الرجال. بعد عدة سنوات أصبحت هذه القصة أساسا لما عُرف بأنه اختبار بكدل أو اختبار بكدل ووالاس حسب تفضيل أليسون نفسها، والذي أصبح يُستخدم في الأكاديميات لتقييم الأفلام في ما يخصّ دعم النساء وتعزيز حضورهن فيها، تقول أليسون بكدل إنها تدين بالفضل في وضع هذا الاختبار إلى صديقتها ليز والاس وكتاباتها فيرجينيا وولف.

لندع أليسون بكدل واختبارها جانبا ونرى سينمانا العربية التي تجاوزت عامها المئة منذ عدة سنوات.

المرأة أم السينما

تُجمع العديد من المصادر أنّ عزيزة أمير (17 ديسمبر 1901 – 28 فبراير 1952) هي الأم الشرعية للسينما المصرية إذ قامت بإنتاج فيلم (ليلى) وهو أول فيلم روائي طويل في السينما العربية، وهذا الامتياز النسائي الذي تم تجاهله في عدد من الدراسات التي تناولت بدايات السينما العربيّة، قد ينطوي على القليل من التمحيص على عكس ما يبدو، وأقصد هنا السبب الذي جعل بداية السينما تقوم على أيدي النساء إن صح التعبير.

تقول السياسيّة والكاتبة اللبنانيّة منى فيّاض تعليقا على هذا الموضوع في مقالها في مجلة "العربي" لعدد نوفمبر 2005 "يمكن التساؤل هنا عن سبب بروز سيدات في بدايات عصر السينما المصرية، بينما كنّ مرفوضات في المجالات الأخرى.. أليس السبب نظرتنا إلى السينما كعالم هامشي وترفيهي يتميز بالخفّة، وبالتالي لا يمكن أن ينظر إليه بالجدية الكافية كي تتم منافسة النساء فيه وإقصائهن، وخاصة في البدايات حيث المغامرة والمخاطر أكبر بكثير من المكاسب".

بعيدا عن هذا الرأي أو ذاك، لا شك أنّ النساء شاركن بقوة في بدايات السينما العربية كممثلات ومخرجات ومونتيرات مثل: بهيجة حافظ، فردوس حسن، آسيا داغر، فاطمة رشدي وأمينة محمد، ولكن ظلّت العلاقة بين المرأة العربية والسينما علاقة شائكة ومتلبسة وبالغة التأثر بكل ما اعترى المنطقة العربية من ارتفاع أسعار الرغيف وحتى الصراعات المسلحة.

سينما للنساء

ساهم الكثير من النقّاد والمحللين الاجتماعيين والنفسيين وحتى الهواة في تحليل صورة المرأة في السينما العربيّة، ومحاولة فهمها وتقييمها وإعادة شرحها من زوايا متعددة، وقد اجمعت الكثير من الدراسات والمقالات على أنّ السينما قدّمت صورا مشوهة لنماذج من النساء، منها المرأة المطلقة سيئة السمعة، والزوجة الخائنة، والسكرتيرة اللعوب، والحماة المتحكّمة، وأنّها منحت البطولة دائما للرجال بما تسبغه عليهم من صفات الحكمة والعقل والوطنيّة والشجاعة.

ولكن من وجهة نظري، اعتقد أنّ المشكلة كانت أيضا في السينما التي زعم أصحابها أنهم ينّاصرون المرأة، ويشجعون حقوقها، ويُلمعون صورتها التي خدشتها العادات والتقاليد، لأنّها تعاني في الأساس من مشاكل السينما العربية بشكل عام مثل: النصوص والإنتاج وفهم الوظيفة الجوهرية للسينما، بالإضافة إلى مشاكلها الأساسية النابعة من طبيعتها باعتبارها سينما عن المرأة.

تناولت السينما "المُناصرة" قضايا المرأة بطريقة تشبه كثيرا التعامل الحكومي معها، إذ اعتمدت على توليفة جاهزة من الشخصيات والنصوص العائمة التي فقدت معناها من فرط تكرارها، فلم تُقدّم سوى نسخ من بعضها البعض، مبررة هذه المعالجة بأن هذا هو الواقع الذي يجب على السينما أن تعكسه، وجسدت هذه السينما أنماطا معينة للمرأة بصورتها الناصعة والإيجابية من وجهة نظر صُنّاعها، بينما لم تكن سوى إعادة إنتاج لشروط المرأة الصالحة حسب المجتمعات الأبوية التي تقول هذه السينما إنها تناقشها.

يُحب السينمائيون دور الأم، فهو يتيح خلق مساحة تمثيلية مضمونة ومرغوبة ورائجة، تتماشى مع المنظور الاجتماعي لأهم دور للمرأة في الحياة في المجتمعات الشرقية، إلى درجة جعلت بعض الممثلات يتخصصن في دور الأم وهو ما يصعب أن نجده في نتاجات سينمائية في دول أخرى تشاركنا ظروفنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. هناك- مثلا- الممثلة فردوس محمد بصدرها الكبير، ووجهها الذي ينطق حبا ورعاية. تقول مريم فخرالدين لزاهي وهبي في إحدى حلقات برنامج "خليك بالبيت" الذي كان يُعرض في تلفزيون المستقبل إنّ أمها الهجرية لم تكن تمثل لها الصورة التي ترغبها عن الأم، فلم يكن صدرها كبيرا كصدر فردوس محمد!

الأم الصالحة في السينما هي الأمّ المضحية، هي شمعة البيت وأساسه، هي من ترفض تكرار الزواج الثاني بعد الطلاق أو وفاة الزوج.

لم تكن فردوس محمّد هي الوحيدة كنموذج مفضّل للأمهات، فهناك أيضا كريمة مختار وأمينة رزق وأمال زايد بل وحتى شادية التي قدمت في فيلم "لا تسألني أنا" (1984) دور الأم عائشة التي تبيع ابنتها للسيدة شريفة (مديحة يسري) كي تستطيع بثمنها أن تربي باقي أبنائها، وهي قصة مأساوية تضج بالألم والقسوة والابتزاز العاطفي.

هذا النموذج من الأم "الشقيانة" شجعته الحكومات العربية والسينما على حد السواء، وما عليك سوى أن تراجع شروط الفوز بجائزة الأم المثالية لتعرف أنّه كلما تعددت عذابات الأم كلما استحقت تقديرها وتثمينها.

وفي منهج مواز لما سبق، أسست السينما أيضا لصورة الأم السيئة، الأم التي لا تستحق هذا اللقب الذي لا يحمل لصاحبته سوى الشرف والرفعة، وهي هنا سيدة متأنقة، شديدة الاهتمام بمظهرها، ثرية أو من أسرة أرستقراطية، وهي بالضرورة مدخنة لأنها سيئة السمعة، أو موظفة لأنها مهملة، وقد يتجاوز الأمر أن يكون لها عرق أجنبي، أو يكون لها مظهر أوروبي. في فيلم "عمارة يعقوبيان" (2006) لمروان حامد، كانت والدة الصحافي حاتم رشيد (خالد الصاوي) الخائنة المهملة لابنها من زوجها المصري، فرنسية الجنسية، وفي فيلم "كدبة كل يوم" (2016) مثلت شيرين رضا، بمظهرها الأوروبي الواضح، دور الأم المطلّقة، صاحبة البيزنس، التي تظل فاسدة حتى يأتي الرجل (فاروق الفيشاوي) لإصلاح ما أفسدته.

إذن، فالمرأة والأم شيء واحد لدى صُنّاع السينما، وتعزيز مكانة المرأة يتم عبر التأكيد على أهمية كونها أمّا، وعليه يتم الحكم عليها كامرأة صالحة أو فاسدة، ونموذج الأم الصالحة هو الـ"باترون" الذي خاطبوا عليه كل الأدوار التي تدعم صورة المرأة في السينما.

ولذلك لم تتطرق السينما أبدا إلى المرأة التي لا تريد خيار الأمومة إلا من باب الحكم عليها إما كسيدة مريضة أو منحلّة، فقد يغفر صنّاع السينما لعاملة الجنس والمطلية والقاتلة وغيرهن من النماذج التي تخرج عن الإطار القيمي للمجتمع، من وجهة نظرهم، ويقدمون لهن أطنانا من المبررات، لكن لا يمكن أن يتفهموا معنى أن تُفضل المرأة عدم الإنجاب، فالمرأة قد تكون أما سيئة أو صالحة، لكن لا يمكن الا تكون أما على الإطلاق.

نادين لبكي أثناء تصوير فيلمها سكر بنات

سينما المرأة العربية: التاريخ، المصطلح، القضية

ياقوت الديب
باحث وناقد سينمائي من مصر

في عام 2010، نظمت "رئاسة منظمة المرأة العربية"، يوم 27 أكتوبر، على هامش الدورة الثالثة والعشرين لمهرجان قرطاج السينمائي، ندوة حول "المرأة والسينما العربية/ الصورة والأدوار"، بمشاركة عدد من السينمائيين العرب، على المخرج التونسي فريد بوغدير بقوله "إن المرأة حاضرة في السينما التونسية والعربية، بجميع أنواع الصور، قوية وضعيفة وعاشقة ومنتقمة وطموحة... واختيار المرأة كموضوع في الأفلام، هو أداة لمعالجة قضايا المجتمع". وقالت المخرجة المصرية فيولا شفيق "إن الخطاب السينمائي في هذا المجال متأثر بمفهوم الحداثة، التي مثلت إطارا فكريا واسعا لطرح قضايا المرأة في الأفلام العربية"، أما المخرجة اللبنانية ديما الجندي، فهي تعتبر "أنه لا وجود لسينما المرأة، بل هناك سينما وفن وحرية للتعبير والتأليف، تشمل المرأة والرجل على حدّ السواء"، وعلقت المخرجة المغربية ياسمين قصاري بقولها "إن التفاعل بين الرجل والمرأة والمجتمع، إفراز للحياة الاجتماعية، لذلك فإن المهم في العمل السينمائي ليس الرجل أو المرأة، وإنما كيفية تصوير القضايا الاجتماعية وعرضها على الجمهور".

بالطبع لم تنته مناقشة السينما، وجود ما يسمى بـ"سينما المرأة" من عدمه، إذ يظل هذا المصطلح ضحية بين مطرقة الرفض وسندان القبول، فهناك من يؤيد المصطلح محاولا ترسيخه وفرضه على أرض الواقع، ومن يرى نسفه من الأساس على اعتبار السينما فنا -كسائر أنواع الفنون- تتجلى فيه حرية الإبداع للرجل أو للمرأة على حدّ سواء، بعيدا عن التقسيم النظري في المنتج الفيلمي، شكلا وموضوعا.

وقد يعود راي معارضي مصطلح "سينما المرأة"، إلى الطبيعة التي صبغت صناعة الأفلام، التي احتكرها الرجل، وبنسبة كبيرة، مقارنة بدور المرأة في هذه الصناعة، على المستوى العالمي لا العربي فحسب، ففي جميع سينمات العالم، يظل الرجل بالنصيب الأكبر في عملية صناعة الأفلام، الأمر الذي يبدو فيه الفن السينمائي "فنا ذكوريا". ويغض النظر عن رأي الفريقين (المؤيد والرافض)، ففي الحالتين هناك تماس قويّ بين كون المرأة محور الفيلم السينمائي، كموضوع وقضية، وبين كونها صانعة العمل ذاته كمخرجة، ولا أدل على ذلك من وجود بعض المهرجانات الخاصة بأفلام المرأة، والتي أصبحت حقيقة ماثلة للعين. فمن هذه المهرجانات، ما يقام على مفهوم سينما المرأة المخرجة، وأخرى تقوم على الأفلام المعنية بقضايا المرأة ومشاكلها؛ بغض النظر عن جنس صنّاعها.

وبناء على ما تقدم، يرى كاتب هذه الدراسة، ضرورة فك الاشتباك، بأن يقترح التعريف التالي "سينما المرأة، هي السينما التي تُعنى بقضايا المرأة ومشاكلها، من الناحية الموضوعية (قصة الفيلم)، أو تلك التي تصنعها امرأة (مخرجة) من الناحيتين، الموضوعية والفنية". وعلى هذا الأساس وجدت مهرجانات تضع "سينما المرأة" عنوانا لها، سواء تعنى به "الأفلام التي تصنعها المرأة، المخرجة"، أو "الأفلام التي تتناول قضايا المرأة".

دور المرأة في صناعة السينما

المتأمل في تاريخ السينما المصرية، يدرك دون مبالغة دور المرأة في صناعة هذه السينما، حيث قدمت المرأة إسهامات بارزة في هذا الشأن، منذ عشرينات القرن العشرين، ولا أدل على ذلك من رصد جهود الرائدات: عزيزة أمير، آسيا داغر، بهيجة حافظ، فاطمة رشدي، وماري كويني في هذا المجال.

يذكر عبد المنعم سعد في كتابه "موجز تاريخ البيئما المصرية" أنه يمكن اعتبار عام 1927 هو التاريخ الفعلي لنشأة السينما المصرية، بالمعنى المتعارف عليه، ويؤكد فكانت بدايتها مع فيلم "الزواج" إنتاجا وإخراجا، وجاء فيلمها الثاني "بنت النيل" (بطولة وإنتاجا). ومن أبرز رائدات صناعة السينما في مصر، نذكر المنتجة والممثلة آسيا داغر، حيث كونت شركة "لوتس فيلم"، التي قدمت فيلم "غادة الصحراء"، وانتعته بأفلام "وخز الضمير"، عندما تحب المرأة"، "عيون ساحرة"، "شجرة الدر"، وغيرها من الأفلام. ولعل ابرز الأفلام التي قامت بإنتاجه أسيا داغر "ردّ قلبي"، "الناصر صلاح الدين"، "السمان والخريف"، "يوميات نائب في الأرياف".

وظهرت ماري كويني، لتؤسس "ستوديو جلال"، مع زوجها المخرج أحمد جلال، وكان من أبرز الأفلام التي قامت بإنتاجها "أمير الأحلام"، "ظلموني الناس"، "ابن النيل"، "نساء بلا رجال"، "المليونير الفقير". كما قامت بإنتاج مجموعة من الأفلام لابنها المخرج نادر جلال، ومنها "غدا يعود الأمير"، أما آخر فيلم أنتجته كويني هو "أرزاق يا دنيا".

لقطة من فيلم «دكان شحاتة» لخالد يوسف

> المتأمل في تاريخ السينما المصرية، يدرك دون مبالغة دور المرأة في صناعة هذه السينما، حيث قدمت المرأة إسهامات بارزة في هذا الشأن، منذ عشرينات القرن العشرين، ولا أدل على ذلك من رصد جهود الرائدات

وفي العقود الأخيرة، ظهر العديد من النساء، في مجال صناعة السينما، وجدير بالذكر أن نشير إلى مجال الإنتاج، إذ برزت ماجدة الصباحي التي قدمت عددا من الأفلام الروائية الطويلة، ومنها "أين عمري"، "قلب بحترق"، "اعترافات زوج"، "صغيرة على الحب"، "السيد"، "دلال المصرية" (مشرفة على الإنتاج) للمخرج حسن الإمام. الفنانة مريم فخرالدين، قدمت كمنتجة أفلام "شباب اليوم"، "أنا وقلبي"، "رحلة غرامية"، "رنة الخلخال". الفنانة إلهام شاهين، قدمت للسينما كمنتجة، فيلمين: "هز وسط البلد" و"يوم للستات". الفنانة نجلاء فتحي، قامت بإنتاج فيلم واحد هو "سوبر ماركت". الفنانة بوسي، شاركت زوجها الفنان الراحل نور الشريف، في تكوين شركة إنتاج سينمائي باسم N.B. Film، حيث قدمت "حبيبي دائما"، "ضربة شمس"، "قطة على نار"، "دائرة الانتقام"، "مدينة الصمت"، وفيلم "الخوف". الفنانة إسعاد يونس، قامت بإنتاج العديد من الأفلام، منها "رسائل البحر"، "زهايمر"، "عصافير النيل"، "سهر الليالي"، "بنتين من مصر".

ينشر الملف بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

مظلومة ولكن متمردة

المرأة والسينما في العالم العربي من وجهة نظر غربية

ندى الأزهري
كاتبة صحافية من سوريا

❏ حين عرض فيلم "الزين اللي فيك" للمخرج المغربي الفرنسي نبيل عيوش في فرنسا عام 2016، لقي الترحيب والاستحسان خلافا لما حصل في بلده الذي منع عرضه. إذ أن هذا الفيلم الذي يحمل "هجوما لاذعا على المجتمع المغربي"، كما يمكن تلخيص آراء النقد الفرنسي، أثار موجات سخط عنيفة في المغرب حيث صُوّر. تناقض بين وجهتي نظر نقع عليه غالبا في أفلام عربية من هذا النوع، بمعنى أفلام تنتقد مجتمعاتها وتسلّط ضوءا "مبهرا" على أحوالها. اختلافٌ في التلقي يتخذ أبعادا أشد عمقا حين تتعلق هذه الأحوال بالمرأة العربية والمسلمة.

لا يمكن للمتابع إلا أن يلحظ اهتماما خاصا في الغرب، والقصد هنا فرنسا تحديدا، بأوضاع المرأة في العالمين العربي والإسلامي. تأتي السينما لتؤكد هذا الاهتمام عبر نوعية بعض الأفلام العربية التي تعرض في فرنسا من جهة ومن جهة أخرى عبر التلقي الذي يصاحب العروض على الصعيد الصحافي أو الجماهيري، إذ يعتبر البعض أن الفن السابع في منطقة "حيث للمرأة مكان ودور مهمل"، وسيلة للتعبير وأداة للتطور والتحرر من التقاليد، كما يمكننا القراءة في مقالة بحثية عنوانها "سينما وقضايا المرأة في الشرق الأوسط" في موقع "مفاتيح الشرق الأوسط" (Les clés du Moyen Orient).

وبالتالي تجد الأفلام العربية التي تتعلق بأحوال المرأة وقضاياها إقبالا وقبولا في فرنسا، كما أنها توزّع جيدا وتميل إليها شاشات العرض التجارية الكبرى، إضافة إلى صالات فن وتجريب (المدعومة من المركز الوطني للسينما) المنتشرة بكثرة في باريس وأيضا في بقية المدن الفرنسية. يضاف إلى كل هذا، العروض الخاصة والمهرجانات والعديد من التظاهرات الثقافية... يتمثل هذا "الميل" في مدى انتشار هذه النوعية مقارنة بغيرها. على سبيل المثال، من أصل الأفلام العربية التي عرضت على الشاشات الفرنسية العام الفائت، شكّلت سينما قضايا المرأة وكيفية مجابهة النساء للعادات والتقاليد العربية والمسلمة المحور الرئيس والوحيد لأكثر من الثلث. وإن أضفنا إلى القائمة أفلاما من جنسيات أخرى تُكرس للمرأة وأوضاعها في بلدان مسلمة (إيران، تركيا...) أو لجاليات مسلمة في الغرب (باكستان مثلا وغيرها)، لارتفعت هذه النسبة بالتأكيد. لا نذكر هنا الأفلام التي تتخذ من وضع النساء وسيلة للإضاءة على ظواهر أكثر عمومية في المجتمع لأن تلك تنتهي بأن تغطي على قضية المرأة وتجعلها عنصرا من عناصر الفيلم وليس محوره الرئيس.

ثمة آراء نمطية عامة حول صورة المرأة العربية والمسلمة تنتشر في الغرب، آراء نمطية جاهزة (كليشيه) تنعكس في الأحاديث العامة وفيما يكتب ونجدها أحيانا لدى الجمهور والنقاد في المقالات النقدية التي ترافق عروض الأفلام العربية أو المشرقية التي تثير قضايا المرأة. يمكن تجميع تلك في محورين. الأول يركز على أن المرأة تعاني الظلم والقهر والقمع في المجتمعات العربية المسلمة، وأن تلك المعاناة تتجسد خاصة في الزواج بالإكراه وفي وضع القيود أمام تحررها اجتماعيا وقانونيا وفي تعرضها لجرائم الشرف... يرافق هذا نظرة غربية أخرى للمرأة الشرقية تفرض نفسها بقوة وأتت من حكايا ألف ليلة وليلة، ومن لوحات الفنانين المستشرقين والأدباء الرحالة.

طبقا لهذه النظرة تبدو المرأة كغرض جنسي وغاوية، هدفها الوحيد في الحياة إغواء الرجل وإرضاء نزوات ورغبات غير مشروعة للرجال الشرقيين، لكن تلك الصورة تنزاح تدريجيا لتغلب اليوم النظرة الأولى المستمدة من الحياة المعاصرة والتي تجعل من وضع المرأة العربية في المجمل أكثر بؤسا من المرأة الغربية، ما يدفعها إلى التمرّد وعدم الاستسلام. يقودنا هذا للمحور الثاني للنظرة الغربية الذي يتمثل بسعي المرأة العربية والمسلمة للمقاومة والتحرر عبر خلع القيود وإثبات الوجود، وبالتالي يجب دعمها في محاولاتها والوقوف إلى جانبها لتصل إلى ما وصلت إليه المرأة الغربية "القدوة" من منجزات.

يمكننا كذلك إضافة بعض الملاحظات المتعلقة بصورة الرجل العربي من خلال وضع النساء في المجتمع.

منة شلبي في فيلم «هي فوضى»

ففيما تبدو صورة المرأة العربية سينمائيًا أيضا على أنها لبنة المجتمع والحامية للأسرة فإن الرجل خلافا لها يبدو مزعزعا وعنيفا وخاضعا لأمه ولإغراء النساء وفي معظم الأحوال غير مخلص لزوجته وباحث عن زواج جديد.

يمكن العثور على هذه المحاور أي هذه النظرة الغربية للمرأة عبر النقد والتعليقات التي ترافق عروض الأفلام العربية في فرنسا في عيّنات نقدية لأفلام عربية عرضت العام الماضي في فرنسا.

فيلم المخرج المغربي نبيل عيوش الذي اعتبرته مجلة "نونوفيل أوبس" (سابقا نوفيل أوبسرفاتور) "دفاعا عن النساء ومعبّرا عنهن وعن كرامتهن"، يثير قضية الدعارة التي هي "إحدى المحرمات في العالم العربي" كما كتبت مجلة "إل" الفرنسية النسائية، لكنها مع هذا "تسمح بعيش قلة من المجتمع فيما تفضّل الأغلبية غض البصر عنها والصراخ لإدانة ما تعتبره إهانة وطنية" تتابع المجلة في نقدها لقيم المجتمع المغربي. في المغرب اعتبر الفيلم "انتهاكا لكرامة المرأة المغربية" لأنه يبدي تفاصيل عمل الغانيات المغربيات ويمثّل بالتالي "احتقارا كبيرا للقيم الأخلاقية للمرأة المغربية". هكذا، أثار "الزين اللي فيك" أو "Much Loved" منذ عرضه في مهرجان كان 2016 جدلا واسعا في بلده وفي العالم العربي، فمُنع من العرض في المغرب، وتعرّضت بطلته الأولى لبنى ابيضار، كما ذكرت صحيفة "لوموند" الفرنسية، للاعتداء ما اضطرها للجوء لفرنسا التي رشحتها لجائزة السيزار الفرنسية كأفضل ممثلة.

نظرة ذكورية أم سينما نسوية

السينما التونسية وقضايا المرأة

محرز القروي
ناقد سينمائي من تونس

❏ من بين كل سينمات البلدان العربية، تكاد تكون السينما التونسية هي الأكثر احتفاءً بقضايا المرأة ووضعها ومعاناتها داخل مجتمع عربي إسلامي منغلق تحكمه أعراف ونواميس بالية توارثها جيل بعد جيل حتى باتت تقريبا لدى الكثيرين جزءا من مقوّمات الهوية الثقافية والحضارية لأي مجتمع عربي. وهذه فكرة شائعة سادت طوال سنين لدى قسم واسع من النقاد والمتابعين للشأن السينمائي العربي سواء أكانوا عربا أم غربيين. حتى أن البعض صار لا يخفي استغرابه بل وفي بعض الأحيان امتعاضه كلما شاهد فيلما تونسيا يحاول أن ينأى بنفسه – ولو قليلا– بعيدا عن هاته الصورة النمطية شيئا ما للسينما التونسية. وربما زاد في ترسيخ هذه النظرة ما عُرفت به تونس زمن الرئيس بورقيبة من انحياز لقضايا المرأة وحقوقها عبر إجراءات وإصلاحات رائدة –والحق يقال– في مجال قوانين الأسرة والأحوال الشخصية. وهو موقف سياسي شكل –ولا يزال– في نظر الكثيرين "ثورة" حقيقية على الموروث الديني والاجتماعي قادها باندفاع كبير الزعيم بورقيبة تحت شعار "تحرير المرأة" كجزء من محاولته "لتحديث" المجتمع التونسي.

ولكن يجوز لنا اليوم أن نتساءل عن مدى وجاهة هذا "التصنيف" الفني والتوصيف الفكري وعن مدى تطابقه من وجهة نظر سينمائية مع محتوى الأعمال السينمائية التونسية وتوجّهات مخرجيها وخياراتهم الجمالية. فإلى أي حد يمكن اعتبار السينما التونسية سينما منحازة لقضايا المرأة؟ وهل عكست صورة المرأة في الأفلام التونسية نظرة إيجابية ومُنصفة لمن نعتهم الخطاب الديني "بالقوارير"؟ وهل كانت المخرجات التونسيات أكثر قربا لعالم المرأة من نظرائهم المخرجين الرجال؟ ثم إلى أي مدى يصح الحديث عن سينما نسائية –حتى لا نقول نسوية– في تونس؟ وفضلا عن كل ذلك هل كانت المقاربة السينمائية لمشاكل المرأة وأوضاعها المعقدة نابعة من خيار فني وفكري أصيل أم كانت مجرّد استجابة وتناغم مع خطاب سياسي وأيديولوجي مهيمن صادر عن السلطة السياسية العليا في البلاد؟

عرفت الساحة السينمائية في تونس بروز تجارب فنية متنوعة ومتعدّدة غير أنها في نهاية المطاف وفي ما عدى بعض الاستثناءات القليلة، تكاد تنضوي في مجملها تحت ما عُرف في فرنسا "بسينما المؤلف". وهو توجه لا ينكره المخرجون في تونس بل ويعدّه البعض مصدرا للفخر والاعتزاز، بل وحتى للتمايز مع مجمل السينما المصرية التي وصفت بالميلودرامية وبالتجارية ثم بسينما المقاولات. ولعل من أبرز المخرجين وأشهرهم في هذه "المدرسة" – إن صح الحديث عن مدرسة – السينمائي النوري بوزيد. فبوزيد يمكن اعتباره من المخرجين الذين اختاروا دوما التصادم مع الذهنية البالية للمجتمع التونسي. وأفلامه تحاول في الغالب طرق أبواب مُوصدة يتحصّن خلفها العرف والتقاليد والمسكوت عنه وكل ما يمكن تصنيفه في خانة "التابو". فكان فيلمه الأول سنة 1986 "ريح السد" عن البيدوفيلي أي التحرّش أو اغتصاب الأطفال، حيث يجد الشاب الهاشمي نفسه، بمناسبة التحضير لحفل زواجه، وجها لوجه مع ذكريات مريرة من طفولته البائسة التي وضعته في طريق "الأسطى عامر" النجار المهووس الجنسي بالأطفال فيقوم بالاعتداء عليه وعلى زميله الطفل "فرفط".

> إلى أي حد يمكن اعتبار السينما التونسية سينما منحازة لقضايا المرأة؟ وهل عكست صورة المرأة في الأفلام التونسية نظرة إيجابية ومنصفة لمن نعتهم الخطاب الديني «بالقوارير»؟ وهل كانت المخرجات التونسيات أكثر قربا لعالم المرأة من نظرائهم المخرجين الرجال؟ ثم إلى أي مدى يصح اليوم الحديث عن سينما نسائية -حتى لا نقول نسوية- في تونس؟

لا يكتفي المخرج بعرض هذه القصة/ المأساة بل يتجاوزها ليرسم لنا لوحة فنية تعكس الحالة العامة لمجتمع مليء بالعقد والمركّبات النفسية. ويفرد للمرأة في هذه اللوحة مكانة رئيسية. فالمجتمع النسائي حاضر بقوة في جميع مفاصل القصة. في فناء الدار من حيث ينطلق الفيلم مصوّرا لنا الاستعدادات لإقامة العرس المرتقب للهاشمي. وهي تحضيرات تتم في عالم نسوي مغلق ينتفي فيه أي دور للرجل ولكن ليس جرّاء هيمنة أنثوية ما وإنما بسبب تقسيم للمهام والوظائف فرضته العادات والتقاليد. فصل أصيل متأصّل بين عالم الذكور وعالم الإناث. هنّ في البيت خلف الجدران وهم في ضوء الشمس الساطع يملؤون الفضاء العام. هكذا يستدرجنا النوري بوزيد من فيلم يدور حول قضايا الذكورة والفحولة في مجتمع يعتبر الطفل المغتصب مشروعا لإنسان مثليّ الميولات إلى أغوار عالم الإناث وأسراره. لنجد البطل وسط بيت يعجّ بالنساء يحدثنه بلا حرج عن زواجه المرتقب ولا يخجلن من التلميح إلى ليلة الدخلة وما تفرضه لدى الرجل من تصميم وعزم. وتبرز من بينهن شخصيتان محوريتان في حياة الهاشمي هما والدته وأخته. حدب وحنان يتناقضان مع طبيعة وسلوك الأب الذي يخصّه بمعاملة فظّة وغليظة لا تراعي خصوصية سنّه وقد صار كهلا يوشك على الزواج وتكوين أسرة خاصة به كعلامة على بلوغه مرحلة النضج.

ثم نجد النساء وعالمهنّ ثانية من خلال بيت العجوز "شجرة" حيث يذهب الهاشمي وأصحابه لتوديع أيام العزوبية بين أحضان الغانيات. "شجرة" هي أيضا وجه من وجوه الحضور النسائي المرغوب والممنوع في آن واحد. الكل في المدينة يعرفها والجميع تقريبا قد زارها يوما ما.

أفلام تناولت قضايا المرأة

سينما المخرجات في المغرب

محمد اشويكة
ناقد من المغرب

❏ اقترانا بتحول الرؤية للمرأة وفقا لنضالات الحركات الفكرية والحقوقية التي نشرت فكر التحرر والمساواة، استطاعت المرأة منذ السبعينات في أوروبا (فرنسا مثلا) أن تلج عالم الفن السابع كمخرجة (Réalisatrice)؛ إذ ما فتئت أعمالها، منذ ذلك الزمن، تحظى بالمتابعة من طرف المهنيين والصحافيين والنقاد والباحثين والجمهور. فقد أخرجت أفلاما سينمائية وتلفزيونية درامية ووثائقية.. بلغ البعض منها أوج الإبداع والتتويج في كبريات المحافل السينمائية العالمية، إلا أن الأمر لا يصل إلى حدود المساواة الفعلية، فعدد المخرجات في أوروبا وآسيا وهوليوود وبوليوود وكندا لم يصل بعد إلى مطامح مهنيات هذا القطاع الحيوي لأسباب متعددة تتعلق بميزان قوى الإنتاج السينمائي ورهاناته في كل دولة؛ إلا أن الأمر في بعض المجتمعات العربية والعالمثالثية يقمع المرأة إلى حدود منعها من الظهور عارية الوجه لالتقاط صورة تذكارية في مكان عمومي!

لم تخلف المرأة المغربية موعد الالتحاق بركب النساء المبدعات في مجال الإخراج السينمائي؛ بل تجاوزت كل الإكراهات التي لا تتشابه طبعا مع مثيلاتها الغربيات. فكانت فريدة بورقية أول مخرجة وفريدة بليزيد أول منتجة.

ومع تطور حركة السينما بالمغرب أصبحنا نراها تلج مجالات الكتابة السيناريستية والمونتاج والصوت والتصوير. كيف ولجت عالم الإخراج؟ ما هي مرجعياتها؟ هل استطاعت بالفعل أن تنحت لنفسها مسارا متميزا عن "سينما الرجال"؟ هل هناك لمسة فنية تخص أفلامها؟ ما هي تيماتها الأثيرة؟ هل نستطيع الحديث عن "فيلم نسائي" مغربي بجرعات ومواصفات خاصة؟ هل تسربت إلى أفلامهن بعض الخطابات "النسوانية" أم أن الأمر يدخل في إطار سوسيوثقافي عام؟ ما مدى اختلاف ملامح أفلام سينما المخرجات عن أفلام المخرجين؟

بالرغم من المشاكل التي قد يحدثها تصنيف أفلام المخرجات المغربيات، إبستيمولوجيا، تحت يافطة مصطلحات من قبيل "سينما المرأة" و"السينما النسائية"، إلا أن اللجوء إلى توظيف مصطلح "سينما المخرجات" كمفهوم إجرائي قد يمكننا من الابتعاد عن السقوط في مطبات الحمولات القدحية والأيديولوجية لمثل هذه التصنيفات باعتبارها مقولات ذات خلفيات بيولوجية سيما وأن الإبداع لا يحدده الجنس (ذكر أو أنثى)، مع الإقرار بصعوبة أن أفلام المخرجات لا تكاد تخلو من نضال تجاه قضاياهن، ومن روح نسائية متأثرة بما يقع في محيطهن القريب والبعيد (الغرب مثلا)، وخصوصا لدى المغتربات منهن أو اللاتي درسن هناك، وقد يظهر ذلك أثناء تناولهن لبعض القضايا المتعلقة بالمرأة مع اختلاف ذلك من تجربة إلى أخرى ومن جيل إلى آخر.

تحكم أفلام المخرجات نظرة خاصة تجعل الكاميرا تحت إدارة وتوجيه مخرجة، وذلك من خلال التسربات والرواسب العاطفية والتربوية أثناء تناول المواضيع: مثلا، تتناول فريدة بورقية قضية الطفولة بإحساس خاص يظهر من خلال إدارتها للأطفال بشكل يختلف عن أفلام أخرى. كما أن فريدة بليزيد تقدم بعض قضايا المرأة المغربية في فيلميها "باب السّمَا مفتوح" و"كيد النّسَا" بطريقة فنية مختلفة.. أما زكية الطاهري فترى علاقة الرجل بالمرأة من زاوية خاصة في فيلمها "Number one". فالمتلقي اليقظ يحس بمرور بعض الأفكار المميزة لأسلوب تفكير كل مخرجة عبر الشخصيات والوظائف ومن خلال الإنارة واللباس والديكور.. وهي أفكار قد تنبع في بعض الأحيان من صميم "مجتمع النساء"، تتحكم فيها رؤية متأثرة بالتحولات الاجتماعية التي يعرفها المغرب أو التي يعرفها مغاربة المهجر.

المخرجة فريدة بليزيد

ينشر الملف بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

«أنا تونيا» كوميديا تنبع من قلب المأساة

قصة حقيقية تتابع مصائر شخصيات مازالت تشغل الرأي العام

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❏ "أنا تونيا" I Tonya أحد الأفلام الأميركية الجديدة التي حققت نجاحا كبيرا مؤخرا خاصة بعد ترشحه لثلاث من جوائز الأوسكار هي جائزة أحسن ممثلة، وأحسن ممثلة مساعدة، وأحسن مونتاج. والطابع العام للفيلم كوميدي رغم أن موضوعه الذي يستند إلى وقائع وشخصيات حقيقية، مليء بالعنف والحزن والأسى. إنه تعبير عن الرغبة في التحقق، وهزيمة الفقر والحرمان والقسوة، والتصدي لعدم الاعتراف الاجتماعي، وعن الصعود الرياضي.

يقوم سيناريو الفيلم، الذي كتبه ستيفن روجرز، على مجموعة من المقابلات أجراها مع تونيا هاردنغ وزوجها السابق جيف غيلولي، وغيرهما، ويروي قصة حياة هاردنغ، من الطفولة إلى الشباب، ومن الفقر والمعاناة والحرمان والتعرض للعنف وفقدان العاطفة، إلى قهر الظروف والصعود في عالم رياضة الرقص على الجليد، تلك الرياضة "الأرستقراطية" في الولايات المتحدة، ثم كيف جاء سقوطها المروع وخروجها من عالم اللعبة نهائيا. لكن تونيا هاردنغ ظلت، حتى يومنا هذا، شخصية مثيرة للجدل: فهل هي مذنبة كما قضت المحكمة التي قررت حرمانها إلى الأبد، من ممارسة رياضتها المحببة، أم أنها ضحية بريئة كان يتعين عليها أن تدفع ثمن أخطاء غيرها؟

> المخرج يبرع كثيرا في إخراج مشاهد الرقص على الجليد وفي الانتقال من خلال ذلك الإيقاع السريع اللاهث بين مفاصل الفيلم وأزمنته المختلفة

هذا السؤال الذي يتضمنه الفيلم ضمن تساؤلات أخرى عديدة تكمن في طياته، يظل حتى النهاية من دون جواب حاسم، لكن رغم ذلك، هناك تعاطف واضح من جانب الفيلم مع شخصية تلك الفتاة، الشابة، الجميلة، المكافحة، ضحية الأم القاسية الشرسة، والأب الذي تخلى عن الأسرة مبكرا وغادر حياة تونيا إلى الأبد، كما يشير الفيلم إلى احتمال أن تكون تونيا ضحية الإعلام الشره الذي لا يرحم المشاهير.

بناء متعرج

من ناحية البناء ينتقل الفيلم من المقابلات المصورة مع أبطال القصة بعد أن انتهت الأحداث بزمن أي في الزمن المضارع الحالي، إلى سرد متعرج للأحداث، ويظهر في المقابلات التي تقطع سياق الأحداث بين وقت وآخر كل من: تونيا، وزوجها السابق جيف، وأمها لافونا، ومدربتها ديان رولينسون، وشون، الشاب الذي عين نفسه حارسا شخصيا لتونيا، والشاب الآخر شاين الذي سيلعب دورا رئيسيا في تدمير طموحات تونيا.

يتوقف الفيلم أمام مشاهد كثيرة من "العنف المنزلي" الذي تمارسه الأم على ابنتها وهي بعد لم تتجاوز الرابعة من عمرها، فهي تضربها بقسوة وتوبخها. لكن الطريف أن الأم تظهر أمام الكاميرا في المقابلة الحديثة، تنفي قيامها بضرب ابنتها، لتؤكد أنها أرادت فقط أن تجعل منها بطلة في الرقص على الجليد. إنها تدفع بها إلى مدربة محترفة وهي بعد في الرابعة من عمرها، وتصر على تدريبها على هذه الرياضة الصعبة من طفولتها. تكبر تونيا وتقع في غرام جيف، أول شاب يبدي تجاهها مشاعر الحب، لكنه ليس شخصا عاديا مستقيما، فهو يميل للعنف وكثيرا ما يعتدي عليها بالضرب، كما نراه في أحد المشاهد بعد أن تزوجا وهو يطلق عليها الرصاص من بندقية فيصيبها إصابة طفيفة كان من الممكن أن تكون قاتلة. لكن جيف يتطلع إلى الكاميرا وينفي -كما فعلت الأم- أن يكون قد فعل. وهكذا يسير الفيلم في أسلوب أقرب إلى الدوكيو- دراما من جهة، كما يستند من جهة أخرى إلى فكرة كسر الاندماج، لكنه بذلك يحقق أيضا تأثيرا كوميديا، ويجعل المشاهد لا يستطيع التأكد من صحة الروايات المختلفة التي يستمع إليها. مع ذلك، يظل المشاهد واثقا من وقوع العنف، كما أن تونيا نفسها تعبر عن قبولها للعنف بل واستعذابها له أو الاعتراف بأنها كانت "تستحقه"!

يعود الفيلم كثيرا إلى الماضي ثم يرتد إلى الحاضر، وينتقل من ماض إلى ماض آخر أبعد، ومن حاضر مضارع إلى حاضر أسبق، أي أن البناء يوالي الانتقال بين الأزمنة، في بناء متعرج، ينقل إلينا الشعور بالتوتر والتقلب والحدة التي تتميز بها الشخصية الرئيسية في الفيلم بل ومعظم الشخصيات الرئيسية التي تبدو متطرفة في سلوكياتها. لقد ناضلت تونيا طويلا من أجل تحقيق حلمها بالوصول إلى تمثيل بلادها في الدورة الأولمبية عام 1994 في النرويج، وبعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من البطولة وتحقيق المجد الرياضي ضمن البعثة الرياضية الأميركية إلا أنها سقطت، وجاء سقوطها مروعا، بل ومنعت للأبد من مزاولة رياضتها المفضلة التي وهبت لها حياتها.. فهل كان محتما أن تسقط تونيا؟

نعم.. فسقوطها هو أيضا إعلان عن فشل فتاة قادمة من أوساط الطبقة العاملة الفقيرة لمنافسة فتيات المجتمع الراقي في إحدى رياضات النخبة. وأميركا الرياضية لا ترحب كثيرا بفتاة تتعارض صورتها مع الصورة الرومانسية المثالية التي يروج لها "الحلم الأميركي"، صورة الفتاة الرياضية الأميركية، المثالية، المهذبة، التي تعرف كيف ترتدي ملابس مناسبة، ولا تتلفظ كما تفعل تونيا، بألفاظ بذيئة، وهو ما يقوله لها مباشرة أحد المحكمين في إحدى المسابقات. لكن تونيا تقسو على نفسها وعلى الآخرين، تريد أن تتحدى "المؤسسة"، وهي هنا اتحاد رياضات التزلج على الجليد، كما يلعب زوجها السابق "جيف" الذي ظلت مرتبطة به على نحو مرضي للغاية في علاقة من أكثر العلاقات العاطفية غرابة وشذوذا (سادية - مازوشية) الدور الأساسي في تدميرها من حيث أراد أن يخدمها ويدعمها.

في الجزء الأول من الفيلم هناك قفزة سريعة في الزمن عندما تصبح تونيا (وهي في الخامسة عشرة من عمرها) نجمة مسابقة الرقص بعد أن تحقق القفزة الثلاثية الشهيرة في الهواء للمرة الأولى، هذا التحقق لا يسبقه أي مشهد للتدريبات العنيفة المفترض أن تمر بها تونيا قبل الوصول إلى هذا المستوى على غرار تدريبات "روكي" في الفيلم الشهير، بل إنها عندما تعود لممارسة التدريب بعد أن كانت قد فقدت كل أمل لها وأصبحت ترتضي بالعمل كساقية، تستخدم هي نفسها تعبير "طريقة روكي" وهي تدريبات تأتي متأخرة عن موضعها الحقيقي في الفيلم. هناك أيضا استخدام مفرط كثيرا للأغاني التي تشرح وتعلق على كل موقف وكل حدث، بطريقة مباشرة تفقد الفيلم الكثير من جماله ورونقه، فعند ظهور الأم الشريرة نستمع إلى أغنية "إنها فقط امرأة شيطانة"، وبعد أن تحقق تونيا القفزة الثلاثية في الهواء للمرة الأولى كأول أميركية تحقق هذا الإنجاز، نستمع إلى أغنية "كل الناس يصفونني بالفتاة السيئة".. وهكذا. وهناك أيضا غياب متعمد لإظهار الفتاة المنافسة النقيضة لشخصية تونيا أي "نانسي كاريغان" فهي لا تظهر سوى في لقطات قليلة ومن بعيد، بحيث لا يمكننا تبين ملامحها وحضورها رغم أنها الوجه المغاير لتونيا والمحرض لها على مواصلة التحدي.

مقابل هذا الغياب تبرز كثيرا شخصية الأم، السكيرة، وهي تظهر في إحدى اللقطات، تتطلع مباشرة إلى الكاميرا وتقول في استنكار "إنني أوشك أن أختفي من الفيلم.. فلتذهبوا للجحيم"!

مشكلة تونيا الحقيقية تظل دائما هي الافتقاد للحب. لقد عاشت طفولة قاسية مع أمها التي لم تمنحها الحب بل أنفقت كل ما كانت تكسبه من مال على تدريبها وهي بعد طفلة في الرابعة من عمرها لكي تدفعها للنجاح، وهي لا تفتأ تذكرها بهذه الحقيقة، لكن تونيا كانت ترغب أيضا في الشعور بالحب. غير أن سقوط تونيا سيبدأ مع التطرق إلى موضوع "الحادث" في الثلث الأخير من الفيلم. فما هو "الحادث" الذي يشير إليه الجميع في المقابلات المصورة؟

المؤامرة

تقترب تونيا من الاشتراك في الدورة الأولمبية بالنرويج عام 1994 لكنها تخشى منافستها المتفوقة نانسي كاريغان. وهي تستعين بزوجها جيف الذي طلقته منذ فترة لكي يقف بجوارها كما كان يفعل في المواقف الصعبة، ويعتقد هو أن أفضل وسيلة للتغلب على نانسي كاريغان إرسال خطابات تهديد إليها. جيف يكلف صديقه شون بإرسال الرسائل مع زميلين له مقابل المال من ولاية أخرى لإبعاد الشك. لكن شون، هذا الشخص الباحث عن دور، والذي يصوره الفيلم كشاب يعيش في الخيال، يتصور نفسه خبيرا في مكافحة الإرهاب الدولي، يدبّر بدلا من إرسال رسالة تهديد إلى نانسي، اعتداء عنيفا عليها ينتهي بكسر ركبتها لمنعها من اللحاق بالمنافسة. ولكنها ستتغلب على إصابتها وتتفوق وتحصل على الميدالية الفضية، بينما تأتي تونيا في المركز الثامن.

لقد أصبحت الآن متهمة بالاشتراك في جريمة الاعتداء أو على الأقل معرفة ما كان يدبر وعدم الإبلاغ عنه. وفي محاولة منها للإفلات من العقوبة، تشي بزوجها السابق الذي تتم إدانته وسجنه (يصوره الفيلم أيضا كضحية لرفيقيه اللذين لم يخبراه أصلا بفكرة الاعتداء بالضرب بل تصرفا من دون استشارته). وتنتهي المحاكمة بحبس تونيا ثلاث سنوات مع وقف التنفيذ وتغريمها مبالغ مالية ضخمة، والأهم حرمانها من ممارسة رياضتها المحببة، مما يضطرها للعمل في مجال الملاكمة النسائية من أجل الحصول على المال.

الشعور بالحب

في أكثر من مشهد تتحدث تونيا فتقول وهي تخاطب الكاميرا "لقد أردت أن أشعر بالحب ولو لدقيقة فقط". وقد كان الشعور بوجود من يحبها ولو بشكل مجنون يتجاوز المنطق والعقل، هو الدافع الذي يجعلها تعود دائما إلى جيف ذلك الصعلوك المغامر العنيف الذي حذرتها أمها من الزواج به. لكن تونيا تدرك في النهاية أن الجمهور لا يبحث دائما عمن يحبه بل عمن يكرهه، كما تقول حرفيا. إنها -حسب الفيلم- ضحية التفرقة والنشأة الفقيرة والقهر الأسري والعنف المنزلي الذي يتم تصويره كثيرا باعتباره رد فعل احتجاجيا عنيفا من قبل أبناء الطبقة الفقيرة، وتعبيرا عن رغبتهم في تأكيد وجودهم في عالم الرياضة "الطبقي".

لا شك أن المخرج يبرع كثيرا في إخراج مشاهد الرقص على الجليد وفي الانتقال من خلال ذلك الإيقاع السريع اللاهث بين مفاصل الفيلم وأزمنته المختلفة. ولا شك أن نجمة الفيلم الأسترالية مارغوت روبي (التي يتذكر الجمهور دورها في فيلم "ذئب وول ستريت") هي التي تحمل الفيلم على كتفيها بأدائها الفذ المؤثر في الدور الرئيسي. إنها تتماثل وتتماهى بالكامل مع تلك الشخصية في لحظات ضعفها وقوتها وغضبها وتمردها، في شعورها بالنشوة وهي تحقق النجاح في حلبة الرقص، وتتمتع بتصفيق وإعجاب الجمهور، ثم في علاقتها الملتبسة القاسية مع جيف الذي تتبادل معه عنفا بعنف. ويبرز أيضا أداء الممثلة الأميركية أليسون جاني في دور الأم "لافونا"، المدمنة الحمقاء القاسية التي تمارس القمع من دون أدنى شعور بالذنب، وتظل حتى النهاية على قناعة بأنها قدمت الكثير من أجل ابنتها.

لا شك أن جانبا من نجاح الفيلم بصريا يعود إلى ذلك التعاون البديع بين مدير التصوير البلجيكي نيكولاس كاراكاتسانيس، مع خبراء المؤثرات الخاصة، في التوصل إلى حلول بصرية مقنعة ومؤثرة لحركة مارغوت روبي وهي تمارس الرقص بحيث نجح فريق الفيلم في تركيب وجه مارغوت على جسد راقصة حقيقية محترفة، والانتقال بين الصور الحقيقية لمارغوت في الحلبة إلى الصور التي تم تركيبها ببراعة، كما أعادوا تجسيد الحلبة نفسها والمدرجات المليئة بالجمهور بواسطة برامج توليد الصور من خلال أنظمة الكمبيوتر. وهذا الفيلم يعتبر أيضا تجسيدا للقفزة التكنولوجية التي جعلت المستحيل يصبح ممكنا في عالم الخيال السينمائي.

تونيا... لحظة النشوة والتحقق التي تبحث عنها تجدها في خيارها الحالم

لحظة الشعور بالاحباط بعد أن كسرت تونيا حذاءها

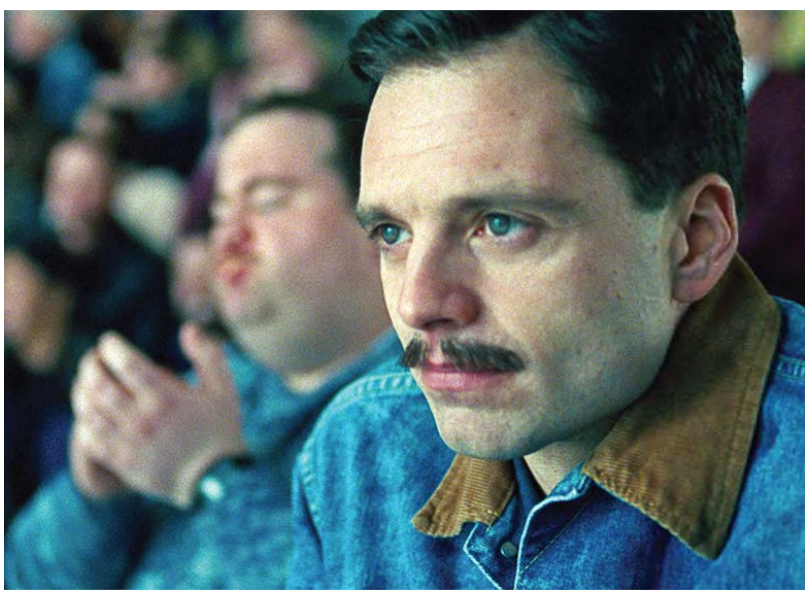

الزوج «جيف» كان دائما يقف وراءها

أفضل وجهة سياحية لعام 2018 تفتح أحضانها لمحبي الفن

تصوير أفلام عالمية يسلط الأنظار على مدينة إشبيلية الإسبانية

عراقة وصمود

قصر كاسا دي بيلاتوس

استديو طبيعي للأفلام

متحف الفنون الجميلة

أعظم قصور إشبيلية في عصر بني عباد

حي سانتا كروز

بدأت مدينة إشبيلية الإسبانية الشهيرة في استقطاب نجوم ومشاهير العالم لتصوير أحدث الأفلام العالمية والمسلسلات لهذا العام ما أسهم في جذب المزيد من السياح وعشاق الفن لهذه المدينة خاصة أن كل هذا يتزامن مع الذكرى السنوية الـ400 لرسام بارتولومي إستيبان موريللو، التي يحتفل بها عبر إقامة فعاليات وعروض متنوعة وجولات تأخذ الزوار إلى أماكن ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة وعمل هذا الفنان.

❑ **إشبيلية (إسبانيا)** – يؤكد الخبراء والمهتمون بالأنشطة السياحية للمدن في العالم أنه لا توجد مدينة في إسبانيا تضاهي إشبيلية من حيث ظهورها في الأفلام العالمية الشهيرة والمسلسلات، حيث زارها الأمير دوران مارتيل لتصوير مسلسل "صراع العروش" ولورانس العرب، وزارها أيضا توم كروز كعميل سري، وقد يعود الفضل في ذلك إلى جوها المعتدل وشروق الشمس لساعات طويلة حتى في فصل الشتاء، لكن الأهم من ذلك كله هو المباني التاريخية الفريدة والمعالم السياحية الضخمة التي تسحر الأنظار.

وتعتبر جولة بواسطة الدراجات من الوسائل المحببة للعديد من الزوار لاستكشاف مدينة سبال (أقدم اسم معروف لإشبيلية)، فالانطلاق في جولات الدراجات المصحوبة بمرشد سياحي، كالتي ينظمها مركز إشبيلية للدراجات، لم يكن من الممكن تصورها قبل بضع سنوات، لكن تم توسيع مسارات الدراجات لما يقرب من 160 كلم لجعل الزيارة إلى المدينة أكثر استرخاء وجاذبية.

ومن الضروري أن يشمل البرنامج السياحي لمدينة إشبيلية الواقعة جنوب إسبانيا زيارة ميدان بلازا دي إسبانيا، حيث لا يوجد مكان في إشبيلية يحظى بشعبية كبيرة لدى مخرجي هوليوود مثل المكان الواقع على حافة أكبر حدائق إشبيلية "ماريا لويزا بارك" البديعة.

ويمكن الإشارة إلى أن الممثل البريطاني ساشا بارون كوهين كان قد حول مبنى بطول 200 متر تقريبا في هندسة المدجنون في كوميديا "الديكتاتور" قصرا صحراويا، فيما قصد المخرج الأميركي جورج لوكاس المدينة لتظهر معه الممرات العمدانية في الجزء الثاني من حرب النجوم.

رائد الباروك

لكن هذا السحر السينمائي ليس كل ما تقدمه المدينة لعشاقها حول العالم، فإشبيلية هذا العام تجتذب العديد من السياح بسبب فنانها وملهمها بارتولومي إستيبان موريللو، فعلى مدار العام تحتفل المدينة بالذكرى السنوية 400 لرسامها الباروكي (عبارة عن فترة تاريخية في الثقافة الغربية نشأت عن طريق أسلوب جديد في فهم الفنون البصرية) الشهير عالميا مع إقامة ثمانية معارض فريدة.

يستهل متحف موريللو للفنون الجميلة عام يوبيل (اسم عبري يستخدم للاحتفال بمرور عدد من السنوات على ذكرى ما) بمعرض "موريللو وكبوشية إشبيلية" المفتوح حتى بداية أبريل القادم.

وقال فالمي مونيوز روبيو، مدير المتحف، إن دورة الكبوشيين هي إحدى أهم سلاسل صور موريللو، وقد رممنا جميع اللوحات بالكامل. وبعد فترة طويلة من وفاته بقي موريللو حتى نهاية القرن التاسع عشر رسام الباروك الأكثر شعبية في إسبانيا، ويؤكد هذا أيضا معرض "آثار موريللو في إشبيلية" في دير سانتا كلارا.

وتظهر في الوقت نفسه كاتدرائية إشبيلية القوية حتى أوائل ديسمبر المقبل "رؤية القداسة" لموريللو، وستكون التميمة الكبرى لسنة اليوبيل في نوفمبر المقبل في "متحف الفنون الجميلة" أكبر استرجاع لأعمال الرسام الإسباني الشهير على مدى ربع القرن الماضي. وكان موريللو جنبا إلى جنب مع دييغو فيلاسكويز بطل الباروك الأكثر شهرة في إسبانيا، والذي ولد في الأيام الأخيرة من ديسمبر عام 1617، ويمكن زيارة حوض وشهادة المعمودية في كنيسة ماجدالينا.

ونظمت المدينة بمناسبة يوبيل موريللو العديد من الجولات التي تأخذ الزوار إلى الأماكن التي ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة وعمل الفنان. ويتم على مدار العام تنظيم العروض المسرحية وسلسلة أفلام وحلقات نقاشية

> مدينة إشبيلية تنظم بمناسبة يوبيل موريللو العديد من الجولات السياحية، بحيث يمكن للزوار بواسطة نظارات «دي 3» التعرف على إشبيلية في عصر الباروك

للمساعدة في إعادة اكتشاف رائد الباروك الإسباني وعصره، وتقوم مؤسسة باست فيو سيفيلا مثلا بتنظيم جولات سياحية في المدينة، حيث يمكن للزوار بواسطة نظارات "دي 3" التعرف على إشبيلية في عصر الباروك.

ويعتبر موريللو والتراث الثقافي للمدينة سبب اختيار مجلة "لونلي بلانت" الأميركية، الرائدة في السياحة والسفر، لإشبيلية كأفضل وجهة سياحية لعام 2018، وستتبع المطاعم أحدث صيحات المذاق هذا العام دون التخلي عن التقاليد الأندلسية. فيما تعد الهندسة المعمارية أيضا مزيجا من التراث والحداثة، وكمثال على هذا التباين بين الكاتدرائية و"ميتروبول باراسول"، وهي مظلة ضخمة على خمسة أعمدة على شكل فطر.

الفلامنكو

من بين الأشياء المميّزة للمدينة الإسبانية تمتعها بأشياء فريدة مثل رائحة أشجار البرتقال في الشوارع والتي تنبعث منها مشاعر الحماس والعاطفة واللوعة، والتي يجسدها مغنيو وراقصو الفلامنكو على المسرح في العديد من أماكن الفلامنكو "تابلاوس" في المدينة.

وتعتبر إشبيلية مهد الفلامنكو فيما زيارة الحفل المخصص لهذا النوع من الموسيقى أمر لا بد منه، وهناك العديد من التابلاوس الجيدة مثل كاسا دي لا ميموريا أو كاسا دي لا غيتارا، أين قدم عازف الغيتار السابق خوسيه لويس بوستيغو أكبر مجموعة من قيثارات الفلامنكو في العالم، حيث يصل عمر بعض الآلات الموسيقية إلى أكثر من 300 سنة.

أفضل الوجهات السياحية في شهر مارس

الهند

❑ تطبع الألوان كل مكان بالهند، أين يستقبل الشعب الهندي الربيع بإقامة مهرجان "هولي" مرتدين أزياء بيضاء سرعان ما تتحول إلى مزيج من الألوان بسبب قذفهم الألوان على بعضهم البعض، كما يستقطب هذا المهرجان عادة محبي المرح والتسلية والمغامرات.

كينيا

❑ تستقطب بطقسها المعتدل وطبيعتها الخلابة محبي السفاري والتجول لاستكشاف الأماكن فيها، بالإضافة إلى مشاهدة الحيوانات البرية عن قرب، حيث تضم حديقة نيروبي الوطنية أنواعا كثيرة من الحيوانات المهددة بالانقراض.

جزر المالديف

❑ تعتبر هذه الجزر من بين الأماكن التي تم تجهيزها خصيصا للمتزوجين حديثا أو للباحثين عن الأجواء الرومانسية، وتمتاز بمناظرها الخلابة والمياه النقية الزرقاء المتواجدة في كل ركن بها، ما يبعث على الاسترخاء.

تركيا

❑ تجتذب تركيا السياح في هذا الشهر من السنة بفضل العديد من الأماكن الطبيعية التي تمتاز بها مدنها، كمدينة إسطنبول التي تستقبل زائريها في مارس بمهرجان خاص بزهور التوليب التي تملأ كل ركن في المدينة على امتداد شهر كامل.

زوم على السياحة

● تعتزم شركة كوسموكورس الروسية، التي تقوم حاليا بتصميم مكوك سياحي روسي، إطلاق أول مركبة سياحية مأهولة خاصة بحلول عام 2025.

● أكد محمد ساجد، وزير السياحة والنقل الجوي والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي في المغرب، أن إقامة فعالية "المغرب في أبوظبي" للعام الثالث في دولة الإمارات أسهمت في تعريف الزوار بالتراث المغربي من خلال تسليط الضوء على الفن المعماري الإسلامي، إلى جانب عروض ممتعة وأنشطة متميزة تأخذ الزائر في رحلة إلى المغرب.

● قضت المحكمة العليا النيبالية الأربعاء، بوقف تنفيذ مرسوم حكومي يحظر على المكفوفين ومبتوري الساقين تسلق جبل إيفرست، وذلك قبل أسابيع من بداية موسم التسلق الذي يحظى بشعبية كبيرة لأعلى قمة في العالم.

ويحاول المئات من المتسلقين الوصول إلى قمة الجبل الذي يبلغ ارتفاعه 8848 مترا خلال فصل الربيع.

عسكرة الذكاء الاصطناعي تمهد الطريق للحروب «الناعمة»

أسلحة ذكية قادرة على إدارة المعارك دون التدخل البشري

على الرغم من أن الانتشار الواسع للهجمات الإلكترونية المقادة بالذكاء الاصطناعي لا يزال بعيدا قليلا كما يتوقع خبراء التكنولوجيا، إلا أن الدول بدأت تخطط وتتنافس على ملكية أسلحة ذكاء اصطناعي ستكون قادرة على ترجمة المعارك في فيلم ترمينايتر إلى الواقع. المخاوف من هلاك البشرية تزداد مع تطور الأسلحة الذكية، لكن البعض لا يستبعد أن توقع الدول على اتفاقية مقترحة باسم «اتفاقية جنيف الرقمية» للحد من النزاعات المقادة بالذكاء الاصطناعي.

❏ **واشنطن** – يمثل تطوير أسلحة بتقنيات الذكاء الاصطناعي مضمارا جديدا تتسابق فيه القوى العسكرية المؤثرة في العالم، لتصبح الغلبة في معارك المستقبل لمن ينجح أكثر في تطبيق هذه التكنولوجيا في ساحات القتال.

ووقعت غوغل عقد شراكة مع وزارة الدفاع الأميركية لعسكرة الذكاء الاصطناعي وتقنيات التعلم الآلي في خطوة يرى من خلالها الخبراء أن استثمار الخوارزميات والحوسبة السحابية قد يفتح السباق بين الدول على امتلاك الأسلحة الذكية التي ستجعل من أسلحة فيلم "ترمينايتر واقعية" لا تمل من القتل.

والأسلحة الذكية ستكون قادرة على أن تختار، حال تشغيلها، أهدافا معينة وتشتبك معها دون الحاجة إلى تدخل إضافي من العنصر البشري، بحيث يتم إحلالها محل الجندي شيئا فشيئا.

ويأمل المسؤولون عن التسليح في الولايات المتحدة أن تتم الاستفادة من تطوّر أنظمة الكمبيوتر الذكية، وتسخيرها للاستجابة بشكل آلي لظروف المعركة، واتخاذ قرارات معينة ضمن القواعد التي يضعها المبرمجون لها.

> العالم على بعد سنوات قليلة من سيناريو فيلم «ترمينايتر» الذي يتولى فيه الروبوت خوض الحروب بشكل كامل

وتعمل غوغل سرا مع البنتاغون من أجل مساعدة أسطوله المكون من 1100 طائرة دون طيار على رصد الصور والوجوه والأنماط السلوكية، وتخطط الشركة العملاقة في مجال التكنولوجيا لتطوير الذكاء الاصطناعي بهدف تحليل لقطات الطائرات دون طيار.

وذكرت وكالة أنباء "ذي انترسبت"، أن الهدف النهائي للشراكة هو تحسين الأداء القتالي من خلال مكننة عملية صنع القرار في تحديد مكان المقاتلين واستهدافهم.

وتأتي هذه الشراكة ضمن مشروع "بروجيكت مافن"، الذي انطلق بتاريخ 26 أبريل 2017، بهدف استخدام تقنيات متطورة قائمة على خوارزمية لمجابهة تزايد "المنافسين والخصوم".

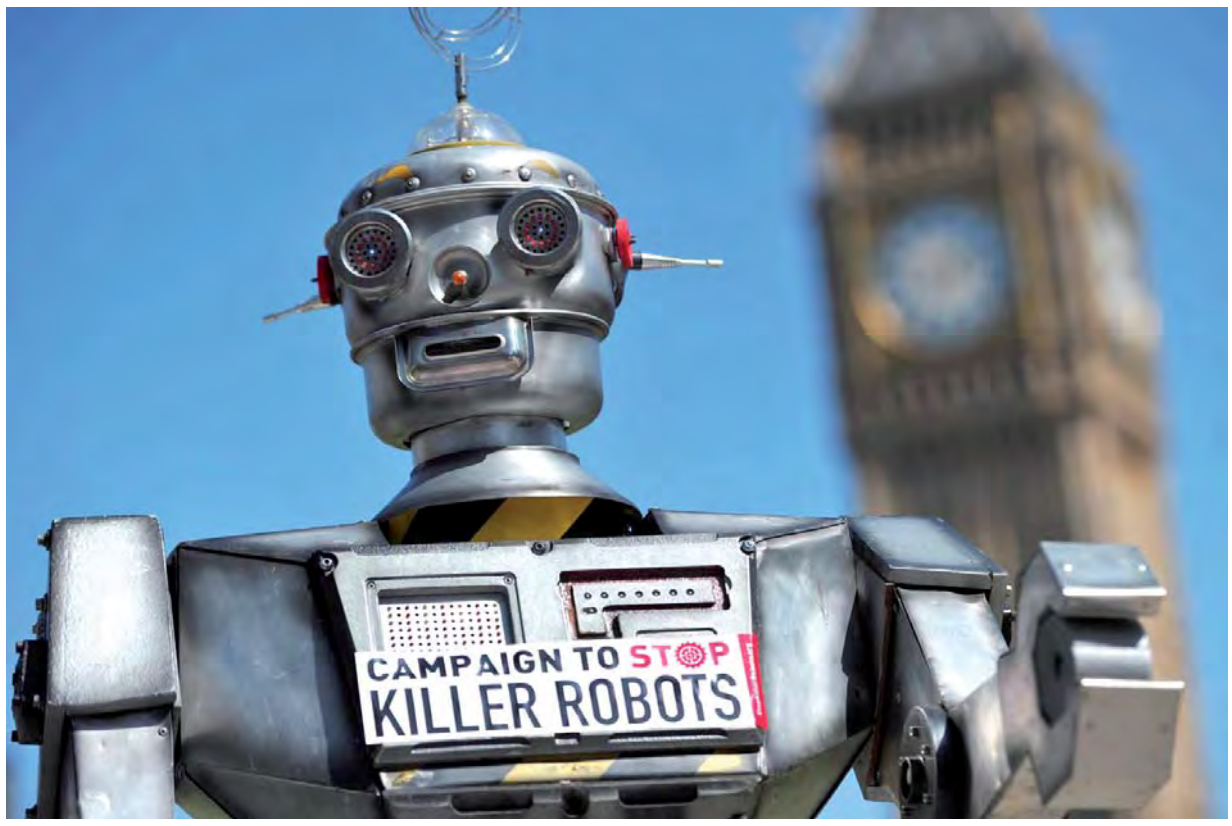

الأسلحة وجه سلبي للذكاء الصناعي

ووفقا لمذكرة البنتاغون، فإن هدف المشروع هو تسريع عملية استخدام البيانات الكبيرة والتعلم الآلي معا خلال حالات القتال وتسريع عملية تحليل البيانات التي تم جمعها. وقد وقع نائب وزير الدفاع السابق روبرت وورك على هذه المبادرة.

وقال روبرت وورك "التقدم السريع في الذكاء الاصطناعي والنظم المستقلة المحسنة بشكل كبير يشير إلى تطبيقات جديدة أكثر رواجا بالحروب، تشمل التعاون بين الإنسان والآلة والفرق القتالية"، في حين أعرب عدد من العلماء والمنظمات عن مخاوفهم جراء تطوير الأسلحة المستقلة بصورة كاملة، ودعا بعضهم إلى فرض حظر على تطويرها واستخدامها.

وهذه ليست المرة الأولى التي تقوم فيها غوغل بالعمل مع البنتاغون، حيث أن الرئيس التنفيذي السابق للشركة الأم لغوغل "ألفابيت"، إريك شميت، ترأس "المجلس الاستشاري للابتكار الدفاعي، تحت إدارة أوباما.

وأثار هذا المشروع غضب بعض موظفي غوغل بشأن مشاركة التكنولوجيا مع الجيش، في حين قال آخرون إن المشروع يثير أسئلة أخلاقية حول التعلم الآلي.

وقالت متحدثة باسم الشركة لوكالة بلومبرغ، إن غوغل تشارك تقنيات البرمجة العالية مع الجيش لـ"الاستخدامات غير الهجومية فقط"، موضحة أن "الاستخدام العسكري للتعلم الآلي يثير بطبيعة الحال المخاوف، ونحن نناقش هذا الموضوع الهام داخليا ومع الأطراف الأخرى".

ويرى خبراء التكنولوجيا أن مثل هذه الخطوة ستزيد من تنافس الدول وخاصة روسيا والصين والولايات المتحدة على تطوير أسلحة الذكاء الاصطناعي لتحقيق التفوق العسكري وبناء جيوش بجنود آلية وأسلحة التحكم الذاتي فيما يشبه الحرب الباردة التي جرت في أربعينات وخمسينات القرن الماضي، حيث سعت كل من موسكو وواشنطن لامتلاك أسلحة نووية كافية لقتل سكان العالم لعدة مرات.

ونظرا لفاعلية أسلحة الذكاء الاصطناعي وتكلفتها المنخفضة ستفتح الطريق أمام معظم الدول لبناء جيوشها والتسلح بالجنود الآليين، وأجهزة التحكم الذاتي.

ومن المتوقع أن تنخفض تكلفة أسلحة الذكاء الاصطناعي، ما يعني أنها ستتحول إلى ماكينات قتل قادرة على إحداث أسوأ الحروب عن طريق استخدام تعديلات واختراقات يمكن الوصول إليها بسهولة عبر الإنترنت، وتطوير جنود آليين وروبوتات قادرة على اتخاذ القرارات بنفسها.

ويرى جيمز بارات، مؤلف كتاب "آخر اختراعاتنا: الذكاء الصناعي ونهاية البشرية"، أننا على بعد سنوات قليلة من سيناريو فيلم "ترمينايتر" الذي يتولى فيه الروبوت خوض الحروب بشكل كامل، مؤكدا وجود سباق مستعر لتطوير أسلحة ذكية.

تطوير برمجيات الذكاء الاصطناعي سيجعل بالإمكان اتخاذ قرارات بالاعتماد على بيانات أكثر وبسرعة أكبر، ما يمكّن الإنسان التعامل معها، ولعل إجراء بحث بسيط حول استخدام الذكاء الاصطناعي في تطبيقات مختلفة جدا مثل الطائرات دون طيار والعربات ذاتية القيادة وأمن الشبكات سيثير القلق من أن العالم على شفا حرب باردة جديدة وقودها الذكاء الاصطناعي.

ويمنح الذكاء الاصطناعي القدرة على إيقاف أو منع هجوم بطائرات دون طيار عبر تدمير وحدة التحكم الخاصة بها، وذلك لأن التحكم المادي والإلكتروني يتم توزيعه ولا يكون مركزيا.

وينطبق الأمر نفسه على الأسلحة الإلكترونية والتي تُستخدم خارج نطاق شبكة الاتصال، وبذلك فإن استخدام أنظمة التحكم بالذكاء الاصطناعي سيؤدي إلى ردود أسرع وأدق.

يمكن خلال الهجمات التي يشارك فيها الذكاء الاصطناعي أن يُطلق أسلحة إلكترونية أو فعلية بشكل مباشر تقريبا، متخذا القرار حتى قبل أن يدرك الإنسان سبب إطلاقها، بحيث يمكن لأنظمة الذكاء الاصطناعي أن تغير الأهداف والتقنيات بسرعة أكبر بكثير من الإنسان وبتحليل أفضل للمعطيات.

سباق محموم حول عسكرة الذكاء الاصطناعي، حيث اقترح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إمكانية استخدام روسيا لسبل الذكاء الاصطناعي لإعادة التوازن في موازين القوى الذي أوجدته الولايات المتحدة بصرفها عشرة أضعاف ما تصرفه روسيا على الدفاع سنويا.

وأعلنت الصين عن خططها لتصبح رائدة في الذكاء الاصطناعي بحلول 2025 لتتحدى الهيمنة الأميركية على القطاع، في ظل تصاعد التوترات الدولية بشأن التطبيقات العسكرية للتكنولوجيا.

السباق التسلح الذكي ترافقه تحذيرات خبراء أشاروا إلى أن الأبعاد الأخلاقية والعواقب غير المقصودة التي يمكن أن يؤدي إليها استخدام الذكاء الاصطناعي في المجال الدفاعي تبدو جلية.

خوارزميات تفك ترميز الصور في الدماغ

❏ **إنديانا** – أصبح بإمكان الكمبيوتر قراءة ما يدور في الذهن، حيث أصبح من الممكن للإنسان أن يرسل صورة لأحد المقربين منه دون أن يلتقطها بعدسة الكاميرا أو رسم تصميم لمنزل الأحلام، من خلال التفكير فيها فقط، فقد ابتكر العلماء أول خوارزمية من نوعها لتفسير وإعادة إنتاج صور مرئية او متخيلة في ذهن شخص آخر.

قد يبدو هذا الابتكار ضربا من ضروب الخيال خاصة وأنه يحتاج إلى عقود قبل أن تصبح هذه التكنولوجيا جاهزة للاستخدام العملي، لكن استخدام خوارزميات لفك الصور الذهنية ليس بالتقنية الجديدة، فمنذ عام 2011 قام الباحثون بإعادة إنشاء مقاطع فيلم وصور، وحتى صور لأحلام عن طريق مطابقة نشاط الدماغ مع النشاط المسجل سابقا عند عرض الصور. ولكن كل هذه الطرق لها حدودها.

يقول تشونغمينغ ليو، عالم الكمبيوتر في جامعة بوردو في غرب لافاييت بولاية إنديانا، إن هذه خوارزمية يمكن أن تنتج، إلى حد ما، ما يراه رواد السينما عندما يشاهدون فيلما.

ولمعرفة ما يشاهده الشخص حول الباحثون الإشارات القادمة من جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي الذي يقيس مدى تدفق الدم إلى الدماغ إلى بروتوكول كمقياس للنشاط العصبي، حيث قاموا بتعيين مناطق المعالجة البصرية إلى دقة 2 مليمتر، حيث نظر ثلاثة أشخاص إلى أكثر من ألف صورة عدة مرات لكل منهم. وكان الهدف هو النظر فقط في نشاط استجابة لصورة مثل النمر، وفي نهاية المطاف يكون الكمبيوتر صورة من شأنها أن تنتج تقريبا نفس النشاط.

وبدلا من إظهار موضوعات الأشخاص الثلاثة الواحد تلو الآخر حتى يصيب الكمبيوتر في قراره، قام الفريق ببناء برنامج يؤدي دور الدماغ، ويتشكل من شبكة عصبية عميقة مع عدة طبقات من عناصر المعالجة البسيطة.

يقول يوكياسو كاميتاني، عالم الأعصاب في جامعة كيوتو في اليابان، "نحن نعتقد أن الشبكة العصبية العميقة تعتبر بديلا جيدا للمعالجة الهرمية للدماغ. باستخدام هذه التكنولوجيا يمكننا استخراج المعلومات من مستويات مختلفة من النظام البصري في الدماغ، من تباين ضوء بسيط وحتى محتوى أكثر وضوحا كالوجوه مثلا".

وتعمل الترجمة التي تم تسجيلها من الرنين المغناطيسي ومن ثم نقلها إلى الشبكة كقالب على تخمين ما كان الشخص يشاهد.

ويقوم النظام الخوارزمي بعد ذلك بالعمل من خلال التجربة والخطأ، على أمل أن يرسم الصورة المطلوبة، سواء كانت صورة نمر أو بطة أو نافذة زجاجية ملونة. يبدأ النظام بشيء عشوائي يشبه التلفزيون المشوش، ويحسن ببطء اللوحة على مدار 200 محاولة.

ولجعل المنتج النهائي أكثر دقة، أدخل الباحثون تقنية شبكة المولدات العميقة وهي خوارزمية تم اختبارها في هذه الحالة لتوليد صور واقعية.

وتقوم مجموعة تقنية شبكة المولدات العميقة بتنقيح اللوحات لتبدو أكثر طبيعية، وبمجرد إضافة ذلك، يمكن لمراقب بشري محايد أن يختار من صورتين أيا منهما هي الصورة المقصودة بنجاح بنسبة 99 في المئة من الوقت. بعد ذلك، حاول العلماء قراءة عقول الناس بمجرد تخيل الصور. هذه المرة قاموا بمسح أدمغة الأشخاص الثلاثة بعد مطالبتهم باسترجاع الصور المعروضة سابقا، بما في ذلك صورة لسمكة طائرة وأشكال ملونة بسيطة. لم تعمل الطريقة بشكل جيد للصور، ولكن للأشكال، استطاعت الخوارزمية إيجاد صور يمكن التعرف عليها بنسبة 83 في المئة من الوقت.

ويتساءل نيكولاوس كريغيسكورتي، عالم الأعصاب الحسابي في معهد زوكرمان التابع لجامعة كولومبيا، إلى أي مدى يمكن أن تكون قياسات نشاط الدماغ كمعطيات دقيقة؟ وإلى أي مدى تعكس الأخطاء في كيفية تفسير أدمغتنا للصور؟

يقول "إن التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي عالي الدقة وغيره من تقنيات تصوير الدماغ قد تزيد من احتمالية تحسين النتائج"، ومع قياسات أفضل والتحسين المستمر في الخوارزميات، قد نتواصل يوما ما في ما بيننا من خلال الصور الذهنية فقط.

جديد التكنولوجيا

حذاء يطلب البيتزا بضغطة زر

❏ أطلقت بيتزا هت حذاءها الرياضي "باي توب" في مارس من العام الماضي 2017، وعادت لتطلق الإصدار المحدث من هذا الحذاء، والذي يحتوي على زر لطلب البيتزا، يقع في لسان فردة الحذاء اليمنى.

ويتم توصيل الحذاء مع تطبيق بيتزا هت على الهواتف المحمولة، ويكفي ضغط الزر الموجود في الحذاء، ليجد المستخدم قطعتين من البيتزا بالحجم المتوسط على باب منزله.

ولطلب البيتزا، يجب على المستخدم تنزيل تطبيق بيتزا هت على هاتفه الذكي، وإعداد حساب جديد مع تحديد العنوان ومعلومات الدفع، وتحديد الإضافات المفضلة على البيتزا، ومن ثم يقوم التطبيق بإرشاد المستخدم حول كيفية تفعيل الخدمة، وربط التطبيق مع الحذاء الرياضي.

سلم متحرك يستخدم تويتر

❏ قدمت شركة كوني الرائدة في قطاع المصاعد المتحركة أول سلم متحرك يستخدم تويتر، سيتم تشغيله في لندن، حيث يقوم بنشر تغريدات بمعلومات وبيانات عن الأداء والمشاكل المحتملة في الوقت الفعلي للعملاء وفنيي الصيانة على مدار الساعة، بهدف تحسين أداء الآلات وموثوقيتها وسلامتها.

وبالإضافة إلى التغريدات، ستتوفر فيديوهات بتقنيتي الواقع الافتراضي و360 درجة، للراغبين في الاطلاع على تجربتهم الشخصية مع هذا السلم المتحرك.

وتجمع كوني عبر دمج الذكاء الاصطناعي ضمن خدماتها، كميات هائلة من البيانات من أجهزة الاستشعار لمراقبة وتحليل وعرض المعلومات في الوقت الفعلي، واستنباط الحلول الممكنة للمشاكل المحتملة.

تطبيق لطلب مصفف الشعر للمنزل

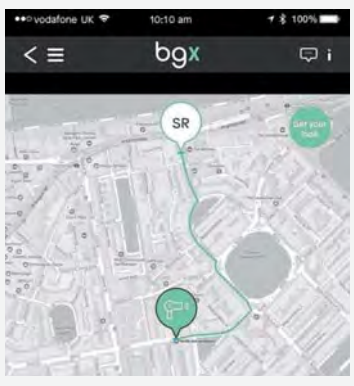

❏ أبرمت شركة أوبر لخدمات السيارات مع شركة دبي بيوتي اتفاقية تعاون لإطلاق تطبيق يتيح للنساء طلب مصفف شعر إلى المنزل.

ويوفر التطبيق الذي أطلق عليه اسم "بي جي أكس" للمستخدمين تحديد موعد مع مصفف الشعر لقدومه إلى المنزل، مستقلا سيارة أوبر، دون اضطرار المستخدمة إلى مغادرة منزلها والذهاب إلى الصالون، لأخذ موعد مسبق.

وتستهدف هذه الخدمة شريحة النساء العاملات اللواتي ليس لديهن وقت كاف للذهاب إلى الصالون.

ويتوفر التطبيق حاليا للتحميل من متجري التطبيقات "آب ستور" و"غوغل بلاي"، وتتاح هذه الخدمة فقط في دبي، بالإضافة إلى لندن وباريس.

التدريب المعلق ينمي القوة الجسدية والمرونة والثبات

التمرن بالحبال يعتمد على استخدام وزن الجسم

تعتمد رياضة التدريب المعلق على جملة من التمارين والحركات المتنوعة ومتدرجة القوة باستخدام حبال معلقة بالسقف، وتزداد قوة العضلات ومرونتها كلما تمكن المتدرب من الحفاظ على توازنه وثباته، عند تغيير التمرين في كل مرة.

❏ **برلين** – التدريب المعلق عبارة عن طريقة أو منهج لتدريبات القوة التي تستخدم نظام الحبال وحزاما يسمى "المدرب المعلق" للسماح بالتمرين باستخدام وزن الجسم، كما يعد التدريب المعلق شكلا من أشكال المقاومة، ويتضمن تمارين الجسم المتنوعة متعددة المستويات، وتهدف إلى تنمية القوة الجسدية والتوازن والمرونة والثبات، كل ذلك في آن واحد، ويعمل التدريب المعلق على تطوير القوة البدنية أثناء استخدام الحركات الوظيفية والأوضاع الحيوية.

يستخدم للتدريب حزامان يعلقان في هيكل يسمح للتمرن باستخدام اليدين أو القدمين في مواضع مختلفة وعمل تمرينات القرفصاء أو تمرين الضغط أو التمرين في وضع الاستقامة، ثم الإطالة لفترة قصيرة، وبعد 30 دقيقة يكون التمرين قد انتهى. وعادة ما يعرف التدريب المعلق باسم «التريكس»، لكن هذا هو اسم الشركة التي تنتج الأحزمة ذات اللونين الأسود والأصفر، وفي التدريب المعلق تتم التمارين فقط عن طريق وزن الجسم، لكن ما الذي يجعله فعالا؟

أوضح المدرب الشخصي ماركيل دول أن التدريبات عبارة عن حركة في فضاء ثلاثي الأبعاد، وهذا يعني أنه أثناء أداء التدريب المعلق يمكن تدوير الجسم والانتقال إلى الوضع الأفقي، وعلى العكس من التدريب بواسطة الأجهزة يتم تحديد التوجيه للجسم دائما.

التدرب بوزن الجسم ومن خلال التمرين عبر الحلقات يكون الجسم دائما في حالة عدم استقرار، وهو ما يعمل على تحفيز العضلات العميقة. وقد يكون التدريب عن طريق الوزن الخاص بالجسم أمرا غير معتاد بالنسبة إلى البعض، لكنه يقوي الشعور بالجسم نفسه. ويشير ساشا لينز، المدرب في سلسلة صالات اللياقة البدنية "فيتنيس فيرست" إلى أن ذلك يساعد على فهم كم هو مجهد للجسم حمل وزنه فقط، غير أن هذه المواقف غير المستقرة لا تقدم مميزات فقط، لكنها قد تكون مصدرا للوقوع في الخطأ وخاصة مع المبتدئين، حيث أوضح المدرب الشخصي مارسيل دول أنه لا بد للجسم أن يبني خطا مستقيما، وفي البداية يكون من الصعب توجيه الجسم خاصة في التمارين الأساسية.

ومن المميزات الأخرى لهذه النوعية من التمرينات إمكانية أدائها في أي مكان مثل المنزل أو في الهواء الطلق أو الفندق أثناء السفر. ويفضل عند الرغبة في أداء التدريب المعلق في المنزل تثبيت خطاف ثابت في السقف أو كتلة خشبية، وبعد ذلك يتم تثبيت الأحزمة.

ومع ممارسة التدريب المعلق يجب التركيز على تمارين قوة التحمل. وأضاف هاينز كلاينودر من جامعة الرياضة الألمانية في كولن أنه للحصول على نتائج جيدة من المستحسن إجراء التدريب مرتين في الأسبوع، ومن الأفضل ثلاث مرات في الأسبوع، وهناك بالفعل بعض الأفكار لتطوير هذه النوعية من التدريبات منها يوجا التريكس؛ حيث تتم ممارسة وقفات مختلفة مع دعم الحزام للوصول إلى إطالة أكثر عمقا.

يرى المدربون أن التدريب المعلق من أفضل التمارين التي تساعد على بناء العضلات.

ويركز التدريب على وزن الجسم ويعتمد عليه من خلال إشراك المزيد من العضلات الأساسية في نفس الوقت للتمرين.

وتساعد هذه التدريبات على زيادة استقرار الجسم. ويقول كريس فرانكل الخبير الرياضي إن العضلات الأساسية الخاصة بك إذا كانت ضيقة فسوف تفقد التوازن عند رفع الشريط الحديدي في تمارين رفع الأثقال.

وفيما يلي جملة من التمارين تتم خلال 30 دقيقة، ويمكن الاستمرار فيها لمدة أطول لبناء المزيد من القوة، وزيادة الضغط على الجسم.

1 ● تمارين الحبال المعلقة مع القرفصاء باستخدام ساق واحدة، وفي هذا التمرين تضع مرفقين تحت الكتفين مع زيادة الضغط على الحبل، فتقوم بالقرفصاء بالساق اليمنى، ثم تضع الكعب المعاكس على الأرض لمساعدة الساق الأخرى، مع انخفاض الوركين إلى أسفل. وللحفاظ على غالبية الوزن تضغط على الساق، ثم تقوم بتمديد الوركين والوقوف بعدها، والتكرار مع الساق اليسرى.

يقول الخبير الرياضي إن معظم الناس لديهم القوة للقيام بتمارين القرفصاء بساق واحدة، ولكن إضافة التدريب المعلق لتمرين القرفصاء يدرب الجسم على مقاومة الدوران في الوركين، وينمي بناء قوة أكبر لأوتار الركبة، وبناء عضلات غلوتيس أقوى.

2 ● التدريب المعلق مع تمدد الذراعين على شكل حرف Y وهو يعمل على تثبيت الجزء السفلي في الجسم والحفاظ على تمدد الذراعين، ورفع الصدر إلى أعلى، مع ضرورة الحفاظ على استقرار العمود الفقري، ويوفر لك ذلك القوة الكبيرة لعضلات الظهر.

3 ● تمارين الضغط مع التدريب المعلق، وهي تمارين الضغط العادية، مع استناد الساقين على الحبال. ويقوم المتدرب برفع الصدر اعتمادا على قوة الذراعين، ويحافظ على الكتفين والأذنين والوركين والركبتين والكاحلين، وهي تساعد على المزيد من المرونة في الساقين، وزيادة القوة في الكتفين والوركين.

4 ● تمارين سحب الحبال، وفي هذا التمارين نسحب الشريط حتى يصل إلى مستوى الصدر، مع تدوير الذراعين في الفراغ، وتمدد الذراع، ودفع الكوع إلى الخلف.

> للحصول على نتائج جيدة من المستحسن إجراء التدريب مرتين في الأسبوع، ومن الأفضل ثلاث مرات في الأسبوع

يذكر أن حبال التريكس هي منتج أميركي مكون من حزامين طويلين ذوي مقابض يدوية وحزام ثالث إضافي معد لربطهما وتثبيتهما إلى جسم ثابت مرتفع. طور الطريقة راندي هاتريك، وهو رجل كوماندوس أميركي، بحث عن طريقة للتدريب خارج معهد كمال الأجسام، وبالتالي طور فكرة التدريب الشامل للجسم بواسطة المقاومة. وهي تمارين يمكنها أن تشغل كافة عضلات الجسم، حيث يتم ربط الأحزمة إلى جسم ثابت في أي مكان، والتمرن من خلال تشغيل قوة مقاومة مضادة لها. طول كل من الأحزمة 2.5 متر، ووزنهما 810 غرامات.

يوضح مدربو اللياقة أن أهم ميزات التدريب المعلق أنه يمكن من الحفاظ على جسم سليم ومتناسق ويساعد على حرق الدهون وتطوير تحمل القلب للمشاق وتطوير العضلات وبنائها. ومن ميزاته الإضافية أنه خفيف الوزن، وهذا يتيح نقله بسهولة. وقد يكون رفيقا ممتازا لدمج بعض التمارين الرياضية بعد الركض. وإلى جانب تدريب العضلات المركزية، مثل عضلات الأرجل والأيدي، يمكن دمج تدريبات قوة وظيفية تساعد على تطوير التوازن وليونة العضلات.

يشير الأخصائيون إلى أنه من المهم معرفة أن هذا الجهاز يساعد بشكل كبير على الوصول إلى نتائج رائعة، لكنه غير كاف وحده. فهو لا يعوض عن مزاولة الرياضات والتمارين العادية. كما ينصحون بممارسة هذه التمارين تحت إشراف مدرب في النادي الرياضي، ضمن صفوف جماعية للاستفادة بشكل أكبر.

التحميل على عضلات الساق يحفظ سلامة الظهر وقوته

❏ **هامبورغ (ألمانيا)** – يعد رفع وحمل الأغراض الثقيلة جزءا من روتين الحياة اليومية، وباتباع بعض القواعد والإرشادات البسيطة عند القيام بذلك يمكن الحفاظ على صحة الظهر وتجنب الإصابة بأمراض خطيرة تصل إلى حد تشوه العمود الفقري.

حذر عالم الرياضة أولريش كونت، من خطورة رفع وحمل الأغراض الثقيلة بشكل خاطئ على صحة الظهر؛ حيث يرتفع خطر الإصابة بانزلاق غضروفي، وكذلك خطر التآكل المبكر للمفاصل. وعلى المدى الطويل يمكن أن يتسبب ذلك في حدوث تشوهات بالعمود الفقري، ما يتسبب في محدودية الحركة ويؤثر سلبا على جودة الحياة.

ومن جانبها، قالت اختصاصية الطب المهني يوليانه شتاينمان إن أهم قاعدة عند رفع أغراض ثقيلة، كدلو ماء مثلا، هي أن يتخذ الظهر وضعا قائما ومنتصبا، وذلك لتخفيف العبء الواقع على العمود الفقري.

> بعد رفع وحمل الأغراض الثقيلة أكد كونت أهمية إراحة العضلات المجهدة من خلال ممارسة تمارين الإطالة

وبدوره، أضاف اختصاصي العلاج الطبيعي ميشائيل برايبش أن الأغراض الثقيلة ينبغي دائما رفعها بالتحميل على عضلات الساق وليس على عضلات الظهر؛ لذا ينبغي أن تكون عضلات البطن والحوض مشدودة، مع مراعاة التنفس بشكل مقصود أثناء الرفع.

وأشارت الطبيبة الألمانية إلى أن توزيع الحمولة يخفف أيضا العبء الواقع على العمود الفقري، فعلى سبيل المثال يمكن أن يتعاون شخصان لحمل صندوق مشروبات. وفي حال عدم توفر شخص ثان، فيمكن حينئذ حمل الصناديق البلاستيكية والعبوات الكرتونية الكبيرة بواسطة الترولي أو عربات الدفع. وعملا بهذا المبدأ ينبغي أيضا حمل حقيبة التسوق الثقيلة باليد اليمنى تارة، وباليد اليسرى تارة أخرى، مع ترك الحقيبة على الأرض من وقت إلى آخر لأخذ قسط من الراحة. وعند حمل طفل يبلغ وزنه 10 كغم، ينبغي حمله على الجانب الأيمن تارة، وعلى الجانب الأيسر تارة أخرى.

وبعد رفع وحمل الأغراض الثقيلة أكد كونت أهمية إراحة العضلات المجهدة من خلال ممارسة تمارين الإطالة، بتحريك عضلات الكتف في حركات دائرية ونفض اليدين والساقين مثلا.

وبشكل عام، يمكن دعم صحة الظهر من خلال المواظبة على ممارسة الرياضة، خاصة رياضات قوة التحمل، مثل الركض والسباحة وركوب الدراجات الهوائية.

ونظرا إلى أن التوتر النفسي يمكن أن يتسبب في تعرض عضلات الظهر للشد، فإنه من المفيد أيضا ممارسة تقنيات الاسترخاء كاليوغا والتأمل.

فقد وجدت دراسة أميركية جديدة أن تمارين اليوغا تخفف الألم المزمن في الجزء السفلي من الظهر، ولا تقتصر فوائد هذه التمارين على تقوية عضلات الظهر فقط، بل تشمل عضلات البطن وتخفف الضغط على العمود الفقري.

وقال الباحثون إن ممارسة "إينغار يوغا"، وهو نوع من اليوغا شائع في أميركا، تقوي الجسم وتزيد مرونته وتساعد على التوازن.

وفي هذا السياق قال رئيس قسم طب العظام في مستشفى توماس جيفرسون الدكتور تود ألبرت "تبين لي أن اليوغا تخفف بشكل كبير الأوجاع في أسفل الظهر"، داعيا المرضى الذين يشكون من هذه المشكلة إلى الاستمرار في ممارستها لأن التوقف عن ذلك يضعف عضلات الظهر ويجعل الألم مزمنا.

ووفق موقع "هلث داي نيوز" فقد قسّم باحثون أميركيون مجموعة مرضى، يبلغ عددهم 90 شخصا تتراوح أعمارهم ما بين 23 و66 سنة ويعانون من وجع الظهر بشكل خفيف أو معتدل، إلى مجموعتين من أجل معرفة تأثير تمارين اليوغا على الذين يمارسون هذه الرياضة.

ومارست مجموعة من هؤلاء تمارين اليوغا لتسعين دقيقة مرتين في الأسبوع لمدة ستة أشهر، فيما استمرت المجموعة الثانية في تناول العلاجات الاعتيادية للتخفيف من حدة هذه الحالة كالسابق.

وحسب الدراسة، التي نشرت في مجلة سباين (العمود الفقري)، فإن الذين مارسوا تمارين اليوغا من المجموعة الأولى لمدة ستة أشهر لاحظوا تراجعا ملحوظا في حدة الألم الذي يشعرون به في أسفل الظهر، مقارنة بنظرائهم الذين استمروا في تناول العلاجات التقليدية للألم مثل الحبوب وغير ذلك، كما تحسنت نفسيتهم، إذ لم يشك سوى قليل منهم من الكآبة.

وفي هذا الإطار قالت الدكتورة ماري لو غالانتينو، أستاذة العلاج الفيزيائي في كلية ستوكتون في نيوجرسي، إن نتائج هذه الدراسة تؤكد الدراسات السابقة بشأن فوائد اليوغا وخاصة للنساء اللواتي تخطين مرحلة الطمث والمصابات بهشاشة العظام.

وأشار البحث إلى أن هذه التمارين لا تقوي عضلات ظهر النساء وتخفف الآلام في أسفل الظهر فقط، بل ربما تحسن أمزجة النساء اللواتي يعانين من سرطان الثدي.

ونقلا عن الموقع الألماني "دويتشه فيله" ينصح خبراء الصحة دوما بمراجعة الطبيب، فإن لم يكتشف الطبيب أي سبب محدد لألم الظهر، بإمكانكم اتباع هذه النصائح الصادرة عن خبراء الصحة الألمان للتخفيف من آلام الظهر.

● ممارسة اليوغا لتعزيز الدورة الدموية: تساعد تمارين اليوغا على استرخاء العضلات وتمدد العمود الفقري بلطف، ما يساعد على تنشيط الدورة الدموية واختفاء الآلام.

● ممارسة تمارين شدّ العضلات: أثبت باحثون أميركيون أن ممارسة تدريبات شدّ العضلات بانتظام تساعد على تخفيف آلام الظهر خلال فترة قصيرة، مقارنة بأولئك الذين لا يمارسون هذه الرياضة. ووفقا لموقع "أبوتيكن أومشاو" الألماني، فإن الباحثين أكدوا أن تأثير هذه التمارين في شفاء آلام الظهر يستمر لعدة أشهر.

● انتقاء الفراش بشكل مناسب: لدى شراء فراش السرير، يجب مراعاة أن يكون قاسيا والابتعاد عن شراء الفراش الطري، فالفراش القاسي يساعد النائم على تقليل الحركة أثناء النوم وبالتالي تجنب حدوث انزلاق في الفقرات بسبب القيام بحركة خاطئة أثناء النوم.

● السير حافي القدمين: مهما كان الحذاء مريحا، فهو يحدث تغييرا في شكل القدم، ما قد يؤثر على العمود الفقري ويؤدي إلى الإصابة بالآم في الظهر. لذا ينصح خبراء الصحة بالإكثار من المشي حافي القدمين، فهذا يساعد على تصحيح شكل القدم ويساعد على استقرار المفاصل ويحقق توازنا أفضل.

● ابتعد عن وضعية جلوس محددة: الجلوس بشكل مستقيم وشدّ الكتفين نحو الخلف ليس من الضروري أن يكون صحيا، بل ينصح خبراء الصحة بتغيير وضعيات الجلوس، إذ من الممكن الجلوس بشكل منحن نحو الأمام أو اتخاذ وضعية الاسترخاء، فهذا يساعد على تحريك العمود الفقري.

التوزيع المتوازن للحمولة يخفف العبء على العمود الفقري

أزمة تأخر سن الزواج تصب في مصلحة الانفتاح على العلاقات الجنسية

المجتمع لا يملك سلطة على علاقات الشباب غير المكترثين بالعادات

مع ارتفاع تأخر سن الزواج في المجتمعات العربية، تبرز مسألة الانفتاح على العلاقات الجنسية "الحرة"، التي أصبحت واقعا لا ينكره المجتمع الذي يغض النظر قليلا عن الذكور لكنه يبقي سيفه مسلطا على الفتيات.

رويدة رفاعي
صحافية سورية

لندن – علاقات مفتوحة، تحرر جنسي، انفتاح حضاري، محظورات تبيحها الضرورات، جميع هذه التسميات تختصر آراء الشباب في قضية ممارسة الجنس قبل الزواج التي ترتفع معدلاتها في المجتمعات العربية، ولم يعد واضحا على وجه الدقة، إن كانت سببا أو مسببا للعزوف عن الزواج.

فور التطرق إلى القضية تقفز مسألة المحرمات الدينية والأعراف والتقاليد إلى الأذهان، ويشهر جلادو المجتمع من الشباب أنفسهم، أصوات انتقاداتهم ومثالياتهم، لنفي الواقع ومحاكمة من لا يخجل بالاعتراف علنا، فيما يخفي آخرون ما يمارسونه سرا تحت غطاء "الفضيلة والتقوى"، أما الباقون فيكتفون بالصمت متجاهلين هذه الضجة معتبرين أن المسألة شخصية تخصهم وحدهم.

التمتع بمباهج الحياة

تؤكد الدراسات في الدول العربية على تأخر سن الزواج في السنوات الأخيرة للشباب عموما، ولم يعد المصطلح الشعبي "العنوسة" حكرا على النساء إذ طال الرجال أيضا، فيما يفضل البعض إطلاق تسمية "عنوسة اختيارية" بعد أن أصبح خيارا للكثير من الشباب الذين تتوفر لديهم جميع الإمكانات المادية والاجتماعية للزواج.

وكان لافتا قول مختصين أكاديميين، خلال ندوة حول تأخر سن الزواج في المجتمع الإماراتي في كلية الإعلام وعلوم الاتصال في جامعة الجزيرة، عقدت في فبراير الماضي، أن أبرز أسباب تأخر سن زواج الإماراتيين هو غياب ثقافة تكوين الأسرة لدى معظم الشباب بسبب تفضيلهم عدم تحمل المسؤولية الأسرية قبل سن الأربعين ليتسنى لهم "التمتع بمباهج الحياة".

> تأثير العلاقات الجنسية على العزوف عن الزواج مرتبط بنظرة الشاب للزواج، حيث أصبحت هذه النوعية من العلاقات سهلة وميسرة في ظل انفتاح الأجيال الجديدة

ولم يحدد المختصون ما هو المقصود بعبارة الـ"التمتع بمباهج الحياة"، إلا أنهم أكدوا أن معوقات الزواج بالنسبة لمعظم الإماراتيين ليست مادية بالأساس، كون الدولة تقدم لهم منح زواج وسكن.

كما أظهرت دراسة أجريت قبل عامين أن الشاب الإماراتي يفضل تأجيل زواجه لما بعد الأربعين، بسبب غلاء المهور والتكاليف عند فئة معينة، ومحاولة الاستمتاع بالحياة بلا مسؤوليات لأطول فترة ممكنة عند فئة أخرى.

ويتفق علماء الاجتماع وعلم النفس على أن الجنس هو المحرك الأساسي للزواج، وحتى فترة قريبة كان الخوض في قضية الجنس قبل الزواج، أمرا شديد الخطورة ووصمة عار تلاحق الأهل قبل أبنائهم، وبقيت هذه الوصمة مستمرة عند الفتيات إلا أن الشباب تجاوزوها وبشكل خاص في المدن الكبرى، نظرا لطبيعة المجتمع الأكثر تسامحا مع الرجال في كل الأمور.

يقول طارق من تونس (34) عاما، "لا أعرف ما دخل المجتمع في حياتنا الشخصية، ما الذي يضره في العلاقة الحميمة بين شخصين في منتصف الثلاثينات".

ويضيف "ما يثير الغضب أن المجتمع يكره البوح، معظم أفراده يمارسون الجنس قبل الزواج لكنهم دائما ما ينكرون ذلك ويلبسون رداء الدين، يمارس الذكور الجنس، لكنهم يحرمونه على الإناث، مجتمع يمارس الجنس والحب في الخفاء، ويدعي الفضيلة في العلن".

وأظهرت دراسة ميدانية أكاديمية أجريت على طلبة الجامعات التونسية، أن 80 بالمئة من الطلاب السلفيين متزوجون عرفيا، .كذلك الحال بالنسبة لـ20 بالمئة من الطلبة المتعاطفين معهم

وأعد الدراسة مجموعة من طلبة المرحلة الثالثة (الماجستير) في خمس كليات (الآداب بمنوبة والعلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس والطب بتونس والعلوم بتونس والشريعة)، وبيّنت أن نسبة 30 بالمئة من الطلبة المؤيدين للزواج العرفي يُحسبون على التيار السلفي أو متعاطفون معه، ويرون أن "الزواج العرفي هو زواج شرعي وهو الحل الشرعي للعلاقات الجنسية المنتشرة في صفوف الطلبة".

ولكنها لفتت إلى أنه ليس بوسع أيّ جهة تحديد مقدار انتشار الظاهرة لأن الطلبة المتزوجين عرفيا يحيطون زواجهم بسرية تامة خوفا من وقوعهم تحت طائلة القانون أو من افتضاح أمرهم لدى عائلاتهم التي لا تعلم بزواجهم.

وأشارت الدراسة إلى أن التقاء الأفكار الدينية السلفية مع الجذور الاجتماعية الفقيرة للطلبة، بالإضافة إلى انتشار ممارسة الجنس خارج إطار الزواج هما عاملان ساهما بشكل كبير في بروز الزواج العرفي كظاهرة جديدة في الجامعات التونسية. كذلك بيّنت أن 90 بالمئة من المتزوجين عرفيّا يتحدرون من أوساط اجتماعية فقيرة وهم قادمون من أحياء شعبية أو من جهات داخلية محرومة، في حين ينحدر 10 بالمئة منهم من عائلات تنتمي إلى الطبقة الوسطى التي تعرّضت خلال الفترة الأخيرة إلى التهميش الاجتماعي. وتختلف الآراء بين اعتبار هذا الزواج شرعيا أم لا، لكن بنظر الشباب الذين أقدموا على التجربة، يعتبر الحل الأمثل الذي يتيح حلا شرعيا للعلاقات الجنسية، بحسب ما تقول إحدى الطالبات.

واعتبر الباحث في علم الاجتماع طارق بلحاج محمد، أن الزواج العرفي آلية لشرعنة العلاقات الجنسية التي تزداد انتشارا في المجتمع التونسي، حيث أن 80 بالمئة من الشباب و67 بالمئة من الشابات يمارسون الجنس خارج إطار الزواج برغم "أن التونسيين في قرارة أنفسهم غير متصالحين مع فكرة 'العلاقات المحرمة' بحكم الوازع الديني وتربية الحلال والحرام وثقل الموروث الثقافي والاجتماعي الذي يتعارض أحيانا مع الصورة المتحررة التي تظهر بها بعض الطبقات الاجتماعية".

وتختلف نظرة المجتمعات إلى الموضوع باختلاف الموروث الثقافي من عادات وضوابط دينية حتى في المجتمعات العربية نفسها، بين المدن والقرى، أو بين سكان المناطق الأكثر انفتاحا والأكثر محافظة، مع وجود الاستثناءات دائما.

ويقول علي عبدالراضي الباحث في علم النفس بجامعة عين شمس في القاهرة، في تصريح لـ"العرب" إن تأثير العلاقات الجنسية على العزوف عن الزواج مرتبط بنظرة الشاب للزواج، فإذا كان يعتبر الزواج مجرد علاقة لإشباع الرغبة الجنسية وفق الشرع وتقاليد المجتمع، فهو لا يبالي بالزواج ويلجأ لإقامة علاقات جنسية متعددة كبديل عن الزواج الشرعي، وهذا النوع ينتشر بكثرة بين شباب الجامعات، حتى وإن كانت العلاقة الجنسية سطحية دون أن تكون كاملة.

نظام علاقات حرة

يرى عبدالراضي، أنه مع صعوبة إتمام زواج رسمي في ظل ارتفاع الأسعار والمبالغة في تكاليفه أصبح البديل الأمثل لبعض الشباب والفتيات إقامة علاقات جنسية تجعلهم يعزفون عن الزواج الرسمي، وأصبحت هذه النوعية من العلاقات سهلة وميسرة في ظل انفتاح الأجيال الجديدة وعدم اكتراثها بالعادات والتقاليد والالتزامات الاجتماعية، وتقاربها من ثقافات غربية تبيح الاختلاط الجنسي قبل الزواج تحت ذرائع ومبررات مختلفة.

وأوضح أن مؤسسة الزواج غابت في مجتمعات عربية كثيرة كنتيجة مباشرة لتبني الشباب نظام علاقات جنسية حرة، جراء مجموعة من الإكراهات المادية الأخرى، ما يمثل عاملا أساسيا في العزوف عن الزواج ما دامت الرغبة الجنسية تحققت دون مقابل مادي. وبدوره يتحدث باسم سعيد، وهو شاب في بداية الثلاثينات من عمره ويقيم بالقاهرة، عن تجربته في هذا الموضوع، ويقول إن العلاقات الجنسية قبل الزواج تؤخره نسبيا، فحاجة الشاب إلى فتاة تتزوج منه وتتقبل فكرة علاقاته الجنسية السابقة معضلة كبيرة، وهو ما يؤخر الزواج لسنوات وأحيانا يجعل الشاب يعزف تماما عنه، والعكس صحيح بالنسبة للفتاة التي أقامت علاقة قبل الزواج.

وأوضح لـ"العرب" أن "أكثر الشباب يفكر بمنطق لماذا أتزوج رسميا وأنفق الآلاف من الجنيهات ولا أكون حرا ومقيدا بارتباطات أسرية، ما دامت العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج متوافرة ومتاحة في أي وقت وبشتى الطرق".

أين النساء

أظهرت دراسة حديثة تحمل اسم "أنماط حياة العازبين لعام 2017"، أن النساء أكثر سعادة واستمتاعا بحياة العزوبية من الرجال، وأن 3 من كل 4 نساء لا يرغبن في تغيير نمط حياتهن والزواج، وذلك وفقا لشركة الأبحاث "مينتل".

وأشارت إلى أن 61 بالمئة من النساء اعترفن بالشعور بالسعادة في العزوبية، فيما صرح بنفس الأمر 49 بالمئة من الرجال فقط، كما أن 65 بالمئة من الشباب يبحثون عن فتاة للارتباط بها، في حين وصلت نسبة البنات لـ75بالمئة، ما يدل على سعادتهن بحياة العزوبية.

تعلق علا على هذه الدراسة، بأنها بالتأكيد لا تخص المجتمع العربي، إذ تتوفر للنساء في الغرب حريات أخرى ليست في متناول النساء العربيات ومنها الحرية الجنسية. وتضيف الطالبة الجامعية علا (22) عاما "ما يقبله الشباب على أنفسهم يرفضونه على الفتيات، ونحن في النهاية من يدفع الثمن".

ومن جهتها تقول نادية، الفتاة العشرينية من القاهرة، إن انحصار فكرة الزواج في العلاقات الجنسية سبب رئيسي لعزوف بعض الشباب عن الزواج، وهذه ثقافة منتشرة بكثرة بين الأجيال الجديدة، لأن البديل متوافر خارج منظومة الزواج من خلال العلاقات الحميمة السهلة.

وأشارت لـ"العرب"، إلى أن العلاقات الجنسية قبل الزواج لا تسبب عزوفا كاملا عن الزواج لكنها تؤخره بعض الوقت، فالمرأة في المجتمعات الشرقية لا يمكن لها استبدال العلاقات الجنسية بالزواج لأنها سوف تحمل لقب عانس أو "بها عيوب" وهو ما يجعلها منبوذة مجتمعيا، بينما الرجل يفكر في عكس ذلك، وفي العموم تظل العلاقات الجنسية قبل الزواج قاصرة على الشباب والفتيات من أسر تعيش وضعا اجتماعيا يبدو منفتحا.

شارك في إعداد التقرير من القاهرة:
* محمد محمود

تحولات جنسية في المغرب

الرباط – أصدرت الكاتبة الصحافية سناء العاجي دراسة مؤخرا، حول المغاربة والجنس قبل مرحلة الزواج، وسلطت الضوء على التحولات والحقائق الاجتماعية التي شهدها المجتمع المغربي بهذا الخصوص على مر العقود الماضية، بغض النظر عن إطارها المعياري.

وفي كتابها المعنون "الجنس والعزوبية في المغرب"، عن منشورات ملتقى الطرق، حاولت الكاتبة وهي باحثة في علم الاجتماع خلال دراسة ميدانية تطلب إنجازها حوالي ست سنوات، تفكيك أنماط التفكير والسلوكيات المتعلقة بالجنس قبل الزواج في المغرب.

وأثارت على امتداد 411 صفحة، الكثير من الجوانب المرتبطة بهذا الموضوع الذي يدخل ضمن التابوهات المسكوت عنها أو التي لا تتم مناقشتها بالشكل الكافي، وعلى رأسها التقليد السائد بخصوص العفة والطهارة وربطها بعدة معايير من ضمنها "الملابس المحتشمة" في الكثير من الأحيان.

وقالت العاجي "قبل شروعي في البحث، كان السؤال الأبرز الذي طرحته هو: هل يعيش المغاربة حياة جنسية قبل الزواج؟ قبل أن يتغير هذا السؤال كلما تقدمت في البحث، ليصبح: كيف يعيش المغاربة هذه المرحلة؟".

وأكدت أن "الحياة الجنسية لدى المغاربة في مرحلة ما قبل الزواج موجودة، لكنها محاطة بنوع من المنع القانوني والمجتمعي والقيمي، وبالتالي تعاش هذه الحياة الجنسية في مواجهة مع هذا الإطار القيمي".

وتابعت "مغاربة كثر يعيشون هذا التحول، وليسوا كلهم بالضرورة واعين بهذا الخرق، وليسوا كلهم يطالبون بالحرية الجنسية ما قبل الزواج"، لافتة الانتباه إلى أن "العديد من المغاربة يتبنون الخطاب القيمي للمنع، لكن التحولات الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية جعلت الأمور تتغير".

ويقدم الكتاب إجابات حول كيفية عيش المغاربة لهذه المرحلة ما قبل الزواج داخل إطار قيمي يمنعها، حيث شهد المجتمع تحولا يشمل الحياة الجنسية، سواء داخل أو خارج إطار الزواج.

وأشارت إلى أنه في سنة 1960، على سبيل المثال، كانت النساء يتزوجن في سن الـ17 سنة والرجال في سن الـ27، بينما الآن انتقل هذا المعدل إلى 27 سنة بالنسبة للنساء و31 سنة بالنسبة للرجال.

المجنّدات السعوديات أمام معركة إثبات الذات

سواعد أنثوية تدعم القوى الذكورية للجيش السعودي

الإصلاحات المتتالية لولي العهد الأمير محمد بن سلمان تعطي صورة أكثر إشراقا عن دور المرأة السعودية في صناعة نمط اجتماعي وسياسي جديد يقطع مع رواسب الماضي، ويؤسس لمستقبل تصنعه أكف النساء وسواعد الرجال معا.

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

❏ تعيش السعوديات منذ تولّي العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز العرش على إيقاع وتيرة من التغييرات والإصلاحات المتسارعة، جعلتهن أكثر تطلعا إلى مستقبل تسود فيه مساواة حقيقية بين المرأة والرجل.

واتخذت الحكومة السعودية، مؤخرا، خطوة أخرى في إطار المزيد من تفعيل مشاركة النساء في الحياة العامة، وذلك بفتح باب التجنيد الاختياري أمام الفتيات للالتحاق بالحياة العسكرية برتبة مجند.

وأعلنت مديرية الأمن العام عزمها قبول خريجات الثانوية العامة بالوظائف العسكرية، في العديد من المدن الرياضية، منها الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة والقصيم وعسير والباحة والشرقية.

وكانت السعودية قد شهدت في عام 2017 سلسلة من القرارات الملكية التاريخية، تضمنت منح النساء عدة حقوق لأول مرة، منها رفع الحظر عن قيادة السيارة، والسماح لهن بدخول ملاعب كرة القدم، وتوليهن مناصب عليا في البلاد.

ولم تأت مختلف هذه المكاسب التي حظيت بها المرأة السعودية من فراغ، بل كانت باكورة "رؤية 2030" التي أطلقها الأمير محمد بن سلمان في عام 2016، والتي تهدف إلى إجراء إصلاحات شاملة في السعودية.

ويبدو أن ولي العهد السعودي عازم على تغيير صورة بلاده وتحقيق التنمية والأمن والاستقرار، وهذا أهم من أي طموح سياسي شخصي لولي العهد.

وخلال سنوات قليلة تمكن ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان من إحداث تغيير كبير في واقع المرأة السعودية، جعلت وسائل الإعلام تعكس أضواءها على الدور الريادي الذي يمكن أن تقوم به المرأة السعودية في بلادها، إذا ما أتيحت لها الفرصة لممارسة المهن التي يحتاجها المجتمع في النطاق التعليمي والصحي والإداري ومراكز صنع القرار.

وتعكس خطوة تعيين الدكتورة تماضر بنت يوسف الرماح نائبا لوزير العمل والتنمية الاجتماعية، الفكر الحداثي للأمير الشاب الذي بدا مؤمنا بدور المرأة الكبير في تحقيق النمو الاقتصادي والرفاه الاجتماعي والرقي الحضاري، فالمرأة في النهاية ليست أقل شأنا من الرجل، بل لديها قدراتها الخاصة على العمل باستقلالية ومع الآخرين، وبنفس القوة ومستوى كفاءة الرجل.

واجب يتساوى فيه الجميع، والمرأة السعودية على قدر من المسؤولية التي تجعلها تحمي الوطن وترفع رايته عاليا".

لكنّ السؤال الذي يُطرح هنا، هل من السهل أن يتقبل المجتمع السعودي انتقال المرأة من عالمها التقليدي الذي يتمتع بخصوصية كبيرة، إلى عالم أكثر تحررا وحداثة؟

ترى الفنانة التشكيلية نجلاء محمد السليم أن "خصوصية وأسلوب حياة المجتمع السعودي المحافظ لم تكن يوما عائقا في طريق أي قرارات تنموية أو حضارية تخدم المصلحة العامة، بما في ذلك الإصلاحات التي تخص وضع المرأة السعودية".

وقالت السليم لـ"العرب"، إن "المرأة السعودية احتلت ومنذ القدم مكانة مرموقة بين أفراد قبيلتها وعشيرتها، وكانت لها أدوار سياسية واقتصادية وتعليمية رائدة في مجتمعها في حالات السلم وحتى الحرب، والتاريخ يحفل بقصص كثيرة عن نساء سعوديات قويات عرفن بمواقفهن الجسورة والمقدامة".

وأضافت "لكن منذ ظهور البترول في السعودية بدأ نمط حياة المجتمع السعودي في التغيّر، ومعه تغيّر دور المرأة التي لم تعد تهتم فقط بالزراعة ورعاية الأغنام، بل أصبحت تطمح إلى دخول المدارس والمعاهد والجامعات وحصلت على شهادات عليا في مختلف الاختصاصات، وأعتقد أنها اليوم تملك من المؤهلات ما يجعلها قادرة على تولي أي منصب". وأكدت السليم أن "انضمام المرأة السعودية إلى الجيش السعودي حتمته تحديات الحاضر والمستقبل، ونداء الواجب الوطني الذي لا أحد يستطيع الاعتراض عليه".

الطبيعة الحيوية للمرأة

تنقسم المواقف الاجتماعية حول عمل النساء في صفوف الجيش السعودي، ولكنه انقسام يغذيه الاختلاف في الرؤى حول الطبيعة الحيوية التي خلقت عليها المرأة.

واعتبر الدكتور أحمد قران الزهراني أستاذ الصحافة والإعلام في كلية الاتصال بجامعة الملك عبدالعزيز أن المجتمع السعودي قد أصبح أكثر تقبلا من ذي قبل لعمل المرأة في أي مجال من المجالات حتى وإن كانت بالمجالات العسكرية.

وأشار الزهراني في حديث لـ"العرب" إلى أن "المرأة السعودية قد سبق لها وأن عملت في بعض القطاعات العسكرية، خاصة تلك التي لها علاقة بالتفتيش، وإذا تهيأت لها الأرضية القانونية للعمل العسكري فإنها لن تتردد في ذلك". وأردف الزهراني حديثه باستفهام إنكاري "لكن السؤال الأهم هل القطاعات العسكرية محتاجة لممارسة المرأة العمل العسكري؟".

وأجاب عن سؤاله قائلا "المرأة السعودية أصبحت مستعدة للعمل في أي مجال من مجالات الحياة، خاصة في ظل التغييرات المجتمعية والحكومية التي تسير بوتيرة سريعة نحو الانفتاح وتعزيز دور المرأة في المجتمع، لكن حسب تصوري ستبقى هناك قطاعات محصورة على الرجال حتى وإن أباحت بعض الضرورات عمل المرأة فيها".

واستبشر الدكتور عبدالسلام الوايل عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك سعود، بالبرامج الإصلاحية التي طالت حقوق المرأة في بلاده قائلا "المجتمع السعودي قد أصبح في السنوات الأخيرة مهيّأ لرؤية المرأة تشارك في مجالات لم تكن معهودة من قبل، وعلى مرّ هذه السنوات نلاحظ أن ملف تمكين المرأة قد تجذر في مؤسسات الدولة وحضورها تزايد، وهذا يعني أن المجتمع قد مرّ بتغيرات ثقافية عميقة تجذرت في العقلية السعودية".

وأضاف الوايل لـ"العرب"، إن "اقتحام المرأة لمجالات مهنية جديدة أصبح من الأمور الاعتيادية لدى عموم المجتمع السعودي وقد لعب التحام القيم المحلية بالقيم العالمية دورا في هذا التقبل، مما جعل الدولة تستثمر هذا التقبل بالمزيد من التمكين للمرأة، بحيث أصبح الواقع يعزز التوقعات ويضفي عليها المشروعية، ولا أعتقد أن الناس سيستنكرون فتح المجال المهني العسكري أمام المرأة".

وتابع "تبقى طبيعة المهن المخصصة للمرأة في هذا المجال، هل ستكون مقتصرة على المهن المكتبية والصحية أم ستكون شاملة للعمليات العسكرية؟ ربما ستبقى الأدوار القتالية محصورة على الرجل في الوقت الحاضر، لكن في مرحلة لاحقة قد يتوسع ملف تمكين المرأة، وهذا مسار طبيعي ومتوقع للتطور الاجتماعي".

ونوه الوايل إلى أن حضور السعودية قد كان إيجابيا في مختلف المجالات المهنية، مشيرا إلى ما حققته من نجاحات في مختلف القطاعات الحكومية والخاصة وفي عالم الأعمال والتجارة، واقتحامها لمجالات عُدّت ولزمن طويل مجالات ذكورية.

ويبدو طموح السعوديات في الانضمام إلى صفوف الجيش مشروعا وقد كفلته لهن سلطات بلادهن، إلا أنه أثار جدلا كبيرا، لاعتقاد البعض بأن عمل المرأة في الجيش من المحرّمات، خاصة أنه سيفرض عليهن الاختلاط بالرجال.

وكانت عضوة بمجلس الشورى السعودي قد تقدمت بمقترح طالبت فيه بإلزام الفتيات بفترة تجنيد إجبارية لمدة تتراوح ما بين ثلاثة أشهر وعام، مما أثار ضجة داخل رواق المجلس، وصل صداها إلى مواقع التواصل الاجتماعي.

طموح مشروع لكن!

انتشر على تويتر هاشتاغ "تجنيد_المرأة_السعودية"، ندد فيه مغردون بقرار السماح بتجنيد الفتيات واعتبروه يجرد المرأة من حشمتها ويسيء إليها.

وقال المغرد نايف بن عميّان "من أثارت هذه القضية لا يمكن أن تكون سعودية الجدّين، كيف تجند النساء وهل بلادنا في حاجة إلى مجندات ورجالنا كثر وشبابنا على أتم الاستعداد.. يريدون أن يدخلوا المرأة في كل شيء".

وقال مغرد آخر "هذا العمل فيه إهانة للمرأة المسلمة، فمن يرضى أن تكون أمه أو أخته أو ابنته بين الجنود في المعسكرات تشاركهم الطعام والمسامرة والنوم".

وتعليقا على ذلك قال رجل الأعمال عبدالرحمن الحربي "ليس من السهل على المجتمع السعودي تقبل فكرة عمل المرأة كشرطية أو مجندة في الجيش، وهذا أمر طبيعي كأي نظام أو توجه جديد في المملكة قد يقابل في البداية بالرفض، ولكن مع مرور الوقت سيتم تقبله بل وحتى تأييده، خاصة إذا ما نظرنا إلى ما سيجنيه المجتمع من مزايا من وجود المرأة في السلك العسكري".

وأضاف الحربي لـ"العرب"، قائلا "قد تواجه المرأة في بداية مشوارها في هذا المجال بعض العقبات، كما يمكن أن تشهد الإدارات التي ستعمل فيها المجندات تحديات ولا سيما أننا نرى اليوم مشاكل في القطاعات العسكرية الخاصة بالرجال واللوم الذي تناله من المجتمع، (على سبيل المثال إدارة المرور)، فما بالنا بقطاع جديد على المرأة".

وختم بقوله "صحيح أن المرأة المجندة موجودة في السعودية منذ عقود، وإن كان ذلك ضمن نطاق ضيق في إدارة الجوازات بالمطارات والشرطة وبعض المنشآت الأخرى، لكن ما سيحدث إن عملت في المرور مثلا مختلف تماما، لأنها ستواجه الناس بشكل مباشر وهذا في حدّ ذاته تحدّ كبير، ربما سيجعلها تتعثر في البداية وقد تواجه مشاكل عدة ويستمر هذا الوضع وقتا طويلا".

من الواضح أن قرار فتح باب التجنيد الاختياري أمام الفتيات قد اتخذ لصالح المرأة السعودية عموما، ولكنه ربما لن يغيّر أيّ شيء على أرض الواقع ما لم تتغير نظرة المجتمع عموما للمرأة.

السعودية تكسر حاجز للنساء فقط

نجلاء محمد السليم:
خصوصية المجتمع السعودي لم تكن يوما عائقا في طريق الإصلاحات

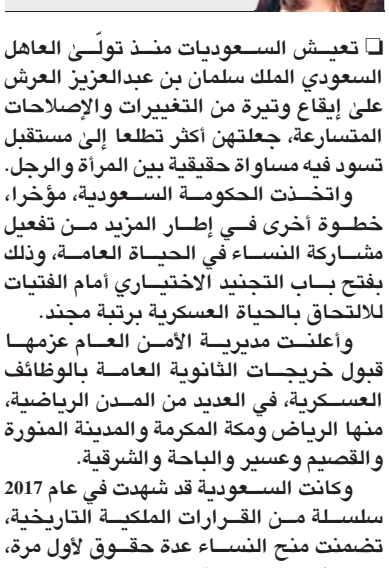

أحمد قران الزهراني:
السؤال الأهم هل القطاع العسكري محتاج فعلا للمرأة

عبدالسلام الوايل:
المجتمع السعودي أصبح مهيأ لرؤية المرأة تشارك في مجالات مختلفة

عبدالرحمن الحربي:
ليس من السهل على المجتمع السعودي تقبل فكرة عمل المرأة في الجيش

كثرة المهام تهدد الأمهات بالاحتراق النفسي

الميل إلى الكمال سمة شخصية تسهم في زيادة الاحتراق

تقوم الأم بعدة أدوار في الحياة اليومية، حيث تأخذ على عاتقها العناية بالأطفال وتلبية متطلبات الزوج والقيام بأعمال المنزل، علاوة على أنها قد تكون امرأة عاملة، وهو ما قد يؤدي إلى تعرضها للإصابة بالاحتراق النفسي في الكثير من الأحيان.

الاحتراق الناتج عن الإجهاد ظاهرة متعددة المستويات

❑ **برلين** – أكد مختصون في علم النفس أن نهاية يوم العمل لا تعني الاسترخاء لمعظم الأمهات العاملات، فهي بداية لعمل من نوع آخر سواء في إعداد الطعام أو متابعة دروس الأبناء أو التسوق، وبالتالي فلا وقت للتمتع بالهوايات أو لقاء الأصدقاء. وينطوي ضياع وقت الفراغ على مخاطر كبيرة لأنه يضعف الطاقة والقوة اللازمتين للأيام التالية، مما يؤدّي إلى احتراق الأمهات نفسيا في نهاية المطاف.

وأشار الطبيب النفسي الألماني هانز هارتمان إلى أن الأعراض الجسدية لمتلازمة الاحتراق النفسي تتجسد في صورة إنهاك وضعف وصداع وتوتر للعضلات واضطرابات في النوم، وأضاف هارتمان أن الأعراض النفسية تظهر من خلال الخوف والقلق والتهيّج واعتلال الحالة المزاجية والاكتئاب.

وللتخلص من الاحتراق النفسي يتعين على الأم في البداية البحث عن الأشخاص المقربين منها والتحدث معهم، مثل الزوج أو الصديقة أو الأم، كما يمكن اللجوء إلى طلب المساعدة من المختصين مثل طبيب نفسي أو مراكز الاستشارات الأسرية، حيث يمكن للطبيب تقرير ما إذا كانت الحالة تحتاج إلى إجازة مرضية أم إلى علاج نفسي.

واستعرض موقع "بيلد دير فراو" الألماني بعض النصائح التي يمكن أن تساعد على الموازنة بين العمل ووقت الفراغ وشحن الطاقة اللازمة، مشيرا إلى أن الفوضى تتسبب عادة في إهدار الوقت وبالتالي تزيد من التوتر والضغط العصبي، لذلك، ينصح الخبراء بإعداد قائمة الواجبات التي يجب القيام بها في اليوم التالي، حيث تساعد هذه الطريقة على عدم نسيان أي من المهام، بالإضافة إلى تنظيم المواعيد وتحقيق أقصى استفادة من الوقت رغم ضيقه.

> التقاليد الأسبوعية تساعد على مقاومة الاحتراق النفسي مثل تحديد نشاط أسبوعي، مع تخصيص وقت فراغ في الأسبوع دون أي أنشطة أو التزامات

وبيّن أن عمل قائمة بالواجبات لا يعني أن تكون مكتظة بأمور لا لزوم لها. لذا من المهم ترتيب الأولويات والتخلي عن الأمور التي يمكن تأجيلها أو غير الملحة، وعندما تتراكم الأعباء يمكن طلب المساعدة من أحد الزملاء في العمل ومن المقربين. وتؤكد الكثير من النساء أن أعمال المنزل لا نهاية لها، خاصة مع وجود أطفال، لكن المؤكد هو أن التنظيف المستمر بشكل يومي لا يؤدّي إلى تراكم مهام عديدة في عطلة نهاية الأسبوع. ومهما بلغت درجة الشعور بالإجهاد والتعب بعد يوم عمل طويل، فلا يجب أن تتخلى المرأة مطلقا عن لقاء الأصدقاء، لأن ذلك في حدّ ذاته كفيل باستعادة الحيوية والنشاط.

وقال الخبراء إن الذهاب إلى مصفف الشعر أو إلى جلسة مساج كفيل بمنح الأم مشاعر سعادة داخلية تعينها على قضاء أمور العمل والمنزل، لذلك من المهم الحرص على إيجاد مواعيد في فترات متقاربة للقيام بهذه الأمور، وحتى بالنسبة لمن لا يجدن الوقت الكافي لهذه الأمور، يمكنهن ببساطة الاستمتاع بوقت خاص بالاهتمام بجمالهن في المنزل.

وأشاروا إلى أن الآثار السلبية للاحتراق تكاد تمتد إلى كل مجالات الحياة، بما في ذلك الأسرة والعلاقات الاجتماعية، وحتى على المستوى الصحي فقد تسبب تغيرات طويلة الأجل على الجسم تجعل المرأة عرضة للأمراض مثل نزلات البرد والأنفلونزا.

وأكد الخبراء أنه على الرغم من أن الاحتراق النفسي والضغط النفسي يشتركان في أنهما يعبران عن حالة من الإنهاك النفسي والجسدي، إلا أنهما يختلفان، نظرا إلى أن الشخص المضغوط عليه يتحسن بمجرد الإحساس بأن كل شيء أصبح تحت السيطرة، وإذا طال هذا الضغط فإنه يستهلك أداء الفرد ويؤدي إلى انهيار في أداء وظائفه. أما الشخص المحترق نفسيا فهو يعاني من الشعور بالفراغ، وتجنب الدافعية، وهو غير قادر على رؤية أي أمل في التغيير الإيجابي، إنه غارق بالمسؤوليات.

وأشاروا إلى أن ربة المنزل المسؤولة عن رعاية ثلاثة أطفال، إضافة إلى أعمال منزلها ومسؤوليتها عن والدها الكبير في السن مثلا، هي عرضة أيضا للاحتراق النفسي.

وأفاد علماء النفس أن الاحتراق لا يحدث فقط بسبب الأعمال المجهدة أو المسؤوليات الكثيرة، ولكن هناك عوامل أخرى تزيد من الإرهاق، أهمها أسلوب حياة الشخص وبعض سمات شخصيته، كيف يقضي أوقات فراغه وما هي نظرته إلى العالم. وأوضحت البحوث أن الميل إلى الكمال من السمات الشخصية التي قد تسهم في زيادة الاحتراق النفسي، والنظرة التشاؤمية إلى الذات وإلى العالم، كما يشعر المحترق بالرغبة في السيطرة على كل شيء ويتردد في تفويض الآخرين.

وكشفت أن الاحتراق النفسي هو عملية تدريجية تحدث على مدى فترة طويلة من الزمن، وليس بين عشية وضحاها، ولكنها قابلة للتطور عند الأشخاص الذين لا يولون اهتماما لإشارات التحذير، فبالرغم من أن علامات الإرهاق تكون خفية في البداية، إلا أنها تزداد سوءا مع مرور الوقت.

وقالت ميلي بفلايدر، المعالجة النفسية الألمانية إن الاحتراق النفسي أصبح وباء، مشيرة إلى أنه يصيب "أطباء، معلمين، موظفي بنوك وحتى العاطلين عن العمل وربات المنازل"، فالاحتراق الناتج عن الإجهاد ظاهرة متعددة المستويات، وعادة ما تظهر أول أعراضها عندما يصبح المرء غير قادر على القيام بوظائفه بنفس الكفاءة المعهودة.

وأوضحت بفلايدر أن الأشخاص الأكثر عرضة للاحتراق هم الأشخاص الكماليون الذين دائما ما يشعرون بأن عملهم ليس مقدرا بما يكفي. وقد زادت المشكلة في الوقت الحالي بشكل كبير بسبب التداخل المستمر بين أوقات العمل وأوقات الراحة عبر وسائل الاتصال الحديثة، وكذلك أصبح الموظفون كثيرا ما يتنقلون من وظيفة إلى أخرى، وهو ما يزيد من شعور الأفراد بعدم الرضا عن نتائج عملهم.

وينصح الخبراء بالإسراع إلى تغيير نمط الحياة والحرص على تخصيص يوم على الأقل في الأسبوع للراحة والترفيه وقضاء بعض الوقت مع الأصدقاء وممارسة الرياضة أو هواية، وتخصيص فترة معينة للراحة أثناء اليوم، كما أشاروا إلى أن التقاليد الأسبوعية تساعد على مقاومة الاحتراق النفسي، مثل تحديد نشاط أسبوعي مع تخصيص وقت فراغ دون أي أنشطة أو التزامات، فالإنسان يحتاج إلى وقت لا يفعل فيه أيّ شيء أو يفعل فيه ما يخطر له بشكل تلقائي.

المرأة العربية فاعلة بشرط تغيير العقلية

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❑ وضع المرأة العربية، في كافة الفضاءات التي تؤمها وتمارس فيها نشاطاتها اليومية ابتداء من الأسرة إلى المدرسة ومراكز العمل والترفيه والشارع، يكتنفه الكثير من الغموض وعدم الوضوح، لأن الفروق شاسعة بين التشريعات القانونية والدستورية وحتى التي تخضع لنواميس الأعراف الاجتماعية، وبين مجالات التطبيق الفعلي لهذه التشريعات.

فمن تأثيرات العولمة، التي فرضت الانخراط القسري في النظام العالمي في شتى مجالاته الثقافية والاقتصادية وغيرها، واتخذت شعارات رنانة في مجالات حقوق الإنسان، أنها أجبرت المجتمعات العربية –على اختلاف درجة قربها أو بعدها من مظاهر العولمة وعلى اختلاف درجة محافظتها– على الانخراط في العولمة من باب الحاجة، فالتعامل المالي الذي تديره مؤسسات المال العالمية كالبنك الدولي وغيره من مراكز التمويل والإقراض الدولية، يفرض على العرب أن يلتزموا بالحدّ الأدنى من احترام حقوق الإنسان، ولعل وضعية المرأة هي من بين المحدّدات الرئيسية لهذا الالتزام.

تطورت النظرة الأسرية الضيقة للمرأة وأصبحت تسمح لها بممارسة أنشطة خارج مفهوم "الحريم"، ذلك المصطلح الذي اصطبغ بالمكان المغلق الذي لا يسمح للمرأة بتجاوز حدوده، فهو المكان المسيّج بالأعراف والعادات والتقاليد التي ترسخت في أذهان النساء وأصبحن مكبلات دون القدرة على التحرر من تلك القيود المفروضة.

سعت المجتمعات العربية –بفعل الضرورة لا بفعل القناعة وتغير العقلية– إلى محاولة مواكبة ركب الحضارة الكونية، وكان لزاما على هذه المجتمعات أن تنصهر في مجالات العولمة الحديثة، فحاولت فك الحصار المفروض على حياة المرأة بنسب تختلف من مجتمع إلى آخر ومن شعب إلى آخر ومن محيط إلى آخر.

كانت المبادرة الأولى تتعلق بمجالات العمل التي دفع فيها الرجل سواء كان أبا أو أخا أو زوجا إلى تركها تعمل للمساهمة في تخفيف العبء المادي الذي تضخم وأصبح الرجل غير قادر على تحمله بمفرده، فتنازل مكرها على "القوامة"، ولكنه لم يقتنع نهائيا بتشاركية المرأة وقدرتها على الفعل الإيجابي والمثمر في مجال عملها. فما يهمّ هذه المجتمعات لتسكت المنظمات الدولية الداعمة لتحرر المرأة، نسب النساء العاملات.

المجال الثاني الذي سمح للمرأة بولوجه هو المجال السياسي، فوقع إشراك المرأة في المجالس المحلية والنيابية بل تبوّأت مناصب تنفيذية وتشريعية مهمة فأصبحت قاضية ومحامية ومديرة مؤسسة وممثلة في البرلمانات والأحزاب والجمعيات المدنية وغير ذلك من المهام. ولكن هذا التمثيل جاء قسريا أيضا لأن هذه المجتمعات تريد أن تداري مظاهر استبدادها وتسلطها، كما تريد أن تظهر في المحافل الدولية وهي ترتدي جبة الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية المرأة، وهو السبيل الوحيد لإمكانية الاندماج الفاعل في المنظومة العالمية.

إذن هل يمكن اعتبار أن ما تمتعت به المرأة في المجتمعات العربية ليس إلا مظاهر خادعة ولا تمتّ إلى تغير العقلية العربية في شيء؟

لا شك أن النخب المثقفة هي وحدها من اقتنعت بجدوى تشريك المرأة في الحياة العامة؛ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية عموما. وقد كان للنساء المبدعات في المجالات الحياتية والفنية والأدبية والعلمية دور فاعل في تغيير الرؤية الذكورية للمرأة بما جعل مفهوم "الحريم" يتجاوز حدوده الضيقة والتي وقع رسمها عبر التراكم الزمني. فقد استطاعت المرأة تجاوز الدور الشكلي الذي أرادته المجتمعات لها عبر تشريكها في مختلف المجالات السياسية والتمثيلية خاصة، فقد جعلتها "زينة"، ترشّق المجالس على اختلافها، ولكن بدأبها ومثابرتها استطاعت أن تثبت ذاتها عبر عملها وتفانيها في الخدمة.

وشحت المرأة كذلك الدساتير بفرض نسب لتواجدها في شتى المجالات، وكأننا بهذه الدساتير مجعولة للتسويق الخارجي ولتبييض الصورة وجعلها قريبة للمقاييس والمعايير الدولية للديمقراطية وحقوق الإنسان.

المشاركة الفاعلة للمرأة يجب أن تمرّ حتما عبر البناء الأسري لأن هذا الفضاء هو القادر وحده على إعادة رسكلة الأفكار والتوجهات. العائلة وحدها قادرة على جعل المرأة تشعر بذاتها كإنسانة قادرة على الفعل المثمر والمجدي، كما أن العائلة وحدها أيضا القادرة على جعل الرجل يحترم المرأة وتتغيّر النظرة الدونية لشريكة حياته ورفيقة دربه.

المسألة في جوهرها تتجاوز مجرد المسايرة لنظام عالمي فرض علينا وكان لزاما أن نبحث خلاله عن مكان يأوينا لنشعر بالدفء وننفض عنا وطأة الانعزال. فالمطلوب ليس إرضاء هذا النظام المعولم، بل إعطاء المرأة ما تستحق اجتماعيا وتربويا وثقافيا واقتصاديا. المطلوب أيضا ردّ إنسانية المرأة دون منّ أو تعال أو جبر.

العقلية الجمعية والاجتماعية هي التي يجب أن تتغير ونتجاوز التمثيل الصوري فكلما جعلنا المرأة العربية تثق في قدراتها كلما كانت فاعلة. لا بدّ من تجاوز النظرة الجنسية الضيقة للمرأة، فحتى السينما كرست الشخصيات النسوية كديكور جمالي بحت.

طبق اليوم

كرات لحم الضأن مع كريمة الباذنجان

* **المكونات:**

مقادير الكفتة:
- 500 غرام لحم ضأن مفروم
- حبة بصل مفروم
- 3 فصوص ثوم مهروس
- نصف ملعقة كبيرة بودرة شطة
- ربع كوب بقدونس، مقطع
- 3 ملاعق كبيرة زيت زيتون

كريمة الباذنجان:
- 4 حبات باذنجان
- 4 ملاعق صغيرة زيت زيتون
- 4 ملاعق كبيرة زبدة
- 3 ملاعق كبيرة دقيق
- كوب حليب
- كوب كريمة الخفق، ساخنة
- رشة جوزة الطيب
- ملح وفلفل أسود حسب الرغبة

* **طريقة الإعداد:**

- تخلط جميع مكونات الكفتة دون زيت الزيتون وتُشكل الكفتة على شكل كرات.
- يسكب الزيت في مقلاة كبيرة الحجم ويسخن، ثم تضاف الكفتة إلى المقلاة وتحمّر، تُخفض الحرارة وتُغطى، وتُطهى الكفتة إلى أن تنضج تماما.
- يتم دهن الباذنجان بزيت الزيتون ويوضع في فرن ساخن جدا حتى يشوى.
- يُقشر الباذنجان عندما يبرد، وتُصفى السوائل الزائدة من الباذنجان ويُقطع اللب.
- تذاب الزبدة في قدر ثم يضاف الدقيق، ويُطهى لمدة دقيقة ثم يضاف الحليب مع التقليب المستمر حتى تصبح الصلصة كثيفة، ثم تضاف التوابل والملح والفلفل.
- يضاف لب الباذنجان ويُقلب باستمرار إلى أن تصبح الصلصة سميكة أكثر، ثم تضاف الكريمة.
- توضع كرات لحم الضأن في كريمة الباذنجان.

موضة

إيلي صعب يقترب أكثر من الأناقة الشبابية

❑ مرة أخرى، يبهرنا مصمم الأزياء اللبناني إيلي صعب بقطع متميزة، عبر تصاميمه التي تخترق الزمان والمكان وأعماله الفنية المرهفة بالحس تجعله في مقدمة مصممي الأزياء العالم وأيقونة في هذا المجال. وقدم صعب السبت 3 مارس، خلال أسبوع الموضة في باريس، عرضا التزم فيه بمجموعة أزياء نسائية مستوحاة من أناقة القرن التاسع عشر التي تمتاز بخطوط عالية الأناقة وبالتموجات.

وتضمنت بعض التصاميم قبعات رأس، ولم تكن المجموعة مصنوعة من قماش الدانتيل.

وتجنب صعب الإطلالة الصريحة بأزياء القرن التاسع عشر التي كان يغلب عليها الدانتيل والإثارة، واقترب أكثر من خطوط الأناقة الشبابية. ورغم أن التصاميم غلب عليها اللونان الأسود والأزرق الداكن فإن الكثير من الثياب المطرزة بالخرز بدت متلألئة تحت الأضواء.

واكتسب صعب شهرة واسعة بعدما ارتدت نجمة هوليوود هالي بيري ثوبا من تصميمه خلال حفل جوائز الأوسكار عام 2002 الذي فازت فيه بجائزة أفضل ممثلة عن دورها في فيلم "مونسترز بول" أو "كرة الوحش".

دقت ساعة الحقيقة للقارة السمراء

هل ينجح المغرب في وضع أفريقيا على المسرح العالمي؟

رغم التقدم الذي أحرزته مختلف الرياضات في جل أنحاء العالم، ولا سيما رياضة كرة القدم، بعدما أصبح رهان العديد من القارات موجها لبلوغ العالمية، خاصة القارة الأوروبية التي بلغت أقصى درجات الرقي والتطور، في المقابل ظلت القارة الأفريقية ترزح تحت وطأة "التخلف" باستثناء بعض دول شمال القارة ومن بينها المغرب الذي يسعى لمحاكاة الكبار ومحاولة البحث عن حلول جذرية قد ترسم موقعا جديدا للكرة الأفريقية على الخارطة العالمية.

مراد بالحاج عمارة
صحافي تونسي

ترشيح المغرب لكأس العالم 2026 هو شرف لكل القارة الأفريقية

❑ **تونس** – مازالت القارة الأفريقية تبحث عن حلحلة العوائق والمشاكل التي حالت دونها ودون الوصول إلى مرتبة عالية ضمن كوكبة عمالقة الكرة العالمية، وذلك في ظل بسط قارة أوروبا نفوذها الكلي على رياضة كرة القدم، بعدما عملت على تطوير هذه الرياضة ونجحت في استحضار كل الشروط التي تمكن اللاعبين من تقديم أداء جيد، بالإضافة إلى تعزيز البنية التحتية الرياضية وتوفير كل عوامل النجاح للناشطين في هذا المجال. ولا بد من التأكيد على أن بعض الدول حققت تقدما في ميدان كرة القدم من خلال إضفاء طابع الاحتراف الكلي.

لقد حاول بعض عمالقة كرة القدم الأفريقية إدراك سلم العالمية من خلال العديد من المشاركات في المحافل الدولية والإقليمية الكبرى، فمثلت سنوات التسعينات بداية نقطة الضوء للقارة السمراء، عندما وضع أسود الكامرون أنفسهم على المسرح العالمي، إثر فوزهم على الأرجنتين في المباراة الافتتاحية لكأس العالم 1990 في إيطاليا، ومضوا ليبلغوا دور الثمانية، وقتها بدا أن الكرة الأفريقية وجدت طريقها إلى النور. وقال أحباء الكرة إنها مسألة وقت فقط قبل أن يفوز فريق أفريقي بكأس العالم، ومنذ ذلك الوقت، أقيمت 6 نسخ لكأس العالم، ولم يتأهل فريق أفريقي مطلقا إلى الدور قبل النهائي.

ورغم أن اللاعبين الأفارقة تألقوا على المستوى الفردي في الأندية الأوروبية، فإن ذلك لم يكن بنفس درجة تألق لاعبي أميركا الجنوبية. وأمام هذا كله لابد من إلقاء اللوم دائما على الإدارات الفوضوية وكذلك افتقار كرة القدم الأفريقية للتطور، إذ يدخل اللاعبون والمسؤولون في خلافات مع الأندية والأطراف الفاعلة دائما بسبب المكافآت المالية هذا فضلا عن التدخلات السياسية، التي باتت تشكل خطرا كبيرا على الاتحادات الكروية.

نزاعات داخلية

لعل ما يجري الآن داخل كواليس اتحاد الكرة الجزائري وما ظهر من تطاحن ونزاعات داخلية أثرت بشكل مباشر على مردود منتخب محاربي الصحراء الذي فشل في بلوغ مونديال روسيا، يعكس وبصورة جلية المستوى الحقيقي للكرة في القارة. كذلك ضربت الخلافات الاتحاد التونسي لكرة القدم في الفترة الأخيرة. ففي خطوة مفاجئة أصدر خمسة من أعضاء المكتب التنفيذي للاتحاد التونسي بيانا أكدوا فيه أن القرارات الصادرة أخيرا من طرف إدارة الاتحاد قد اتخذها وديع الجريء رئيس الاتحاد بمفرده أو بمعية عضوين أو ثلاثة على أقصى تقدير. وهو ما يتنافى مع المعمول به قانونا، وأكد الأعضاء المعارضون لتصرفات رئيس الاتحاد أن آخر اجتماع للمكتب التنفيذي قد انعقد في 9 ديسمبر الماضي، لذلك يعتبرون كل القرارات التي تم الإعلان عنها خلال هذه المرحلة غير شرعية.

على عكس ذلك يسعى الاتحادان المصري والمغربي للحفاظ على الاستقرار الداخلي من أجل النهوض بالرياضة في هذين البلدين وهذا ما كشفه مؤخرا مستوى الأندية المصرية والمغربية ببلوغها نهائي أبطال أفريقيا في نسخته الإخيرة(الأهلي والوداد). كذلك تأكد التطور على مستوى المنتخبين. لذلك تعلق كرة القدم الأفريقية آمالها على سفراء مونديال روسيا 2018 من أجل تحقيق الأمجاد وملامسة العالمية.

ومن بين أهم الأسباب التي أسهمت في تراجع كرة القدم الأفريقية، الافتقار لمسابقات محلية تنافسية داخل القارة. لذلك باتت الدول الأفريقية مطالبة بتطوير بطولات الدوري لديها، الأمر الذي سيساعدها على إظهار مواهبها ويعطي اللاعبين بديلا عن السفر إلى أوروبا. الذي يضع الأندية الأوروبية في موقف قوة لأنها تستطيع عرض أي مبلغ تريده، تستطيع الأندية أن تقول إنها لا ترغب في دفع مليون أو مليوني يورو من أجل هذا اللاعب الذي لم تتم متابعته مطلقا على الميدان".

وكذلك لابد من حصول اللاعبين الأفارقة على فرصة للعب كرة قدم محترفة دون الانتقال إلى لأوروبا. يجب أن يضمن الجميع أن يحصل هؤلاء الفتية على فرصة ممارسة كرة القدم في بلدانهم أيضا، بالنسبة إلى هؤلاء الذين لا يستطيعون اللعب في أوروبا لن يمثل ذلك مشكلة، ما زال بوسعهم الحصول على راتب في بلدانهم.

ورغم أن الدول الأفريقية تمتلك بالفعل بطولات الدوري الخاصة بها، فإن أغلبها يتسم بالبدائية. وبالتالي لا ينظر الخبراء إلى كرة القدم في هذه الدول باعتبارها رياضة محترفة، ولا يستطيع أغلب اللاعبين العيش من لعب كرة القدم. وأمام هذه الصعوبات لابد من العمل على الاستثمار في هذه البطولات باشراك الشركات المحلية والفيفا رغم صعوبة الأمر.

من ناحية أخرى هناك حاجة للاستثمار في الملاعب، لكي تصبح كرة القدم ممتعة وتنخفض أسعار التذاكر حتى تمتلئ الملاعب، مما سيجلب المزيد من الوعي وسيرغب الرعاة في الوجود هناك. في هذه اللحظة يفضل الأفارقة مشاهدة كرة القدم الأوروبية عبر التلفزيون بدلا من الذهاب للمباريات في بلدانهم، ومن الواضح أن عشاق هذه الرياضة الشعبية لا يقدرون كرة القدم الأفريقية بما يكفي، هذا ما نحتاج إلى تغييره.

لعل التغيير الذي ينتظره أحباء الكرة في القارة السمراء يأتي من قبل المنتخبات المتأهلة لمونديال روسيا التي من ضمنها المغرب، الذي سجل نتائج مهمة في مجال تطوير لعبة كرة القدم. المغرب استثمر كثيرا في ميدان كرة القدم، معتمدا في ذلك على الانسجام القائم بين ما تقوم به الحكومة المغربية والاتحاد المغربي لكرة القدم والقطاع الخاص، مما يجعله نموذجا يحتذى به. إن الوصول إلى هذا المستوى، يستدعي البدء، كما كان الأمر بالنسبة إلى جنوب أفريقيا ودول أخرى، بإحداث مراكز للتدريب وأندية منظمة بشكل جيد، تحترم الحد الأدنى الضروري المتعامل به في هذه اللعبة.

التحديات المقبلة

التحديات المقبلة كثيرة ويصعب تلخيصها، تتعلق في مجملها بتطوير التحكيم والتدريب، وبالجانب المتعلق بالرعاية، والعراقيل التي تحول دون تطوير كرة القدم. يعتبر ترشيح المغرب لاحتضان كأس العالم 2026 شرفا لكل القارة الأفريقية لتنظيم هذه التظاهرة الكروية العالمية.

والمغرب جزء من أفريقيا، وله الإمكانيات، التي لا يمكن لأحد إنكارها، لتنظيم هذه التظاهرة العالمية، وعلى الدول الأفريقية أن تتعامل مع هذا الترشح بجدية، باعتباره حقا مشروعا لأفريقيا، التي حظيت لمرة واحدة خلال مائة سنة، بشرف تنظيم كأس العالم لكرة القدم. لقد ساهمت أفريقيا في تطوير كرة القدم العالمية، ومن العدل أن تحتضن مرة ثانية هذا العرس العالمي، في ظل دعم شركاء الكونفدرالية الأفريقية في آسيا وأوربا وأميركا.

لقد اتخذت الكونفدرالية الأفريقية قرارات استراتيجية خلال السنة الأولى من تولي الملغاشي أحمد أحمد رئاسة هذه المؤسسة، بعد الإطاحة بأسطورة عيسى حياتو. من ضمن هذه الإجراءات هي أن يتبنى الاتحاد مجموعة من الإصلاحات، ويعتمد هيكل أساسي للـ"الكاف"، يليه الرفع من عدد المنتخبات المشاركة في نهائيات كأس أفريقيا للأمم من 16 إلى 24 فريقا، وإعادة النظر في رخص المدربين ودعم المنتخبات الخمس المتأهلة لكأس العالم، فضلا عن استخدام الفيديو في التحكيم خلال المباريات. لذلك يعتبر شرف كبير بالنسبة إلى كل أفريقيا أن تكون مرشحة لتنظيم كأس العالم لسنة 2026.

وباتت القارة مطالبة بالاندماج في المنظومة العالمية وإيجاد الحلول الكفيلة بتطوير الكرة الأفريقية واتباع الطرق والمناهج التي انتهجتها كل من أوروبا وأميركا الجنوبية للوصول إلى أعلى مستويات التطور والرقي على غرار الاشتغال على طرق علمية حديثة. وهذا ما كان عندما استخدم نظام حكم الفيديو المساعد لأول مرة في مسابقة أفريقية رسمية خلال المواجهة بين الوداد البيضاوي المغربي ومازيمبي الكونغولي على كأس السوبر الأفريقية لكرة القدم. وحصل نظام حكم الفيديو على الضوء الأخضر من مجلس اتحاد كرة القدم العالمي لتجربتة رسميا في المباراة.

وجاء القرار بعد تجربة حكم الفيديو في بطولة الأمم الأفريقية للمحليين التي أقيمت بالمغرب هذا العام تحت إشراف خبراء من الفيفا. وتعتبر هذه لحظة تاريخية لكرة القدم الأفريقية، فالجميع فخور لأن أفريقيا اتخذت المبادرة لاحتضان التقنية الحديثة نحو تطوير كرة القدم.. إنها خطوة عملاقة سيكون لها تأثيرها على كل مستويات اللعبة.

ترشيح المغرب لاحتضان هذه التظاهرة العالمية، يمثل فخرا لكل القارة، لذلك لابد على جميع البلدان الأفريقية أن تتحفز لدعم ومساندة هذا الترشيح نظرا لكونه يخدم تطور كرة القدم الأفريقية.

إن هذا الترشيح يعد الثاني لأفريقيا لاستضافة هذا الحدث الكروي العالمي في ظرف مئة عام. وقوة ملف ترشيح المغرب لاستضافة نهائيات كأس العالم 2026 تكمن في دعم الأفارقة له، باعتبار أن القارة السمراء لم تنل هذا الشرف إلا مرة واحدة. والدعوة مفتوحة لجميع الأفارقة إلى التعبئة الجماعية من أجل الدفاع عن حق مشروع يتمثل في احتضان أفريقيا لكأس العالم من خلال التفعيل الحقيقي لمبدأ التداول بين القارات.

> لعل التغيير الذي ينتظره أحباء الكرة في القارة السمراء يأتي من قبل المنتخبات المتأهلة لمونديال روسيا التي من ضمنها المغرب الذي سجل نتائج هامة في مجال تطوير لعبة كرة القدم

وفي العام الماضي قدم المغرب دعما ماديا كبيرا للاتحاد الأفريقي لكرة القدم، في سبيل تنمية الممارسة الكروية بالقارة السمراء، وهو الدعم الذي قال إنه شمل، أخيرا، تنظيم المناظرة حول كرة القدم الأفريقية، والتي تكفل المغرب بكامل متطلباتها التنظيمية.

ويضطلع المغرب بدور فعال لتطوير كرة القدم الأفريقية، من خلال استضافته لنجوم كرة القدم الأفريقية، الحاليين أو السابقين، من النساء والرجال، في العديد من الأحداث والتظاهرات الرياضية بمختلف أشكالها. وهذا يؤكد انخراط المغرب في تنمية الممارسة الكروية بالقارة السمراء، وتأكيد لقناعة جامعته بوضع خبراتها وإمكاناتها رهن إشارة الاتحادات الوطنية في انسجام تام مع سياسة انفتاح المغرب على الدول الأفريقية.

قلبي يدق لأفريقيا

أكد الرئيس السابق للاتحاد الدولي، السويسري جوزيف بلاتر في تصريحات لوسائل إعلام دعمه للمغرب لاستضافة نسخة 2026 على حساب الترشيح الثلاثي الكندي، المكسيكي،الأميركي. وقال في هذا الصدد "قلبي يدق لأفريقيا، فبعد مونديال 2002 في كوريا الجنوبية واليابان، اعتبرنا أن التنظيم المشترك كان كابوسا، وقررنا بعد ذلك أنه طالما وجد ترشيح منفرد فله الأفضلية. هذا قانون مكتوب، وإذا كان المغرب قادرا على تنظيم مونديال بمشاركة 48 منتخبا (لأول مرة)، فيجب منحه شرف الاستضافة".

وعن الاستعانة بتقنية الفيديو في التحكيم، قال "بلاتيني كان معارضا لهذا الموضوع، أدخلت بعد ذلك تقنية خط المرمى، ولم أكن في البداية متحمسا لها. الاستعانة بحكم الفيديو ستختبر في المونديال، وأقول نعم لتجربتها. وأضاف "لكن في كل الأحوال، المونديال يجب ألا يكون حقل اختبار لمثل هذه التغييرات التقنية، يجب أن تطبق أولا في منافسات الشباب".

مانشستر يونايتد يسقط ليفربول بثنائية راشفورد

الحمر يتكبدون الهزيمة الأولى خلال ست مباريات بالدوري الإنكليزي الممتاز

حسم مانشستر يونايتد قمة مباريات الجولة 30 من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم أمام ضيفه ليفربول، بالفوز عليه 2 - 1 على ملعب أولد ترافورد، ولعب المهاجم الشاب ماركوس راشفورد دورا رئيسيا في فوز فريقه بإحرازه هدفي مانشستر يونايتد في الدقيقتين 14 و24، فيما أحرز مدافع يونايتد إريك بايلي هدف ليفربول الوحيد بالخطأ في مرمى فريقه في الدقيقة 66.

اليونايتد وصيفا

❑ **لندن** – عزّز مانشستر يونايتد موقعه في المركز الثاني بالدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم، بعدما حقق انتصارا ثمينا وتغلب على ضيفه ليفربول 2 – 1 السبت في افتتاح منافسات المرحلة الثلاثين من المسابقة، لتكون الهزيمة الأولى لليفربول خلال ست مباريات بالدوري.

وأصبح رصيد يونايتد 65 نقطة من 30 مباراة، بفارق خمس نقاط عن ليفربول ثالث الترتيب، ويتصدّر مانشستر سيتي الدوري وله 78 نقطة من 29 مباراة، والذي يلعب في ضيافة ستوك سيتي مساء الاثنين في ختام المرحلة، بينما تجمّد رصيد ليفربول عند 60 نقطة.

وأنهى مانشستر يونايتد الشوط الأول متقدما بهدفين سجلهما ماركوس راشفورد في الدقيقتين 14 و24، ثم رد ليفربول بهدف وحيد في الشوط الثاني سجله إيريك بايلي مدافع مانشستر بالخطأ في مرمى فريقه.

> اليونايتد نجح في إبطال قوة ليفربول الهجومية والحد من خطورة تحركات النجم المصري محمد صلاح والبرازيلي روبرتو فيرمينو والسينغالي ساديو ماني

ورغم تفوّق ليفربول في الاستحواذ على الكرة على مدار شوطي المباراة، نجح مانشستر يونايتد في إبطال قوته الهجومية والحد من خطورة تحركات النجم المصري محمد صلاح والبرازيلي روبرتو فيرمينو وكذلك تمريرات شريكهما الهجومي ساديو ماني.

وفي الدقيقة 14 باغت مانشستر يونايتد ضيفه ليفربول بهدف التقدم، حيث تلقى راشفورد كرة طولية وراوغ ترينت ألكسندر أرنولد ببراعة، ثم صوب كرة قوية رائعة سكنت شباك الحارس لوريس كاريوس معلنة تقدم مانشستر 1 – صفر.

وأشعل الهدف أجواء المباراة، حيث عزّز ليفربول ضغطه الهجومي بشكل كبير لكن مانشستر يونايتد وجه تركيزه بشكل أساسي نحو الجانب الدفاعي، كما تم فرض رقابة لصيقة على النجم المصري محمد صلاح وروبرتو فيرمينو.

وفي الدقيقة 23، تلقى روبرتو فيرمينو مهاجم ليفربول طولية خطيرة داخل منطقة الجزاء، لكن لويس أنطونيو فالنسيا أحبط الفرصة ببراعة، ثم تلقى فيرجيل فان ديك لاعب "الحُمر" الكرة من ضربة ركنية وسدّدها برأسه، لكنها مرت بجوار القائم مباشرة.

ومن هجمة مرتدة سريعة، أضاف راشفورد الهدف الثاني لمانشستر في الدقيقة 24، حيث تلقى خوان ماتا كرة داخل منطقة الجزاء وأرجع الكرة إلى راشفورد الذي سددها بقوة إلى داخل الشباك معلنا تقدم مانشستر 2 – صفر.

وتوالت محاولات ليفربول، لكنه وجد صعوبة كبيرة في اختراق دفاع مانشستر ولم يشكل الخطورة الكافية لهز الشباك.

وكاد ماتا أن يحرز هدفا ساحرا لمانشستر في الدقيقة 38، حيث تلقى عرضية وسدّد خلفية مزدوجة، لكن الكرة مرت بجوار القائم مباشرة.

وكثف ليفربول ضغطه الهجومي بشكل كبير خلال الدقائق الأخيرة من الشوط الأول، لكن كل محاولاته باءت بالفشل لينتهي الشوط بتقدم مانشستر يونايتد 2 – صفر.

وكاد فيرجيل فان ديك أن يسجل لليفربول في الدقيقة 48، عندما تلقى الكرة من ضربة ركنية وصوبها برأسه، لكنها مرّت فوق العارضة مباشرة، وواصل ليفربول تفوقه في الاستحواذ وضغطه الهجومي وصنع صلاح أكثر من فرصة، لكنه عانى من التكتل الدفاعي.

وفي الدقيقة 56 انتعشت آمال ليفربول بشكل كبير مع اهتزاز شباك مانشستر يونايتد، حيث مرّر النجم ساديو ماني عرضية أمام المرمى حاول إيريك بايلي مدافع مانشستر التصدي لها، لكنه وجّهها بالخطأ إلى داخل شباك فريقه، ليصبح مانشستر متقدما 2 – 1.

وواصل ليفربول محاولاته الهجومية وتألق ساديو ماني بشكل كبير في الدقائق الأخيرة، وكاد المصري محمد صلاح، الذي يتقاسم صدارة هدافي الدوري مع هاري كين مهاجم توتنهام هوتسبير برصيد 24 هدفا، أن يدرك التعادل في الثواني الأخيرة لكنه سدد أعلى العارضة لتنتهي المباراة بفوز مانشستر يونايتد 2 – 1.

وفي المباراة الثانية، فاز إيفرتون على برايتون 2 – صفر، وسجل هدفي إيفرتون جايتان بونغ، لاعب بيرنلي، بالخطأ في مرمى فريقه في الدقيقة 60 وسينك توسن في الدقيقة 76. ورفع إيفرتون رصيده إلى 37 نقطة في المركز التاسع وتوقف رصيد برايتون عند 34 نقطة في المركز الحادي عشر.

وفي المباراة الثالثة فاز نيوكاسل على ساوثهامبتون 3 – صفر، وسجل أهداف نيوكاسل روبرت كينيدي (هدفين) في الدقيقتين الثانية و29 ومات ريتشي في الدقيقة 87. ورفع نيوكاسل رصيده إلى 32 نقطة في المركز الثالث عشر، وتوقف رصيد ساوثهامبتون عند 28 نقطة في المركز السابع عشر.

وفي المباراة الرابعة، قلب ليستر سيتي تأخره بهدف أمام مضيفه ويست بروميتش إلى فوز 4 – 1، وتقدّم ويست بروميتش بهدف سجله خوسيه سولومون روندون في الدقيقة الثامنة وتعادل جيمي فاردي لليستر سيتي، ثم أضاف رياض محرز الهدف الثاني في الدقيقة 62، وأضاف كيليتش إيهيانانتشو الهدف الثالث في الدقيقة 76، قبل أن يختتم فيستي إيبورا أهداف ليستر في الوقت بدل الضائع للمباراة. ورفع ليستر سيتي رصيده إلى 40 نقطة في المركز الثامن، وتوقف رصيد ويست بروميتش عند 20 نقطة في المركز العشرين الأخير.

وفي المباراة الخامسة فاز بيرنلي على ويستهام بثلاثة أهداف نظيفة سجلها آشلي بارنز في الدقيقة 66 وكريس وود (هدفين) في الدقيقتين 70 و81.

ورفع بيرنلي رصيده إلى 43 نقطة في المركز السابع، وتوقف رصيد ويستهام عند 30 نقطة في المركز السادس عشر.

وفي المباراة السادسة، خيم التعادل السلبي على المباراة التي جمعت هيديرسفيلد بضيفه سوانسي، واضطر فريق سوانسي لاستكمال المباراة منذ الدقيقة 11 بعشرة لاعبين فقط بعد طرد جوردان أيو.

ورفع هيديرسفيلد رصيده إلى 31 نقطة في المركز الخامس عشر بفارق الأهداف خلف سوانسي صاحب المركز الرابع عشر.

متعة الجلاد

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ درس جديد قدمه ريال مدريد، حيث فاز ذهابا وإيابا على باريس سان جيرمان وتأهل إلى الدور القادم من مسابقة دوري الأبطال "محبوبته" الأزلية.

كل تلك الأموال التي تمّ صرفها من قبل إدارة الفريق الباريسي لم تكن كافية لتحقيق حلم بات كابوسا في كل موسم، والجلاد هذه المرة كان الفريق الملكي الذي تجاوز كل المصاعب والمحن، وأكد أنه يبقى دوما من الفرق "العظمى" في أوروبا، بل في العالم بأسره.

صفة الجلاد هذه المرة يمكن أن ننسبها للريال وكذلك لمدربه الفرنسي المحنك زين الدين زيدان الذي أثبت مرة أخرى أنه "الربان" الماهر القادر على التغلب على كل العراقيل والمصاعب التي تعترض فريقه في محيط دوري الأبطال متلاطم الأمواج.

ويبدو أن قدر "زيزو" أن يتخذ صفة الجلاد الذي يتلذذ بتعذيب كل خصومه في المسابقة الأوروبية المجيدة، فمنذ تعيينه على رأس الفريق منذ أكثر من سنتين، قاد فريق "الميرنغي" إلى تحقيق النصر تلو الآخر، وكل الأرقام والإنجازات تُثبت هذه الحقيقة.

فالريال مع زيدان تمكن من التتويج بكأسه الحادية عشر في الموسم قبل الماضي، بعد أن عبث الفريق بكل منافسيه وبلغ الدور النهائي ليهزم في نهاية المطاف جاره أتلتيكو مدريد.

وفي الموسم الماضي ساد الاعتقاد لدى الجميع أن الريال لن يكون قادرا على المضي بعيدا والدفاع عن لقبه، فالتاريخ يؤكد أن دوري الأبطال في نسخته الحالية لا يمنح أي فريق أفضلية ليتوج باللقب في موسمين متتالين، لكن الريال مع "زيزو" كسر القاعدة وسار بسرعة الضوء في مسابقة الموسم الماضي ليصل إلى المباراة النهائية ويضرب يوفنتوس برباعية كاملة مكّنته من إضافة لقب تاريخي جديد، والفضل في ذلك يعود إلى لاعبه الأسطوري السابق زين الدين زيدان الذي برع بشدة عندما تقمص دور المدرب والربان، فكان جلادا محنكا وقديرا تغلب على كل المنافسين.

هذا الجلاد عاد من جديد هذا الموسم، وهو اليوم يقود الفريق بشكل مثالي في المسابقة الأوروبية، فرغم المتاعب والابتعاد بشكل نهائي عن الصراع من أجل لقب الدوري المحلي، إلا أن زيدان شكل فريقا قويا مقتدرا يبث "الرعب" في قلوب كل "الخصوم" أوروبيا، لكن الأكثر من ذلك أن "ضربات" الجلاد وجدت صدى طيبا ومتعة لذيذة في فؤاد الضحية الأخيرة.

أي نعم، يمكن أن نصف ما حف بالمواجهة المزدوجة بين ريال مدريد ومنافسه الباريسي بهذا الأمر، فكل أنصار ومحبي باريس سان جيرمان وكذلك مسؤوليه اعترفوا بأحقية كتيبة زيدان بالفوز والتأهل.

لقد حصلت حالة من الانبهار والإعجاب بحالة الفريق الملكي وقوّته، ففريق العاصمة الإسبانية يصبح "شكل ثاني" في المسابقة الأوروبية، إنه يتحوّل ويصبح بمثابة "الوحش الكاسر" الذي يحطم شوكة كل المنافس، وهذا الأمر جعل ضربات الجلاد تكون ممتعة وتبث المتعة في نفوس القائمين على شؤون الفريق الباريسي.

الأمر ليس له علاقة بتبعات الخسارة وفشل الخطة الباريسية في فرض هيمنة على المشهد الأوروبي بفضل قوة العتاد والأموال، بل يتعداه ليصل إلى الخطط المستبقلية، فمن عذابات الجلاد قد يأتي الفرج وتقام لإحقا طقوس الفرح، وهذا الفرح قد يتحقق يوما ما مع الجلاد الذي بات اليوم المرشح الأول والأبرز لتولي مهمة قيادة الفريق الباريسي في الموسم المقبل.

كل صحف فرنسا بدأت تتحدّث عن قناعة إدارة باريس سان جيرمان بضرورة تعيين زيدان على رأس الفريق، لقد تم ربط هذا الأمر بوجود رغبة بدأت تكبر يوما بعد يوم لدى زيدان بأهمية خوض تجربة جديدة بعيدا عن أسوار القلعة البيضاء.

اليوم في باريس ثمة قناعة أخرى بأن الإسباني أوناي إيمري الذي يتولى تدريب الفريق منذ الموسم الماضي لن ينجح أبدا في المشروع الأوروبي، ومهمته فشلت، لذلك سينتظر نهاية الموسم كي يحزم حقائبه ويغادر.

قد يغادر إيمري وقد يكون خليفته الجلاد زيدان الذي أبهر كل الفرنسيين إلى درجة أن أغلب النقاد والمحللين الرياضيين في فرنسا يريدونه على رأس منتخب "الديكة" ليخلف ديشان بعد كأس العالم، لكن قوة الفريق الباريسي من الناحية المالية ستكون على المحك.

جميع العارفين بخبايا الأمور صلب إدارة باريس سان جيرمان يعلمون جيدا أن هذه الإدارة تسعى دوما إلى التعاقد مع كل لاعب أو مدرب ينجح في الحط من كبرياء الفريق ويعذّبه على طريقة الجلادين أصحاب القلوب القاسية، وهكذا أصبح "زيزو" اليوم في نظر الباريسيين.

سينتظر زيدان نهاية الموسم، فحلمه وهدفه الأسمى هو كتابة اسمه بأحرف خالدة ضمن سجل أساطير عالم التدريب ليس مع ريال مدريد فحسب بل في أوروبا بأسرها، فالهدف هو التتويج باللقب الأوروبي للمرة الثالثة على التوالي، وله الحق في أن يحلم مادام سوط الجلاد قويا وقاسيا في وجه كل الخصوم.

ربما بعد انتهاء المغامرة الأوروبية سيفكر "زيزو" في تحديد مساره ومستقبله بالبقاء لموسم آخر مع الريال وهو أمر قد مستبعدا نسبيا بالنظر إلى رغبته في تغيير الأجواء بعد تحقيق كل الألقاب الممكنة مع "الميرنغي".

ولهذا السبب فإن الفريق الباريسي سيكون بالمرصاد، وسينتظر على أحر من الجمر لفتة من الجلاد وسيحاول أن يغريه بشتى الطرق، فربما قد يأتي يوم ويملك فريق عاصمة الأنوار ذلك السوط الذي تسلط بقسوة وغلظة على الفريق قبل أيام.

ثنائية رونالدو تنقذ الريال من إيبار

❑ **مدريد** – ارتدى البرتغالي كريستيانو رونالدو ثوب المنقذ مجدّدا، وسجل هدفين ليمنح فريقه ريال مدريد فوزا صعبا ومتأخرا 2 – 1 على مضيفه إيبار السبت في المرحلة الثامنة والعشرين من الدوري الإسباني لكرة القدم.

وأفلت الريال من كمين إيبار بهذا الفوز الثمين، ليرفع رصيده إلى 57 نقطة في المركز الثالث بفارق أربع نقاط خلف جاره أتلتيكو مدريد وبفارق 12 نقطة عن برشلونة المتصدّر.

وأنهى الريال الشوط الأول لصالحه بهدف سجله البرتغالي كريستيانو رونالدو في الدقيقة 33، وردّ إيبار في الشوط الثاني بهدف التعادل الذي سجله إيفان راميس بضربة رأس متقنة في الدقيقة 50.

ولكن رونالدو أنقذ فريقه من خسارة نقطتين جديدتين في المسابقة، وسجل هدف الفوز للفريق بضربة رأس في الدقيقة 84 ليكون الهدف الثامن عشر له في المسابقة هذا الموسم.

وفرض إيبار سيطرته شبه المطلقة على مجريات اللعب في النصف ساعة الأول من المباراة وشكّل لاعبوه ضغطا متواصلا على دفاع الريال، لكن الفريق افتقد للقدرة على ترجمة هذه السيطرة إلى أهداف.

وسنحت أول فرصة للريال في المباراة عندما انفرد بيل بالحارس في الدقيقة 32 ونجح في المرور منه، ثم مرّر الكرة إلى رونالدو الذي سيطر على الكرة وكان في طريقه لتسديد الكرة في المرمى الخالي من حارسه لكن الدفاع تدخل في الوقت المناسب وأبعد الكرة من أمام قدم رونالدو ليلتقطها الحارس. وفي الدقيقة التالية مباشرة افتتح رونالدو التسجيل في المباراة بهدف للريال من خطأ دفاعي قاتل،ليشعل حماس الفريقين في الدقائق التالية.

وبدأ إيبار الشوط الثاني بإصرار على تحقيق التعادل من خلال الضغط على دفاع الريال، وسدد غونزالو إسكالانتي كرة مباغتة من مسافة بعيدة أبعدها الكوستاريكي كيلور نافاس حارس مرمى الريال بصعوبة من أسفل العارضة إلى ركنية.

ونال إيبار المكافأة على هذا الضغط الهجومي، حيث لعب بدرو ليون سانشيز الضربة الركنية في الدقيقة 50 وقابلها إيفان راميس بضربة رأس متقنة وضع بها الكرة داخل المرمى على يسار نافاس.

ودفع إيبار ثمن عدم استغلال بعض الفرص التي سنحت له، حيث اهتزت شباكه بهدف الفوز للريال في الدقيقة 84 عبر النجم البرتغالي كريستيانو رونالدو.

المنقذ مجددا

عرض للجودو في قلب صحراء المغرب يثير كاميرات السياح

قدمت مجموعة صغيرة من ممارسي رياضة جودو فائزين برحلة من فرنسا إلى المغرب، عروضا رياضية وأزياء خاصة باللعبة، تشجيعا منهم لأطفال قرية من القرى السياحية المهمة في منطقة مرزوكة (جنوب شرق المغرب).

❑ **الرباط** – أقيم عرض لرياضيي الجودو في منطقة صغيرة قرب الكثبان الصحراوية في جنوب المغرب، استقطب اهتمام السياح مع ما يحمله من لقطات رياضية لافتة.

وقد سارعت مجموعة من السياح الذين فوجئوا برؤية لاعبي جودو بلباسهم الرياضي في قرية خملية التقليدية وسط الصحراء المغربية، إلى تخليد اللحظة بالتقاط مجموعة من الصور.

ويأتي هذا العرض في إطار تخصيص حصة تدريس في أحد صفوف الروضة في مدرسة قرية خملية من قبل مجموعة من ممارسي الجودو الفائزين برحلة من فرنسا إلى المغرب. وتدرب الأطفال الصغار بأقدامهم الحافية على المبادئ الأساسية لهذا الفن القتالي الذي لم يكونوا يعرفونه من قبل.

وقال نسيم لوكام (12 سنة)، يحمل حزاما أزرق من إحدى مدارس تعليم الجودو في منطقة بلان مينيل بضاحية العاصمة الفرنسية باريس، "أمارس رياضة الجودو منذ الصغر، أحب ذلك وأريد أن أتشارك شغفي مع الآخرين".

ويبدو لوكام سعيدا خلال تعليمه للأطفال البعض من الحركات من أجل "دفعهم إلى ممارسة الجودو". وقد وجهت له الدعوة إلى جانب ثلاثة تلامذة آخرين من مدرسته في بلان مينيل لمتابعة سباق للفروسية في صحراء المغرب، في رحلة ممولة من جمعية خيرية باريسية.

ويحرص قادر بنعبدلي مدرب الجودو الذي يرافق المجموعة الصغيرة، على أن تكون "هذه التجربة الفريدة مناسبة للعطاء والتضامن"، مؤكدا أن "الجودو رياضة علمتني كل شيء" أي "الثقة في النفس والتركيز والتوازن".

ويخصص هذا المدرّب الجزائري وقت فراغه لنادي المدرسة كي "ينقل ما تعلمه لفتية الحي، لمساعدتهم على أن يكبروا".

وسعداء الحظ الأربعة الذين اختيروا للسفر إلى المغرب هم "تلامذته الأكثر حماسة واجتهادا". ويقول بنعبدلي "من المهم أن يتمكنوا من إظهار ما يعرفونه وأن يكونوا فخورين بذلك، إذ تكمن فكرة هذا العرض في أن يفهموا أن لديهم أيضا أمورا يمكنهم تشاركها مع الآخرين".

وحمل تلامذة الجودو الآتون من بلان مينيل معهم أزياء خاصة برياضة الجودو ومجموعة من الملابس الرياضية الأخرى، حيث جمعوها قبل سفرهم لتوزيعها و"تشجيع الأطفال على ممارسة الرياضة".

وقد فوجئ الفتية الفرنسيون لدى رؤيتهم رياض الأطفال.

وقالت سلمى (12 سنة) "لم أكن أتوقع أن تكون أقسامهم صغيرة إلى هذه الدرجة، الأمر يختلف عما هو عليه في فرنسا".

وتعتبر خملية المعروفة بموسيقاها التقليدية، من القرى السياحية المهمة في منطقة مرزوكة (جنوب شرق المغرب). وتستقطب موسيقى كناوة المحلية بإيقاعاتها المتكررة زوارا من مختلف الجنسيات، بالإضافة إلى الكثبان الرملية، وتمثل "قرية السود" محطة بارزة في أي رحلة إلى الجنوب المغربي. وتتيح القرية لزوارها الإقامة في خيام كبيرة بالقرب من نخيل الواحات.

مشاركة وتعلم

وأفادت رقية بوكنين وهي معلمة شابة "لدينا مجموعة من الزوار، بعضهم يحمل معه مساعدات مادية، وآخرون يجلبون كتبا. اليوم منحونا أزياء رياضية. هذا شيء جيد بالنسبة للأطفال".

ولم يسبق لمحمد أوجاعا رئيس الجمعية الثقافية المحلية أن رأى الجودو "إلا من خلال شاشة التلفزيون". وأعجب كثيرا بالعروض وبتوزيع الهدايا، إذ أن ذلك سيشجع حسب رأيه الأطفال "على المجيء إلى المدرسة".

صباح العرب

عدلي صادق

هكذا حدثنا ابن خلدون

❑ لا أرتوي من قراءة ابن خلدون. أعود إلى أجوائه بين الحين والآخر. أقترب منه، فيما كتب وما كُتب عنه. هو غنيٌ عن التعريف. فمن قديم افتُتنت بذكائه ونفاذ بصيرته، واستهوتني سيرته، لكثرة ما طاف وعمل في الأمصار. ولا علاقة لعاطفتي نحوه، بالصلة التي قامت بينه وبين السلطان برقوق، الذي ترك لنا في خان يونس مسقط رأسي، الأثر الإسلامي الوحيد وهو قلعتها، ولا علاقة للأمر بتجربته الجزائرية عندما ازدانت به مجالس تلمسان وبجاية وبسكرة. ولا علاقة للأمر نفسه، بتونس التي نحب، ويحن إليها كل من حلّ فيها. فلا يُمَسك ابن خلدون في مطرح، إذ له في كل عرس قرص.

مولده تونسي، وأصله حضرمي، وسياقاته إشبيلية أندلسية، ومدفنه مصري، كذلك هو لم يراوح في علم معرفي واحد. يؤسس علم الاجتماع، ويتحفنا في السياسة، ويخوض في الاقتصاد والفلسفة، برؤية رجل سبق عصره بقرون.

لنتخيل أنفسنا في القرن الـ14، وفي حضرة ابن خلدون. نعطيه وحده الحق في الكلام، ليقول لنا نحن الذاهبون إلى القرن الـ21 "عندما تنهار الدول يكثر المنجمون والمتسولون، والمنافقون والمدّعون، والكتبة والقوّالون، والمغنون النشاز والشعراء النظّامون، والمتصعلكون وضاربو المندل، وقارعو الطبول والمتفقهون، وقارئو الكف والطالع والنازل، والمتسيّسون والمدّاحون والهجّاءون وعابرو السبيل والانتهازيون. تتكشف الأقنعة ويختلط ما لا يختلط".

ويستطرد قائلا في وصف الأزمنة الرديئة، كمن يتنبأ بداعش وكل أقرانها "عندما تنهار الدول، يسود الرعب ويلوذ الناس بالطوائف، وتظهر العجائب وتعم الشائعات، ويتحول الصديق إلى عدوّ والعدوّ إلى صديق، ويعلو صوت الباطل، ويخفت صوت الحق، وتظهر على السطح وجوه مريبة، وتختفي وجوه مؤنسة، وتشح الأحلام ويموت الأمل، وتزداد غربة العاقل، وتضيع ملامح الوجوه، ويصبح الانتماء إلى القبيلة أشد التصاقا، وإلى الأوطان ضربا من ضروب الهذيان، ويضيع صوت الحكماء، في ضجيج الخطباء، والمزايدات على الانتماء وعلى مفهوم القومية والوطنية والعقيدة وأصول الدين". أما الفساد، فإن ابن خلدون يجعله سببا لسقوط الدول. فهو القائل "إن الظلم يؤذن بخراب العمران. فإذا ارتُكبت المعاصي من قبل النافذين في الدولة، ولم تستطع يد القانون أن تطالهم، كونهم محميين بمكانتهم ونفوذهم، فعندئذ تكون الدولة ساعية في طريقها إلى السقوط".

ويضرب مثلا في إهاب قصة رمزية، مؤداها أن استلاب حقوق الناس، وعربدة الأبناء والبطانة، من شأنهما إضعاف العصبية الحامية للدولة.

جينيفر لوبيز تعلم شباب الأحياء الفقيرة أسرار قطاع العقارات

❑ **نيويورك** – تهدف دورة تدريبية ترعاها خصوصا المغنية الأميركية جينيفر لوبيز إلى تعليم أسرار السمسرة العقارية لشباب محرومين من البرونكس (حي الطبقة الفقيرة بنيويورك وهو متنوع التركيبة العرقية)، بغية تمكينهم من النجاح في هذا المجال بالرغم من الأسعار الخيالية في نيويورك.

ويتكون الفريق من خمسين شابا، أغلبيتهم من أصحاب البشرة السوداء أو الأصول الأميركية اللاتينية، أتمّوا هذا الأسبوع دورتهم التدريبية من خلال التفاوض على شراء مبنى في البرونكس بقيمة مليون دولار، مثبّتين إمساكهم ناصية قطاع العقارات في نيويورك.

وهذا القطاع هو في فورة مستمرة مع أحياء دائمة التجدّد قد تصل الأسعار فيها إلى 100 مليون دولار. والمستثمرون في هذا المجال قد يستحيلون من أصحاب المليارات، أو حتّى رؤساء دولة، كما الحال مع الرئيس الأميركي دونالد ترامب الذي جنى ثروته في هذا المجال.

وشملت الدورة التدريبية محامين ومصرفيين وخبراء في القطاع وأحياها فريد غرين وسيدريك بوبو، وهما مقاولان عقاريان أسودان نجحا في مهنتهما. وقد أسّس الرجلان جمعية "بروجكت ديستند" لمساعدة الشباب متواضعي الأحوال مثلهما، على سبر أغوار هذا القطاع.

وقدّم الشباب وهم في مرحلة الدراسة الثانوية أو الجامعية بعد سلسلة من الحصص التعليمية على الإنترنت أو خلال ورش خاصة في عطل نهاية الأسبوع، مشاريعهم العقارية لشراء مبان في الحيّ، إلى لجنة تحكيم تضمّ المغنية جينيفر لوبيز المتحدّرة هي أيضا من البرونكس.

> **«الاستثمار في قطاع العقارات مهمة صعبة لكنها في متناول الجميع بغض النظر عن أصلكم، ولا حاجة إلى ثروات طائلة، فمن الممكن الانطلاق بمبلغ بسيط»**

والفائزون هم الذين يعدّون أفضل مشروع مع أكبر مردودية. وستقدّم لهم حصة في المبنى وسيحصلون على عائدات على شكل أقساط دراسية.

وقال بوبو "نعطي لهؤلاء الشبان فرصة التعاون معنا وندرّبهم بأنفسنا. فهم يحللون العقارات كمتدربين ثم نقوم بشرائها ونتشارك معهم جزءا من الأرباح".

وأضاف المستثمر الذي يعدّ من أقوى المستثمرين في العاصمة المالية للبلد "نريدهم أن يشاركوا في ملكية العقارات في الأحياء التي يعيشون ويعملون فيها".

وقال أليكس رودريغز نجم البيسبول الأميركي وشريك لوبيز خلال إحدى جلسات الدورة للطلاب "في قطاع العقارات يمكنكم جني الأموال.. بغض النظر عن ثروتكم وأصلكم، يوفر لكم هذا القطاع فرصة للتغلّب على بؤس الغيتو".

ويحلم جوفاني أماكستال بأن يسير على خطاه. ويقول طالب الفلسفة البالغ من العمر 18 عاما والذي تكسب والدته المكسيكية رزقها من خلال تقطيع الخبز للبائعين المتجولين "أنا مسرور جدا بفرصة تعلّم أسرار قطاع العقارات. فهنا تكمن الثروات".

ويقرّ تشارلز وو الأستاذ المحاضر في هارفارد المشارك في هذا المشروع "إنها مهمّة صعبة لكنها في متناول الجميع. ولا حاجة إلى ثروات طائلة. فمن الممكن الانطلاق بمبلغ بسيط".

ويبدو أن هذه الخطابات الملهمة تؤتي بثمارها، فأندريا ألاركون طالبة في السابعة عشرة من العمر تعمل والدتها نادلة في مطعم بدوامات طويلة جدا لتلبية حاجات العائلة، تحلم بتملك عقار.

أما روبن جيرموسن، فهو يطمح من جانبه إلى الالتحاق بجامعة هارفارد وهو لا يدري كيف سيموّل دراسته في حال قبوله.

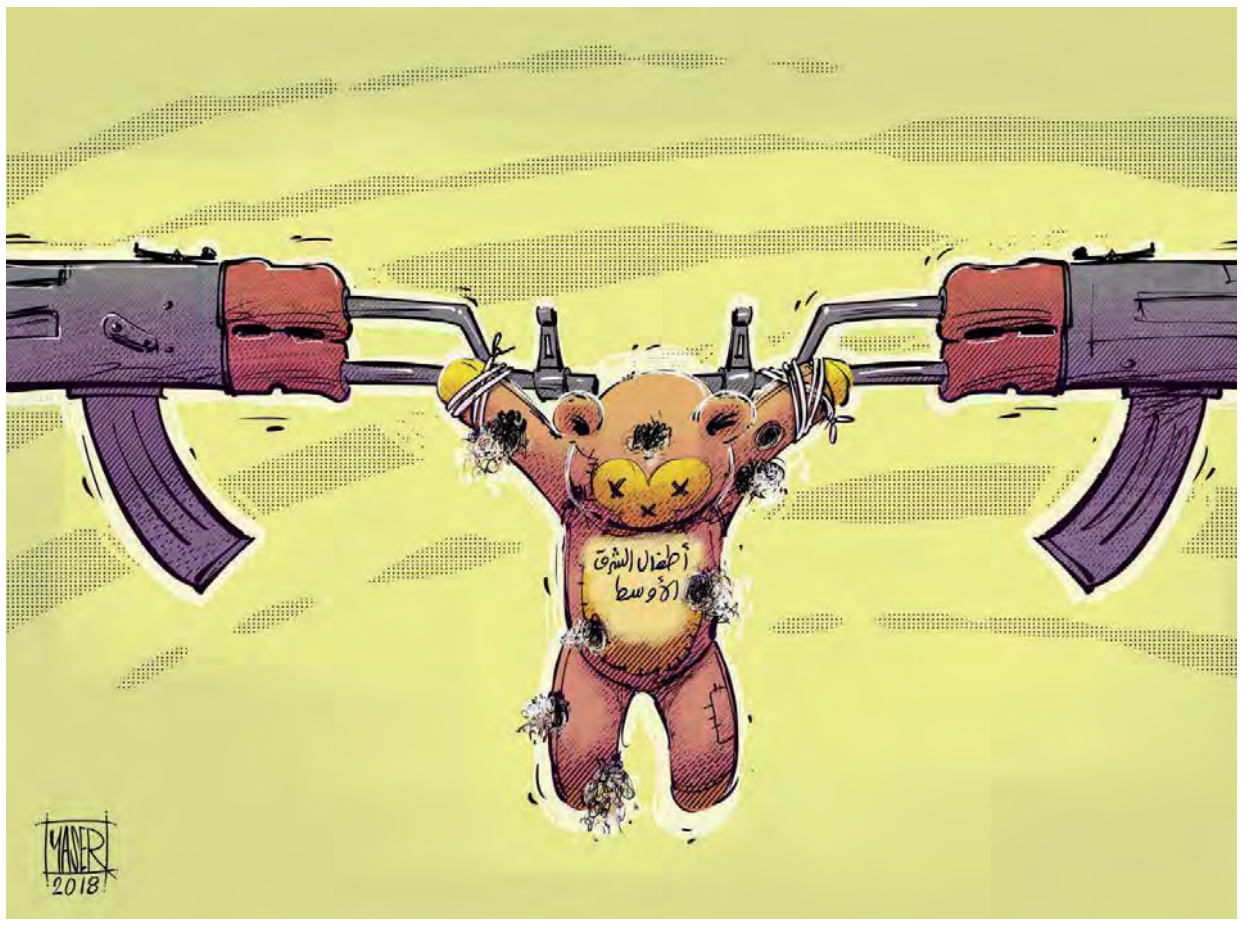

فنان سوري ينحت أكبر كتاب تاريخ على صخرة

❑ **درعا (سوريا)** – وُجدت في زاوية أحد شوارع مدينة درعا السورية (جنوب)، صخرة أثرية تغيّرت ملامحها بعد 11 عاما، بفعل أدوات نحت الفنان إبراهيم أبا زيد.

واستطاع أبا زيد أن يصنع على هذه الصخرة البالغ وزنها 117 طنا، تحفة فنية منحوتة لحضارات العالم وبعض المعالم التي تحمل رمزية تاريخية.

وجمعت الصخرة التي تحمل اسم "حب وسلام للعالم"، 10 معالم وحضارات تعود إلى المئات من السنين، استغرق إنجازها حوالي 11 عاما على فترات متقطعة.

وتقع الصخرة على جانب أحد الطرق في منطقة درعا جنوب المدينة إلى جانب منزل النحات، وتعتبر من أبرز معالم الحي ومقصدا للسكان المحليين.

ويصف أبا زيد (30 عاما) صخرته بأنها "أكبر كتاب تاريخي في العالم"، نظرا لضخامة حجمها وما تحتويه على سطحها من حضارات ومعالم تاريخية.

وجمعت الرسومات التي نحتها الفنان السوري أزمنة مختلفة، بدءا من آدم عليه السلام وحتى توزيع البشرية وإقامة الحضارات، وفق أبا زيد.

وأوضح أن الصخرة تضم معظم حضارات العالم، وأبرزها البابلية وحضارة سبأ اليمنية، وحضارة الفينيقيين الذين سكنوا سواحل البحر الأبيض.